

بيان مشترك ضد الزمن

عرف القراء العرب «صلاح عيسى» كاتباً وباحثاً في التاريخ السياسي والاجتماعي، وصحفياً مشاغباً تثير كتاباته الزواجر، لكن قليلين منهم هم الذين عرفوه قصاصاً وروائياً. استلهم تجربة بيرل الستينيات العربية، في روايته «مجموعة شهادات ووثائق لخدمة تاريخ زماننا»، وفي هذه المجموعة من القصص والروايات القصيرة، التي كتبت بين عامي ١٩٦٤ و ١٩٧١، على مشارف - وفي أعقاب - هزيمة يونيو ١٩٦٧، فجعلت بين «النبوة» و «المرثية»، وجاءت - برشة ضد القهر الذي يطارد كل أبطالها : هي التسوارع والأزقة، وفي الزنازين وغرف النوم وفي الصحف والإذاعات، فهم متغيرون في جلودهم، تحيط بهم - من داخلهم ومن حولهم - مشائخ متينة الصنع.

بين أبطال قصص هذه المجموعة ثوار خائفون، وبشر محاصرون، وجنرالات بلا جنود.

وقد يسأل القارئ : أي جنرالات ؟ وأي زمن ؟

وهو سؤال نتركه له. فلهذه يتعرف على هؤلاء الجنرالات، ويوقع

- مع المؤلف - على هذا البيان المشترك ضد الزمن.

مكتبة
الكتاب



بإيم مشترك ضد النرم

مسألة عيسى

قصص وروايات قصيرة



قصص وروايات قصيرة

صلاح عيسى

بيات مشترك ضد النمر



الكتاب : بيات مشترك ضد النمر
(قصص وروايات قصيرة)
الكتاب : صلاح عيسى
الطبعة : الأولى ١٩٩٢

جميع الحقوق محفوظة

الناشر : مؤسسة البشير
القاهرة - مصر

١٥ شارع مصر، القاهرة - مصر
تلفون : ٢٢٢٢٢٢٢٢

الناشر : مؤسسة البشير
القاهرة - مصر
الطبعة : الأولى ١٩٩٢

من إلى أوله نشرة. وآخر دسعة

«صلاح»

١٩٨٧

هنا زَمَنُ الحق الضائع

لا يُعْرِفُ فيه مقتولٌ من قاتله، ومتى قتله

ودفنس الناس على جثث الحيوانات

ودفنس الحيوانات على جثث الناس

فتحس رأسك ا

فتحس رأسك ا

«صلاح عهد الصبوة»

١٩٦١

كنت أقول ضاحكاً أن أجهزة الأمن السياسي، هي المشتعلة من تدهور مستوى الشعر والقص، وأشكال أخرى من الإبداع الأدبي والفني، ففي السجون - التي كانت تُساق إليها الناس على امتداد كل العهود - تتوقد عواطف، وتتألم ذكريات، سرعان ما تدفع كثيرين لكتابة رسائل شوق لتلك الدنيا التي لا تترك يديها إلا حين تصدك عنها أبواب الزنازين، وهناك الحراس وأسوار السجون.. وعادة ما تنفذ هذه الرسائل أصحابها لنظم الشعر، وقص القصص، وأحياناً تحت التناثيل، وتلويح العصا.

ولأن جيلنا من المشتغلين بالسياسة و الكتاب والأدباء والفنانين، كان يحصل إعلامه، كما يحصل صلباته، فقد التينا في الزنازين كثيراً، وتعارف أكثرنا بين جدرانها، خلف هذه الجدران، نشأت صداقات، ونبتت مودات، فلبس كالسجن مكان يتكشف فيه الناس على حقيقتهم، وفيها سمعت من الشعر أعذب، وقرأت من القصص أجملها، واكتشفت ألواناً من الفناء الشجي، وبين جدرانها غابيت من ذلك الفن الذي شغلت بسبه على أهل البصر والحس، فأضحت إلى قائمة الاتهامات التاريخية الموجهة إلى اليساريين العاملين في أجهزة الأمن السياسي تهمة: إفساد مستوى الإبداع.

فلولا أنهم ساقوا الناس إلى ظلام الزنازين أفراجاً، ما توقدت عواطف، تروم أصحابها أن ما يكتبونه من كلام ركيك، هو فن.

وأت مرة، أقمنا احتفالية شجنا فيها على هذا الشعر، وذلك القصص، فألقى صديقي المهندس «تيمور اللواني» - أحد القادة البارزين للحركة الطلابية في الستينيات والبعينيات - قصيدته الشهيرة، التي يقول في مطلعها «أحبك.. تلك مصيبة.. في حق البشرية» وألقت بالاشتراك مع «عبد الرحمن الأنودي» و «صبري حافظ» غزلية يقول مطلعها:

«حبيبتي

عيناك بقلقتان

عيناك

كفرمتي منقار ليلتنا الحقيق.

ومن أشعر أبياتها، بيت يقول:

دوحين سرت تحت صور الناعلة العريض

حبيبي

قروت أن أبهى.

ولها بعد أدركت أن هذا الشرع من الفن، هو مقاومة مشروعة للفن، وتصعد بأسل للذين يودعون أصحاب الضمائر وراء الأسوار، ليقتلوا في قلوبهم - بالمحاصر والتكرار - قدرتهم على إحصاء الخلق.

وكنت قد بدأت مضارة الكتابة بمحاولة للفن لم تكتمل، فبعد تجارب، كان يحسها مبشراً، ملكت القصص، لأن أهل القص من جيل - وفيهم مدعون طيبين - تحووا منظره عفا موضوعها: هل الإبداع الفني أكثر تأثيراً أم النضال السياسي المباشر. وفي مرحلة من الفناء تمسكوا للأول، فتصعبت - في مرحلة غباء مضاد - للثاني، وأحرقت ما أبدعته، وتخصصت بالمدح، وشغلت عليهم.

ولر أنك قلت: ليلتك لم تعد للقص.

فصوب أقول: هنالك حق..

ولكني - من سوء حظ كلينا - عدت إليه.

ولها عدت قصتين، كتبت الأولى - وهي «الحب والصمت» - عام ١٩٦٤، والثانية - وهي «جزالات بلا جنود» - عام ١٩٦٥، فإني لم أعد إلى القص، إلا في نهاية عقد الستينيات، حيث كتبت بقية قصص هذه المجموعة خلال عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ والشهور الأولى من عام ١٩٧١، في معتقل طرة السياسي، دون أن ألقى بالآ إلى المشتغلين - ونشرت بعضاً منها في بداية السبعينيات في عدد من الدوريات العربية، وظل مشروع جمعها في كتاب يتصرب مع الزمن حتى تسعد، ولعلني خشيت أن تستغل لتشجيع على أجهزة البصر والحس، مما يسوق إلى علاقات «الفرقة» التي جعلها لي أهلها.

الحب والصمت

«وقلت رجل في أكبر ميادين المدينة ... وهتف
بسرور اللطجة»

مثل كل الناس. كان لي أبي.. ومثل بعضهم. كان أبي عسكري
بوليس في أحد أقسام المدينة. وكان شارب ذة عضلات قوية. ولقد ظلت
لفترة طويلة، أتوهم أنه شيء عظيم، عظيم جدا، هكذا كان اليابسون في
حارتنا الضيقة يعتبرونه، فيخافون منه، وينافقونه.

ولقد حدث وأنا في المباحة أن أبي أطلع عن التدخين ثلثة دخله،
كما أظلل أيضا عاداته اللطيفة في حملي. ولم يعد يسمح لي أن أضربه
بالكف على صدغه كما كنت أفعل وأنا صغير. ولم يعد يدلني، بل أنه
ضربني مرة عندما بُلْتُ على المرتبة الصغيرة.

وحدث أنني في تلك السن هربت الطيارات الورقية، وكنت أتفنن في
صنعها وألونها، وأصنع لها جيلا طويلا جدا وأتركها تطير... إلى حيث لا
يمكن أن أراها.. إذ ذاك كنت أترك الحيط الذي في يدي، فتختفي الطائرة
بين طبقات السحاب.

وفي صباح ١ يونيو من هذا العام - ١٩٩٢ - استيقظت فجأة شاعر العمرة
لاحتفال قومي بالعيد الخامس والعشرين للثورة. يختلط بخاطر الشروع في تجميع هذه
القصة، الذي ظل يلح عليّ حتى لم أعد أستطيع منه مهرا، وإذا بي أقام أسبابه
تردد في نشرها وأقول للنفس: لعلها لو لم تصلح أن تكون قصصا.. تصلح أن تكون
وثائق من الزمن الذي عشناه، بأفراحه وأتراحه.. وضحكاته ودموعه، ففيها ظلال كثيرة
من أوجاع عقد الستينات، التي انتهت ملامحه، وغرقت ممراته وأحزانه، حتى يبدو
- في ضوء ما يجري الآن - وكأنه من عقود العصر الحبري.

أما ولد شامت الظروف أن تنشر هذه المجموعة من القصص، بعد حوالي عشرين
عاماً من كتابتها، فتلك تذكرة ضرورية، اكتشفت ضرورتها وأنا أقرأها جملة - بعد كل
هذا الزمن الذي تقضى - فلم تدعني القراءة لكتابة هذه المقدمة فحسب، بل قادتني -
كذلك - لتغيير العنوان الذي قدمتها به إلى المطبعة لأول مرة، - وهو «جزرالات بلا
جنود» - فكان هذا «البیان المشترك ضد الزمن».

ولد تسال : أي زمن؟... وفي جزرالات؟

وذلك ما أسأله أنا أيضا!!

صلاح عيسى

مدينة الصحفيين - ٢٠ يونيو ١٩٩٢

وكانت السماء تمتلئ أيامها بطائرات كثيرة، كذلك كانت شوارع المدينة تمتلئ بطلاب المدارس يهتفون بأصوات مبهوطة بسقوط شخص لا أذكره، وكان أبى يخرج لكي يفرق المظاهرات؛ على رأسه خوذة جديدة بيضاء، وفي يده عصي خشبية غليظة، يضرب بها الأولاد طول النهار، ثم يعود في المساء منهكا متهدلا، وإذا ذاك كنت أراه غلبانا..

ومرة، كانت مظاهرات المدينة صاخبة أكثر مما ينبغي، وكان أبى يومها مرهقا، والأولاد يشعلون من ميدان وحسب نحو الشارع الذي يقود إلى حارتنا. صعدت النساء إلى أسطح البيوت، وأصوات المظاهرة الصاخبة تتسلل عبر جزئيات الهواء، وعندما انحسرت كثافتها في حارتنا الضيقة زغرذت بعض الجارات تحية لأبنائهن، ورفع بعض الأولاد رؤوسهم إلى الأسطح حيث أطلت الأمهات في فرح علوى، والذي حدث - إن لم أكن قد نسيت - أن المظاهرة كانت تضم أغلب أولاد حارتنا، وكانت النساء تنفجن على أولادهن في فرحة بكرو، والجنود يضربون، وانتحى أبى ركنًا قصبا في مكان ما من الشارع، ورفض أن يضرب الأولاد أمام أمهاتهم وهو شىء لم يصحب «زكى أفندى» - قائد القوة - فصاح فيه:

- اضرب يا عسكرى..

.. ما ألدش يا أفندى..

ثار «زكى أفندى»، وخشى أن يغفل زمام الأمر منه، والمظاهرة تتحول إلى غضب جبرى، وبغية المساكر قد تولفوا من الضرب وأخذوا يتابعون المناقشة بين قائدهم وبين أبى، وهوت كف «زكى أفندى» فوق صدغ أبى، وذأر:

- اضرب يا ابن الكلب

انفجرت قدمه المجتونة في كرش أبى الكبير.

أكبر الرجال والنساء في حيننا أبى لأنه رفض أن يضرب أبنائهم، لكن أبى كان حزينا، وعندما عاد في الظهيرة دخل حجرته متخفيا. نسيت أنا الحكاية جفت الدموع القليلة التي ذرفت على أبى الطيب، وصنعت طيارة جديدة خضراء، وصنعت لها جبلا طويلا.. وأطلقتها، أخذت أغنى لها:

يا حمام.. يا مروح بلدك متنى!

خلينى أتوح وأنت اللي تغنى!

سمعت صدى صوتى فأعجبته حلاوته، وأخذت أغنى، وأغنى، ارتفع صوتى، ملأ الدنيا الصامتة حولي حياة وحركة، لسانى كان يدور في فمي بسرعة، وشفتاى تتفرجان.. وتتفرجان، والصوت يهتف، ويعلو، والطيارة تطير، تطير، أنا وحدى، والنافذة والفضاء والحمام.

فجأة، سمعت صوتا لا علاقة له بأصوات الأدميين، شىء كزمجرة أسد أو عواء كلب، لم استطع أن أميز شيئا، التفت في خوف متذعر، كان أبى فوق رأسى، وجهه قد انقلب، عيناه مكان فمه، أنفه في جبهته، وأذناه قد طارتا.

قبل أن يعود إلى إحساسى بالأمان ويتحرك لسانى الذي توقف فجأة، هوت يد أبى على صدغى.

كان كفه ضخما.. وثقيلًا!!

وصحيح أن شوارع المدينة ظلت مرتعا للمظاهرات بعد ذلك رغم أن الأولاد الذين كانوا يصنعون المظاهرات قد كبروا، وتوقفوا من زمن عن صنعها، إلا أن بطون النساء، كانت تقذف دوما أولادا جددًا، يدخلون المدارس، ويصرخون، ويشتمون دوما أشخاصا لا أذكرهم، ولكننى لم أصنع شيئا من هذا، فمثل اليوم الذى ضربنى فيه أبى نهت دمل صغير فوق لسانى، وبوما بعد يوم تضخم وتضخم، وعندما عالجته، كنت قد أصبحت لا أستطيع

الكلام بسهولة، وأصبحت أكرر الحرف الواحد مرات عشر قبل أن انطقه، وأصبحت الكلمة الواحدة تتطلب مني زمنا طويلا لكي أقولها، وهرب مني العيال يصنعون المظاهرات، ويتكلمون ويصرخون.

وكانت شوارع المدينة، ما تزال تله المظاهرات، وكان أبى ما يزال يلبي خروجه المهددة، ويأخذ عصاه الخشبية القصيرة ليضرب العيال. وعندما زرته في مكان عمله بنسم الشرطة، اكتشفت بأبى قليل أنه لم يكن عظيمًا كما توهمت وأنه ليس إلهًا، وبدت وقفته المتصلبة أمام باب حجرة المصان، شيئًا مزريًا وسفيا. وكذلك اختلاصة الرقت ليدفن نصف سجارة بشيق ملهوف، ولم يستطيع خيالي الطفل أن يتصور الإله واقفًا كالتمثال البليد، يضرب كعبه في الأرض، ويرفع يده إلى جبهته في رعب كلما مر بعض الناس، وبعد وقت، اكتشفت أن أبى كان يعمل الباش شاريش «عرضين» فرق كتفيه، الذي كان هو الآخر يحمل الصول «محجوب» جالسًا على منكببيه، ثم المصان، قضابط المباحث، وبتربع الأمور كالزكية فوق أكتاف الجميع، وهكذا تحول أبى في خيالي إلى ثور ذي قرنين، ولا أعنى أنه أصبح قوادا - فأبى كانت شريفة - ولكنه كان كذلك الثور الذي سمعت - وأنا - طفل أنه يحمل الدنيا فوق قرنيه، وهكذا أطلقت عليه، اسم «صابر أفندي ذو القرنين».

ولفترة بدأ أبى كفيلسوف خطير يتساءل بإلحاح :

- لماذا يضربون العيال، أضرب لهم مائة ولد بعشرة جنيهات؟
هرا..

على أن السؤال الذي ظل يلح عليه، هو الطريقة التي يتمكن من خلالها أن يشتد «زكى أفندي» معاون القسم الذي ضربه بالكف أمام أهل حارته، ليستعيد كرامته المبهضة، ومكانته الضائعة بين أهل الحارة.

وعندما لمعت النجمة بجوار الناج على كتف «زكى أفندي»، وأصبح

مأمورًا، كانت ذراع أبى تزدان بثلاثة شرائط، واحتل مكتبها في القسم في حجرة واسعة مزودة بمكاتب ناعلة، تنتشر فوق أسطحها دوائر من آثار أكواب الشاي الساخنة. وشخطة أسماء الشاروشية، والصولات الذين عملوا عليها منذ زمن سحيق.

وعندما كنت أجدول في شوارع المدينة بحثًا عن منوم مضططبي، قرأت أنه يستطيع معالجة اللجاجة بطرق مجرية ومضمونة وسرية جدا، كان أبى يصرخ في البيت:

- «زكى أفندي» كلب.. أبى كلب..

وكانت أمى توافق في تسليم.. ولكن «ذا القرنين» كان مع ذلك يتفجر فيها:

- أنت مصيبة.. أنت لا تفهمين.. كان يوما أسود.. ذلك اليوم الذي زفوني إليك فيه..

وأبى طيبة.. و «ذا القرنين» لا يكف عن الصراخ :

- مائة ولد بعشرة جنيهات، يا أنا.. يا أنت.. يا كلب.. يا ابن الكلب!

وقد كان. ذات صباح صرخ «ذا القرنين» لي وجه «زكى أفندي» صرخة صغيرة جدا.. وأحيل أبى إلى مجلس عسكري، ورفقته.. وعندما عاد بلا شرائط، وودن بدلته السوداء الأميرية، كان محبولا على الأيدي، وقال طبيب عجوز ناعل الشعر، أنه فقد القدرة على الحركة وعلى الكلام..

في تلك الاثناء، توقفت المظاهرات التي كانت قلًا المدينة، وانتشرت القاهي ووقف الأولاد على نواصي الشوارع يعلقون سلاسل من الذهب في أعناقهم، وفشلت «الشيخة سعدية» في علاجي من اللجاجة بعد أن سرقت منى نفودي، وسرق الباقي صاحب مكتبه عند ناصية الشارع كنت اشترى

منه الكتب والصحف لا أراها وأكلم صلحاتها بعبوني، ولحول عدد كبير من زملائي إلى العمل في دوريات المساء، لأن المظاهرات قد توقفت، وحتى عندما سارت مظاهرة في شارع المدينة الرئيسي تهتف بحياة أحد لاعبي الكرة، اشتبك فيها العساكر. وحملهم الناس على أكتافهم، وكانت الحروف التي تصر على أن تتدلل في حنجرتي قد بلغت إذ ذاك ثلاثة عشر حرفاً كاملة، حسب الأحصاء الذي ظلت ليلة أجريه، وظهر في مقال في مجلة صغيرة، كان قراؤها يحدون على الأصابع، وأصبح أبي يتكلم بعبوته، وفقد شارب كل عضلاته، فاسترخى متدلياً - وطلب ذات يوم أن يحلقوه له.. وقد فعلوا!..

وعندما قبضوا على المذموم المغناطيسي الذي كنت أعالج على يديه علاجاً فاشلاً، قابلت «سعاد» وكان هنا في بوفيه الكلمة، ولقد ظلت صامتة، وإن كانت عيناى قد تكلمتا مع عينيها لحظات، كما تحدثت أيضاً حديثاً خاطفاً مع صدرها وفمها. وكانا لبتين كوسادة تشتاقيهما رأسي، كذلك فعل الهواء مع شعرها الأسود الطويل، وغنت مطربة في الراديو للحمام الذي يروح ليلته متهنباً، تاركاً إياها تنوح وهو يثنى، وسمعت أزيز طيارة في السماء، وتحدث طالب عن أهمية أن ينتظم مشجعو أحد أندية المدينة في رابطة حتى يردون على الرابطة المنافسة. وقال آخر أن أحلى شيء أن تغنى وأنت في الحمام حيث ينطلق صوتك كما تشاء.

ولم تتحدث «سعاد» كثيراً، ولكنها أبدت أعجابها بما كتبت، ولالت إتنى كاتب لا بأس به، وإن كانت كتابتي لم تعجب والدها.

وفي تلك السنة صبح والدها لحبته الشهباء، وتزوج بتاً بكراً لأن زواج الأبهكار مفضل على زواج الثيبات، وفصل طالبين من معهد الدينى لأن أحدهما غنى في اللصل أغنية، «كلستى عن بكرك» بينما ضبط عسكري بوليس الآخر يقبل فتاة في إحدى الحدائق العامة.

ولقد حدث أنتى أحببت «سعاد» وبالطبع لم أقل لها ذلك، لأننى بعد عدة محارب أجريتها أمام المرأة اكتشفت أنتى عندما أقول لها كلمة: أحبك. فإن هذا يحتاج إلى سبع دقائق بالضبط تزيد إلى عشرة إذا أضفت قبلها كلمة أنا!..

وكان عساكر البوليس في شوارع المدينة الضخمة، يترصدون بالعشاق في تلك الأيام، ويقاضون الشفة فوق الشفة، ويتلذذون بتعذيبهم، ثم يبتزون منهم بعض النقود، ونشرت إحدى الصحف أنه قد ضبط عشرة أولاد يقبلون عشر فتيات في شارع واحد من شوارع المدينة، وترصد عدد من الرجال في النواصي المظلمة من تلك الشوارع، وظهرت مهنة جديدة، هي الارتفاق من تهديد المحبين.. وسمعت أن فتاة من أسرة كريمة أصيبت بالشلل في إحدى تلك الكيسات!..

وفي ذلك اليوم الذي أذاع فيه الراديو خبر صعود كلية إلى الفضاء، كتبت رسالة لسعاد. قلت لها فيها أنتى كتبت أصنع طيارات من الورق وأنا صغير، وأنتى لو واصلت ذلك فلربما أصبحت مخترعة عظميا، ورويت في خطاب آخر، قصة الذمل الذي نبت في لساني، وقلت لها أنتى لن أحيها، وسأنسى هذا السخف، وكان جسد سعاد شهياً كرجهها، وقد جاءت به على أقدامها ساعياً إلى، وكانت شفتاهما «سنتين يخرج الكلام منهما كاجنابتات مغناطيس، وفي أحد شوارع المدينة انفتحيت سرتا: اللراع منها في الذراع منى، وهى تتكلم.. وتتكلم.. وتتكلم.. وغنى رجل في الشوارع للجوارد أغنية «كلمة.. هى كل أسالى». وتحدثت خلايا رأسي مع بعضها، وتكلم كفى مع كنها حديثاً سريعاً، ومر عسكري بوليس في الشارع، وتنتحج بصوت مسجوع، وسكنت «سعاد» حتى مر ثم عادت تتكلم.. وتتكلما..

وفي شوارع المدينة الأمامية كثرت الحوادث، ذلك أن الناس كانوا يسيرون في ذهول، يكتب عالم نفس في صحيفة يقول أن الناس كانوا

- ولد شهم ، «أدهم».. متى أرى نيلك يوماً يازكى الكلب؟

واكتشف البوليس أن السراح قد حول بيوت المدينة كلها إلى معبأ كبير. وحلت الشوارع النحيفة من رجال البوليس وأنطلق العشار يهويون بحرية. ولم يعد أبى يزعم طالها المرس وماكينة الخلاقة، وإنما أصبح يطلب الجريدة.

وفى أحد أيام الربيع التفت «سعاد» وكان هذا فى الحديقة المجاورة للمكينة. رجعتها أمامى فجاءت كانت شبه كالربيع منطلقة كفرحة بكر ويهوى أن أقول شيئاً. انفرجت شفتها المتعصمان عن كلمة يا حبيبى. وسارت بي فى بحر أخضر طويل. وتمتصت بكلمات طفيلة، منها أنسى غبى وأنسى لم أفهم شيئاً، وأنها تحبنى وهذا كفاية.

أنا لم طلب منك الزواج. من قال أن أبناخا سيكربون مثلك صاعتين. لماذا لا يكرنون مثلى. ثم من قال أنك ستظل صاعتا طول عمرك!

لم أتكلم. ففت خلأى إليها. كنت أمر معها تحت قوس طويل من الشجر الأخضر. عندما رفعت قائمتها القصيرة. أحاطت عنتى بدراعيها ولصقت شفتيها اللصيتين بشفتى المتعصمين. فانفجرتا تمصران شفتيها. تفتحت خلأى. مر داخلها شئ كالهواء. إندى صدورهما الرمانى الصلب فى صدرى. أحسست بشئ كالحياء يتدفق من خلأى. فى لحظة لغتنا المحبومة هست وشتاى بين شفتيها

- «أهلك»-

لدهشتى لم تستغرق الكلمة أكثر من ثوان.

فى اليوم التالى امتلأت المدينة بأحبار غريبة. فى اللحظة التى كنت أقبل فيها «سعاد»، كان رجل آخر قد صعد إلى القمر فى صاروخ. ووقف

كما لو كانوا قد فتحوا نوافذ فى صدورهم يتأملون منها فى داخلهم. وأن هذا هو السبب فى كثرة حوادث المواصلات. وحذر العالم المذكور من أن تتفعل العدوى إلى السائقين، لأن ذلك يعنى انهيار المدينة بأكملها. وأكد أن على الدولة أن تقم بعض المياهج والأفراح. وأن تزين الشوارع. فى رؤية أن منظر الشوارع للبيج هو السبب فى أن الناس قد فتحت نوافذ فى صدورهم. وأدخلت رأسها تتأمل ما فى الداخل. وقد قرأت هذا الرأى وأنا مستلق على شاطئ البحر. ذلك أنسى هربت من المدينة. أو من «سعاد» بالغات، وكهرت لسانى المتدلل، ولسانها المنطق، وصمت شفتى كالجليد؟

أما أبى. فكان يوجه عاية خاص. إلى شاربه. بعد أن عادت له قدرته على الكلام والحركة. فما يكاد يبت. حتى يصبح بهترياً

- «ماكينة الخلاقة يا هو.. الموس «يانوية»..»

وهكذا كنت استيقظ صباح كل يوم على صرخته. فأطرد حبال «سعاد» من الخجرة. وأنهى حديث خلأى مع بعضها. وأبد يوماً ككل يوم.

وكان الرجل الذى عاد من القمر. يشعل أحاديث الناس فى كل مكان فقد اكتشف أن الناس هناك بلا شعاع وانهم يتكلمون بكثرة ويثرثرون. ويملأون الدنيا ضجيجاً. وأغلقت المدينة النوافذ التى فتحتها فى صدورهم وبدأت تصبح أحبار سباح خطير. كان يضرب بالرصاص. زوجة خاتمه. وصديق طعنه من الظهر. واستدعيت قوات البوليس من الاحتياطى. لطردة المجرم. وحمل أبى جسده المتهك. واشترى صحيفة. وقرأ التفاصيل باهتمام شديد ثم هتف:

- «تهية»، «سعيد مهران» يا «تهية»

وهزت أمى رأسها المكمل بالشيب. وبدأ أبى يردى لها الحكاية. ووجه حديثه الى عندما دخلت :

رجل في أكبر ميادين المدينة هاتفا بصوت اللبلبة، وكان أبي قد اختفى
كلص ملح ذاب، وبكت أمي وحزت رأسها الذي أبيض شعره كانت ..
- أهول هرب ورا «سعيد مهران»، يا عالم هل أعيش حتى يرجع أم
.. لا.

جنزالات .. بلا جنود

«.. وأما رأسك .. لنا أجملها .. ولكن أين
جسدك...»

يا «أم هاشم».. يا بنت بنت رسول الله.. صهبركم آل البيت شعاً
وجهداً، امتص الصبر يا شيم كل دم عروقه صابر ما طال الزمن، واقف بلا
كلال، أكلت المصيبة قلبه.. والروح خرابه.

لهفى عليك يا «خسيس»: طار رأسك من كربلاء إلى القاهرة، هاراً
بأنحاء المعصرة، فيكت الدنيا دما، ضحك الخواجا اللعين، قهقهة الأصدقاء
بلا صوت، كأما أضحكهم نكتة عدو، انداح داخل القلب حزناً أضر من
المقيم، صاح صائح.

- أنا هنا.. أنا هنا يا مست، بالأحضان يا جنودى المهرومين من لا
معركة، أكلتكم أرض الرمال المتحركة

ضريس في المساء شخص لا أمرقه، صرخ داخل ولم تتحرك صفحة
وجهي

هز ألبوها كرشه المتهدل بالزمن.

- تريد أن تتزوج «سهى»؟ أه؟

نقلتُ قديماى تحت المائدة... عدت القيم أبحث عن أرض صلبة أثبتُ بها رعشتى، الأرض رمال متحركة، غصت فيها حتى لقرار. صحب الصحاب فى تلقهى بملأ قلبي عزاء ملناعا

«محمود» يدق المائدة بعنف

- أنت تحب البيت، والبيت تحبك.. ما شان أبيها؟

لم يرد أحد دق وأخوaja على منصدة أمامه.

- أنا صاحب القهى ولست أنت..

كتمية تشار غنى صوت أبيها، من تحت أصابعه العابضة بشارية
الهللى، قال لسانه.

- كل ما يهمنى هو مستقبل «سهى». سأنت عنك.. أنت رجل

طوب

جلجلت ضحكة فى صحرا. فجأوبها بعيق برم.. وقالت أمى واللهم
اجعله ظهرا أما كلامه فتعلمت بهجر أنقاسه.

- ماذا تريد أن تتزوجها.. بذلتك قديمة.. ولنتك أنيق..

غاص حذائى فى الرمال المتحركة. حرك «محمود» يده فوق باب

الصريح، صرخ:

- نظره يا أم هاشم!!

دقات قدم الشرطى تاكل سُكرى. الكأس كانت مأكمة، كذلك
أصبحت مثنائى. هُنت حلايا رأس أغتية نديمة، نقلتها إلى الناس فتخرج

فتخرج بها وباحت. الروح تشمش كأنها حملها الكحول الخطاير الظلمة
مضى لها، وكذلك البرد مضى قال «محمود» إهجم عليها. ذات مسيرة فى
شارع من شوارع العجوة. وقد شئ نقى فى داخلى:
- تبدو من هبات العائلات..

قالت مربات الكحول المتظاهرة من فيه:

- عائلات! يا أول! إنها كياريهات.. كياريهات جدا!

تعلمنا يا أبا حنقى منك ما لم يكن تعلم.. وأما اقتحامك للخطر
فشئ يدعو للإعجاب، ولكن أين أنت فى هذه الليلة الشانية.. هذه البيت
فى مدخل الطريق تنطبق عليها شروطك.. واضح أنها كياريهات. تعلقت
دراعى بذراعها، لم تتكلم ارتفع شحير الشرطى مارا بين أقدام، قالت:
- أين تسكن؟

السؤال طريف. والليلة تشئ بشوة قلأ اقلب بالران من الجون،
ولبالي العجوة، كانت أمراجا ثملة، ولكن لمن الله الزس، صعد الوجه
بعوار الأذن اليسرى بها تشوة خفيف، لهذا اسفل الشعر فوقها عمدا، لعله
وشم يؤكد أن يديها تلقت يوما روث الماشية فى غروب طريق قروى. فوق
دقات الحذاء ارتفع صوتها

- الدنيا برد

- ولكن اسكوبياك لذيذ.

أما الماشية فلعمة الله عليها. مرّت صبرة مسرعة. غنى داخلها صوت
مذبذب يقول: يا حبيبى تعال.. تحركت رأس «محمود» فى حركة بتدولية.
أسبل عينيه، وبرش جعبه.

- لييك يا أم هاشم بحث ومضى هذا الرجل الطبيب، قلبك دعا قلبه،
ولنا فى رحابك خير ملاذ.

تفصّد الجبين عرقاً، رُ الكرنياك الرخيص من كل خلاياي.. قلت:
نحاول مرة رابعة، ولنحصر النظام شيئاً فشيئاً الفراش تحتنا أعلن الغلاسي.
ضحكت وسأئده. وقالت خلية في رأسي: لا بد . لعنة الله على الهرمة.
استجسعت صورا طامنا استقرت دمائي.. ولكن شيئاً كالتصاغة سحب مني
كل نوتى.. أُنحلتى إلى لا شيء. ففزت ليلة المعجزة إلى ذاكرتي فجاء، تم
كل شيء لينتهي على ما يرام، وذكريات النشوة ابتعدت، أما الحبيب
فلتجرعها من تحت العطاء. وعشتها العارية الآن ضيق بالبرد، لا طلياً
للنشوة، وها نحن مرقد هامدين كما لو كنا حيث معركة.

سألتها فجأة عن اسمها

- سهى!!

استقدم الحديث رغم النكبة. قالت أن أبها كان شيخاً من شيوخ
الأزهر، صاحكت في النظام، فقد تزوج أبى مد عامين..

- سألهم عن عما قليل!!

- لا . تلك أشياء مضت من زمان.. الأفيون بعة الله عليها

ألف لعنة على الكذب والخدعة. استرددت عريكه، وفي رأسها
حديث لا ريب عن المعنى الذى أقف.

- لا . نظننى بين الظنون.. محسبك جعل وله حولات وبكتها الرطوبة
لعنة الله عليها..

طبعاً . ضرسى أبى أمس. منع المطر الناس من الخروج.. وانعدم
الأياد.

.. كلماتك كادية، كم جسد التصق بجسدك، وأما أن أبها شيخ من
شيوخ الأزهر لشئ غير مستبعد، أنت نفسك خطبت الجمعة مراراً، وظالمت
برجم الراتية وليس الغريب حقاً إلا هذا الصنف الطارىء حتى الموت.

- تصدقى.. كنت يوماً من الإخوان المسلمين، وكأنت لى زبيبة
صلاة ثم

- قال أبى أن المولى يرفع التكليف عن بعض عباد.. وهو منهم.

لذلك صاح صانع فى الحراة.

- يا شيخ «متولى».. جاءتك البشارة .

وأبرها صخم كما يتبع لثيس، وأما لحيشه، فما أشبهها بشعر رأته
فى مكان ما من جسد ابنته.

عند الفجر قالت :

- لا بد أن أنصرف، طاركم ضيلة. بطحنى طوب الأطفال فى حارة
مثلها.

ذابت فى الحديث وعبتها همامت، وأما فى فقد أشعلته بمسبحارة
انفلتت حجرتى إلى مسجد مهيب، صرخ فى الشيخ .

- سودت وجهى يا خبيث.

قست :

- يا مولانا إن المولى يرفع التكليف عن بعض عباد..

قال: ولكنك لم ترعى المرأة، لهذا غصبت عليك السماوات.

- ولكنى يا سيدنا قد حجرت المسجد من زمن.

قال: أنت حيث كنت مثل لنا..

والعجيب حقاً أن مكان المنبر قد انحصر عن أربع غانيات، وثالث
واحدة تعال. وأما الأخرى فرفقت، أحاطت بين الاثنين، وانتشى شئ فى
داخلي. تكفل ذوب أعصابى. قلت. لنا المراد تشاجرت الشقراء والسمرء
مرفقا ثيابى فى جنون. هز مولانا رأسه فى دضى.

وغدغت لحة قديمي، فإذا بعسي تمردان من حلال الظلمة. وهي مستكنة. في أعضاني.. قدمها بين أقدامى.. قالت :

- نُتِكَ بعانيه..

- بقي قليلا..

في الليلة الخامسة حدث لمрад. تكتل البرد والارتعاش في لحظة محسومة. قال داخل: انصبر يا محمد الله. أما الضعف وليس إلا تجربة العبر يلج أرضا طال بيتها وبه اليماد. قال رأسى فلتفتح النوافذ. ولصرخ في ست الحزن يسيرات تخضم الرجال والنساء واليأس. قائلا ابشروا فإن فتح لله قريب.

قالت زوجة أبي الجديدة. عندما لامست يدي كفها أول مرة:

- أبوك زعلان منك.. خبيت أمته.

شق صورته الأرض فانفجر لمحب أقدامى .

- وقتوك؟ .. أنا قلت هنا. مثلك لن يكون صابغا إلا عندما يلغون الجيوش.

حسن بصافه بقية الكلمات. وليس كسمود هراء لقلب صا. وأما أبوها، فهز رأسه صارخا:

- الشرع معى والقانون والحكومة.. فمن معك؟

صلى المحامرون وطلبوا إعادة البيت. فأطبقت حنجرتي وصحت: «هؤلا.. أبائى نجشس يثلهم . إذا ما جمعتنا يا جبر المبالى» .. صفت بيدها في لوح صبيدى .. قالت :

- تزوجسى !!

- نعم

- ولكن؟..

- الضعف لينة الله عليه !!

- هنا شئ طارىء.

- لا أقصد

عندما انتظريها ليعرفها «محمود» أول مرة، صاح وقد لمحها دونى - دحك من صاحبتك.. هذه واحدة من الكباريات.

كم وجه سيقابلك في الطريق فتقع بسسته اصفرارا. وضعك حتى يستلقى على قفاه. لتظر أسرتك السعيد، وما ألد أن تكون واجهة. كذلك قال أبوها

أحتاج اسمك لتضعه على واجهة البيت.. ولبات الأخوان كأنهم أصدقاء لك. فالسنة الصوة لا ترحم..

بالأخصان أخفى «الشيخ رواش» وقال

- مرحبا بك في طريقنا أنت الآن في طريق الروح الراضة. من أهل الباطن أنت، ملكوية روحك وليست سفلية، نريد منك القلب. وأما بقية الأعضاء، فهي من أهل الدنيا. تفعل ما يفعلون، وليس على الأعصى والأعرج من حرج. فذلك ثواب رحيم.

لذلك اهتز الكيان منك في «المصرة» واعتزت الأعضاء وصاح «أبو رواش» هذه ملابس الروح ضعها في قلبك. وعندما ترتفع إلى الله روحك، وتشد الملائكة إلى السماء. قلبك ملعباد الألسنة «ملبسة الروح» إذ ذاك تتعد في ملكوت السماء القلوب وينتشر الحب من القلب.. إلى كل القلوب.

ودق مسبحته فوق معدن رثان وأنشد

- و «النبى يا مريد قوم نادى - قوم خيى جمال الهادى».

فاهتز الجسد بهجزة بشدولياً يذهب ويحى، كذلك لحت العين فى لحظة خاطفة، جسد «زيتب» يهتز، وأنت يا مريدة الشيوخ، ما أمتع جسدك بولا العجز، أما الآن، فما أشبه اهتزاز جسدنى، بمحاولات الهائس يوم ضحككت منه الوسائد والعجيب حقاً، أن تنطلق من جسدك هذه الشرارة الجنسية، لذلك اقتربت أقدامك منها، والتصق جسدانا مع اهتزاز المريدين شعشت الروح، ولتعض الأعضاء ما تشاء، هه من أهل الدنيا، وأما القلب فهو من طريق الروح الواصل، فلما التصق صجزها يتعصب جسدك، انتشت أعضائك كأنك شربت حمرا صحت.

- حى يا قيوم

شعشت الروح، من لسانها شر لا يصدق، انتقل ما فى فيها إلى فمك، كذلك حدث العكس، وصاح «أبو رواشى».

مرحبا بك يا سيدى أحمد يا بدوى، شرعت مجلسنا، المريدون من أريحة أنحاء العمورة، يهدونك القلب وأنه لقليل.

ولما سألته :

- يا «بدوى» لماذا أعرضت عن «بيت برى»، أكان مجرد زهد يا رجلاً، كذلك أعرض «ديوصف» عن امرأة العزيز، وكيف أعرف الزاهد من العاجز، وألف لئمة على كل كلمة يصددها «المداولون»

قلت له:

- مريدك أتى يسألك الحكمة، أردت استنفاد روح، ولكن منعتي أهرها وأخجلنى العجز.

قال،

- قلما أتاها فى الصحر صائحا: زملونى.. دثرونى، احتضنت خرقه ومنعت عنه الضرر، وحذكته وكانت أول المؤمنين.

- ولكن أياها يا سيدنا رجل شرير.

وما أنت بقادر على الحكم على القلوب، وليست الأعصاب أولاً وآخراً إلا من أهل الدنيا.. وأما القلب فليس على درب الروح الواصل.

لهذا انتقلت إلى بيتها، وقال الأصدقاء: انتهيت. وصاح أبى: ألف لعنة، وزيتب واجهة المنزل بأبورد الأحمر والزياحين، وأعلام بها حلال ونجوم ثلاث، ردد أبوها وراء المأذون «زوجتك اينتى البكر الرشيد»، فأمل «محمود» لحبة أبيها، قالت عيساء: أين رأيت مثل هذا الشعر من قبل؟ وأما كتاب «ألف لبلبة» فما أمتعته، وأحلام المراهقة كم كانت لذيذة، وكم سرح الخيال معبوعاً خلف سطر بنول: قلما أتاها وجدها درة لم تتعب ومهرة لغيره، لم تتركب. تكتل دوب الأعصاب أول مرة، وبعدها ضحككت الجدران ليال طويلة وقهقهه المعطاء ألف مرة وانكشث الروح خيلاً. دق الباب وانفج عن اللحية. قال القم المعرج:

- هناك دبون..

وليس المتعصب لپانتة، كالقيم مع الفشل، لها أتاها هادم اللذات ومفرق الجماعات، وأما «زيتب» فقالت:

- يا سيدنا احتاج حضرة..

تسمت عجيزتها لمسى، واعتلاً القلب نشوة حتى الثمالة.. وقال «محمود»:

- ينهى أن ينتهى كل هذا..

وأما الشيخ فصرخت وغرة على جانب فيه:

- يا مهدى.. أنت تريد.. وأنا أريد.. ولكننى فعلاً لا أريد.

- يا مولانا، العجز يجعلنى..

- وستر ضعمهم.. وزودهم بجود لم يروها فكانوا من الشاكرين.

وعندما غررت أصابعى فى دسم اللحم فى وليمة المولد، قالت

«ريب»

- هذه ليك خروف فتشع يلمس النسم فى لحم النضان، فقيه شفاء

للناس.

ومن مولانا عجيزتها، وضع فمها صائعا:

- كلوا من طيبات ما رزقناكم.

فى الخلوة قال لى:

- بشر يا مهدى.. أنانى الإمام والحسين «أمس فى المنام، وكنت

معه، وقال لى هذا المرید رأس الجلالة فى الأرض، زوده الله بجود لم

يرها، فليس فى كل مكان سارت فيه رأسى، وانه لو وجد جنوده فإذا لقيهم

قلبيدهم إلى حيث محتشد الشكالى والأراجل ويجمع الخرائى، والأعماه

الذرائى جه ليس، وليقل لهم على سائى: ابشروا أنتم أبنا «الحسين»..

ولهذا خلعت بذلتى القديمة، وألقيت أناقتها التى صنعها الكواء فى

ركن خلوة الزقاق، وبذلة «البحرالى» كانت يوما عريضة لأسطى.. وأما

التجزم والسيف فكانت أوراق كتاب قديم.

«كم هى مصيبة رحلة رأسك يا حبيبى «يا حسين». وليس الطائر

كالسائر على قدميه. وما يستوى الشيخ والمرید. وما أمر حزنك يا أم هاشم.

وكم كان صبرك قاسيا.. أما ما فعلت يا حبيبتى عندما سال دم الأحباب

تحت أقدامك تشربه الرمال. فهو ما أدفع عمرى نسا لعرقته. أطمعنى فلاح

ومقانى وسالته:

- رأس الحسين مرث من هنا؟

فقال:

- قطعوا رأس جدى يا مولانا.. كانوا يصيدون الخمام..

وقديما نالت «ريب»

- لماذا لا تأكل خماماً. إنه مقول ليا

وأما البذلة، فقد استخدمها كل زائر للحجرة فى بعض شؤون،

فأصبحت مجمع توقيعات الزائرين، وقال أبوها:

- اختفت حبوب منع الحمل من البلد وكنت أطعمها مع «الأتقيون»

ورأسى الآن تكاء تنفجر..

ساله صحاره، فمسحه فى البذلة وكانت بجواره

قال «أبو رؤاش»

- تكاثروا تاسلوا غنائى مياه يكم الأهم يوم القيامة.

- سقاها يا مولانا؟

- إن خفتهم الضر فاعزلوا..

لم أجد جنودى يا مولانا. و أكلت الحشرات بذلة الجبرالية..

عجزت العين ولكن القلب يرى.

- وأخفت حبوب منع الحمل..

- وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم.

- وحتى لو أنجيت ابننا ليس أبنى؟

- واجعل لى نصير من أهلى هارون أخى، أشد به لزوى..

- ويكنه ابن عسري.

وشمعت الروح، في الظلام، أنارت كوة برأس «الحسين»، سألتني
شماها. أين الجسد «يا جنرال»؟ قلت: بحثت فلم أجده. والطريق الذي
طاروت عبرة رأسك من المخطوط المحرمة دوليا. وليس الظاهر كصاحب قدمين
كلبتين، وأما رأسك فما أجملها، لكن أين جسدك؟ قال: أتسألني عما
أريد أن أسالك عنه؟

بحثت في ظلام المقابر فلم أجده، وبث الليل من المهجور منها، حولي
عنام الأموات، ترغت على شفتي ألق كلفة، وألق نشيد والروح الراضة
تبحث وما من مجيب، والظلام المحطر يأكلني يوما بعد يوم، لذلك شاب
الشعر من شرخ الشباب، ولم أعلم من الشيوخ حكمتهم، ودق دهمي على
الأدهان فما أضيح العمر، وأمس وجدت وثيقة رفاقي في جيبى، فتذكرت أن
لي بيتا وزوجة، وسألني أبوها.

- أين الجنود يا جنرال؟

لم أجب، ملأت ضحكاته الساخرة فراغ حجرة الرفاق، واستقبلتني
«رشب» باحترار العجيزة.. وقال مرلانا

- أبحث عن خلايا جسد الحسين.

قلت:

- كيف تبحث رأسه بلا جسد

ما أكثر الأسئلة التي تبحث عن جواب. وليس في أقدامى قُدرة على
السبر وعلى باب الصريح قابلتني امرأة قصاح منها من خلال إطار السواد
حول وجهها

- القضية تارة ٢٩٩٨ سنة كلفا وستين، جنابات مصر، انقتيل وسعيد

وسعيد مهران، والقاتل «رؤوف علوان» وقضيلة المفتي أمر بالشنق،
«وعشماوى» قبض خمسة جنيتها. والحكم تم بعد المداولة.

واردني أبى على باب المضريح، قال: عذ لبيتك. فقد هارت بسببه
سوق كل البضايا زوجتك قاقت الكل.

قالت رأس المهتزة.

- يا من من يرى ولا يرى.. أعط البعوض جاحها!!

- لا أعهد!!

- وأعط عقدة من لسانى، بفقهوا قولى!

أنعمتسى. لو سمعت كلامي من البداية، لأصبحت اليوم جنرالا
حقيقيا، ولكنك خبت.. ففصلوك من الكلية الحربية

والجسد يا أبى؟

- طلق زوجتك.

والحب؟

«وما صبرنا إلا لأتينا محبين، ليس الحب والصبر صبرين، فليهب
الحبيب - شاء له الهجر، لهذا أتاني أبوها بهللى المرصعة بتزيينات
الزائرين. وحملتها على كفى وأقدامى الكليئة أصبحت غير قادرة على
السبر وكان

- فأت وثيقة الزواج..

- ولكن.

- قلت لك هاتها

- سيعطكم اسمي..

ضحك الشعر تحت شفتيه وقال بخر أنفاسه..

- أصبح البقاء رسمياً - وجوب منع الحمل قلاً الدنيا!

لهذا صاع الجتود. وزارتني رأس الحسين، وقالت: ألف لعنة، جودك
ذهبوا إلى بيت زوجتك يصفقون لي ليالي الشوفا.

يا أم هاشم. يا بنت بنت رسول الله. محبوسكم آل البيت شغل
وجف... امتص الصبر بالشحن كل دم عروقه.. واقف بلا كلال. وما أمر
حزبك يا أم هاشم. وكم كان صبرك قاسياً. وأما ما فعلته يا حبيبي عندما
سال دم الأحباب تحت أقدامك تشربه الرمال.. فهو ما أدفع عمرى ثمة
لمعرفته. وإنني لصابر حتى أعرف. فما صبرنا إلا، لأننا محبون. أليس
الصبر والحب صبرين؟!!

الايكسام على هاتبة اللثام

ليكن شعارك أن كل الإنسان على الإنسان
حلال، عروحه.. وماله.. ودمه!

للمرة السابعة خلال عام واحد، أقسم صديقي «الدكتور مراد» أنه
سوف يغادر البلاد نهائياً ليقوم في الأعراس الإفريقية. وكان يردد ذلك وهو
يعكر في طريقة ينفذ بها «ملكه» الذي كان قد حوصر حصاراً قاتلاً وعندما
نجح في إبعاد الخطر عنه مؤقتاً، تنهد بإرتياح وقال إن التخلص من مازق
شئ جميل، لذلك فسيفقد فكرته في الهجرة إلى شرق إفريقيا مهما كانت
العقبات. وتأملت «القبيل الأسود» وحسبت كيف يمكن أن أهاجم الملك مرة
ثانية دون أن يقتل بذري، ثم هممت بأن فكرته مقربة إلا أنني مللت
ترديده لها وأن عليه أن «يكش ملكه» للمرة الثانية. إذ ذاك انقسم وقطب
حاجبيه طويلاً. وبأدي «تاهد» من الداخل وسألها عما إذا كانت البيرة قد
تتلجت. فعادت بعد لحظة بعرة شاي متوسطة تحسل البيرة وأطباق المرات..
وبما استقرت تأمل موقف الملك الصعب والتفكير في وسيلة لانتقاده من
الموت، كان «مراد» يشرب في تلفذ ويثرثر أيضاً بتدفق شديد وكان الوباء

كالعادة لثورتها اليومية، وقال أنه سيصطر إلى إنشاء معزل ثالث في طرف الشرقى للسديفة، ذلك لأن الرءاء انتشر وتقدم إلى مالا نهاية، رسال ناهد عن رسالة الأدوية التي وصلت أخيرا فقالت انها اوشكت على التفاد قشرب كاسه . وقاله

- لا أمل في شيء.. لقد انتهينا.

أطرفت ناهد رأسها إلى الأرض، كانت آثار الجروح مازالت غلا وجهها، وتشاغللت بإصلاح ثوبها الأبيض المصع يقع حمراء كبيرة. وسألت عن «ماعسة» فقال

- اختفت.. وهم يتسجون حولها الاساطير..

وفي تلك السنة كانت «ناهد» قد اعتصمتني في حجرة الكشف وعلى مائدته الجليدية الباردة حدث هنا ذات ظهيرة غاب فيها «مراد» عن عيادته، وقفت على المئزر وهي يجولى تقرأ ما يؤشر إليه، وفي محاولتى للترول وجدت نفسي في أحضانها وهممة نتج تصدر عنها لم أجد مبررا لها، إذ حتى هذه اللحظة لم أكن قد فكرت في الاحتكاك بلمحها الطرى. وخلال دقائق مغمومة عارست لذة الاحتكاك به وكان لزجا بالعرق، واسع الجسم كنداجة تنف ريشها، وكان الشعر ينتشر بين ثدييها لى خط طويل ينتهى قبل منتصف البطن ليعود بعد ذلك بقليل لى هرم كثيف ثرايد كثافته تدريجيا حتى تتحول ظلاما دامسا، ووجدت بدسى أسبح فى بحر من عرقها ثم أهدى تماما ومنذ ذلك اليوم لم يتكرر ما حدث، وقد انتظرت فى قلق أن تعاود اغتصابها لى، ولكنها لم تفعل ففكر حساسي لذلك.

وكنيت أعرف أنها عشيقة صديقى «مراد» ومخضته، فهي تقارب دورا وسطا بين المرحضة والزوجة. وفي جلسائنا الخاصة كان الباطلر الأبيض يعادر

جسدها لبحرك مكانه لثستان أخضر - وأحيانا يهيجنا أو قميص نوم - فتشرق بهارة على تلييه ما تريده، حريصة على ألا تتجاوز وضعها الدقيق، فلا نهزم كل الحواجز بيسا وبيها، ولا نتدى بها فنصبح خادمة.

وعندما تطفئت يوما على صديقى «مراد»، وسألته عن طبيعة العلاقة بينهما أكد أنها كائن شيطاني بلا أسرة، ولا ماص، والأرجح أنها عادت أسرتها فى ظروف غامضة لا يعرفها. وأسرلى أنها اغتصبته رغما عنه فى ليلة شتوية مطيرة كان فيها سكرنا وحزنا لسبب ما، وأنها تكرر اغتصابها له كلما أرادت وليس له أن يعترض وأكمل وهو يذيب شيئا فى كرب شى أمامه:

- فى بعض الليالى بعدنى الرعبه بيها فلا أجرؤ على الاقتراب منها وانتظر فى قلق أن تشير لى، ولكنها لا تفعل ولا يبنى أمامى إذ ذاك إلا الاستعانة بمد من الخارج.

كانت «ناهد» أميل إلى الاسمرار، ذات ملامح دقيقة كظفة، تبدو من بعيد هادئة ورفيعة، وجسدها لى إطاره الخارجى عذرى الملامح، وليس كذلك إذا تأملت تكريه الداخلى وفى مرات قلائل - خاصة قبل أن يستفحل الرءاء - وأيتها وهى تحشو سجانها بالحشيش، وكانت تفعل ذلك بدمه وتلذذ، وأصابها التحيلة ذات الأنظار الطويلة الخادة تتحرك بهارة وحيرة، ثم تدخى بشراة، وتضم شفتيها القسيتين على السجارة تتسحب نسا طويلا تحبس فى صدرها فيدرب ولا يخرج منه إلا القليل، ومادرا ما كان الصمت يفارقها، فتبتسم ابتسامة خيفة إذا ما سمعت منة. وتهز رأسها إذا سمعت نغما ورفضت باسرار ذات ليلة أن ترقص، وتركت أكعها المصفقة تدق الايقاع دون إجابة فقلت. ليهكن. أرقص أنا وأمسكت لى الراحدة ورفقت عينها دما تتاهان جسدى فى اهتزازاته السريعة. متشبتهين لأقصى الحدود برقصى.

وفي تلك السنة شعلنا مراد بمحدث متصل عن البلهارسيا. وقال أنه يفكر في طريقة جديدة للقضاء عليها. وأن فكرة طارئة نهت في ذهنه وهو يستعمل. أن يوقف حياته على هدف سام. بأن الهدف الذي اختاره، هو هزيمة البلهارسيا هزيمة ساحقة. وأكد أنه سيكون مشير أن يصح كمية كبيرة من مبيد حشري حدد نوعه في مجرى النيل فذلك هي الوسيلة الوحيدة والسريعة لافناء قوائم البلهارسيا. ولما نهته إلى أن ذلك سيقتل الذرع والخيران والإنسان أيضا. ضحك وقال بجديّة شديدة رغم أن كلماته كانت مشبعة برائحة الكحول:

- البلهارسيا كائن حقير وثاق، فاما أن يمشي الناس حياة قوية وسليمة وإلا فلا صبر بلحياة أصلا..

وقد اعتبرنا المسألة واحدة من فكاهاته التي لا تنتهي رغم أنها أصبحت مرهقة لنا، إذ أصر على أن يضع في كل مكان من مسكه لوحات حجرية مجسمة تطل منها دودة بلهارسيا مقبضة وشعبة المنظر، وذكرها يحتضن أشاها في بطنه، وفي ليالي الأسر كانت تتطلع عليها، تسمع كلماتنا، ترأب نظراتي المتسولة إلى «ماهد» وفي مرة أقسمت لهم أنها أخرجت لسانها لي. وقد ضحك «الشيخ رضوان» - إمام مسجدنا وواعظه ومقيم شعائره - طويلا، وقال أنه كان يتصالح دائما عن معنى حرف «البدال» الذي يسبق توقيع «مراد»، والآن فقط عرف أنه اختصار لكلمة «دودة»، أما «ماهد» فقد دافعت عن الدودة دفاعا حارا. وقالت أن لونها جميل وأنها تنصح بأن تنتج شركات الأصواف، صرقا بلونها الأصفر الباهت بيد أنها عبرت عن كراهيتها للأنثى التي كانت تستقر مستسلمة ببطي ذكرها.

وفي الليلة نفسها هرس الشيخ «رضوان» مهبط بطنه - وكانت تلك إحدى عاداته المردولة - وتحدث متفلسفا عن حكمة الله الذي خلق من كل زوجين اثنين، يسعى كلاهما للآخر، رجالهم قوامون على نسايتهم حتى في

زوجين اثنين، يسعى كلاهما للآخر، رجالهم قوامون على نسايتهم حتى في دينا البلهارسيا، سة الله ولن نجد لسنة الله تبديلا، ولولا أن ماهد عاجلة بعابة الجورة لاستمر في حريته الطويل. بيد أنه سحب نفسا عميقا، وأغلق عينه السليمة - فالأحرى عيشاء - ومضى يبتلع ببطء، ثم طرد ما يقى منه - وكان قليلا - وأسند رأسه على كتفه، وسبح بحمد الله طويلا

وكنا قد دحنا حتى اكتفينا عندما مضت «ماهد» إلى الداخل، وثادت «مراد» بصوت وحشي، فابهم ابتسامة هزيلة واعتذر لنا ومضى خلفها. رلة أنفرد بي الشيخ قال:

- هذه علامات الساعة.. صاحبنا تتعشى الآن بالدكتور..

فدعوتني إلى أن «ديكرس» لنا كرسيًا ندعنه ففعل، وقال وهو يداو لي العانة أن «ماهد» حاولت أن تمتددي على عقامه، ولكنه قاومها بمنع

- كانت مترحشة ومفترسة، خضشت وجهي بأظفارها الطويلة الحمراء. فأسالت «داني»، مرقّت جيتي، ععضتني في كعفي فضطخت على رقبتيها. أفنتت مني، حاولت أن تنال مكمن عفتي، فمكنت من ثديها الأيسر، عصرته بكل ما في كفي من قوة، فهاوت على الأرض. هزمت تماما.. وبكت..

سأله عما إذا كانت قد قدّت ملابسه عن قبل أم من دبر فضحك طويلا وقال أنها مزقتها جميعا ومن كل اتجاه. فقلت:

- محتفظك على عصاك في أيمانك، شجاعة حميد عليها.

شكر الله الذي هدانا إلى ذلك، وأكد أن جسدها مشعر، وأن الله يبارك في الرجل المشعر ولا يبارك في المرأة المشعرة.

ومن المؤسف حقا أنني لم أتابع ما حدث للشيخ «رضوان» بعد ذلك، إذ قضيت ما تلا ذلك من أسابيع في المستشفى عقب اعتداء وحشي وقع عني في الطريق الزراعي ذات سحر. وكنت قد أمضيت أغلب الليل أشرح

في القرية، وقدت سيارتي وكان الظلام حائقا والطريق خاليا وصامت كقبر
فرعونى. وكنت أتأمل في إصجاب مسير الرصاصة التي اخترقت الجبهة، ولم
أجد لها أثرا في قاع الجمجمة، ولم أجد لها أثرا في أى مكان آخر من
الجسد، وسلمت القتييل لأهله مجموعة متناثرة من اللحم.

وعندما حادث النخل الكثيف في منتصف الطريق وجدت عائقا يسه
سيارتي من الحركة، أوقعت المحرك. ولدت الظلمة أشباحا ضخمة ياداسي
وأخذ منها باسم لا أعرفه كان صوته غليظا وعريضا. ردد الصمت والفراغ
صداه المرعب. طلب منى أن أعطي أنوار السيارة وأغادرها. ولم أكد أفعل
حتى جاء صوته مرة أخرى عريضا كأنه العضاء نفسه.

- يا ابن الكلب.. محرم تتناول على أسباده

ولم أسمع بقية الكلمات. إذ انتهات على العصى من كل جانب مزلة
وشعبة. تدفق سائل غليظ القوام وحار على وجهي. خقت، فلكتى الرعب،
إنحنيت على الأرض، قبلت أقدامهم. توسلت لهم، بكيت. أحمى على
صعوت لأجدتى في المستشفى. وفي تلك اللحظة فقط اكتشفت أنى لم أكن
المعصود لأشئ لا أحمل الاسم الذى مادوه. كما أنه لم يحدث أبدا أن نظاولت
على أى من أسباده، إذ كنت أنوهم - حتى تلك اللحظة - أنني بلا أسباده
على الإطلاق. وقد ثبت فيما تلا ذلك من سموات أن هذا وهم خاطئ دفعت
ثمنه الكثير.

وفي المستشفى زارنى «الشيخ رضوان»، ودعا لى طويلا، وقرأ آياته
وتعاويذه، فقلت له:

- أنا حزين يا مولانا العار بجلتى، ثم أنسى دهش: كيف لم
أقدامهم؟ لماذا بكيت وقبلت أقدامهم؟
بسمك واستغفر طويلا ثم قال:

- أبشر، سوف تتغير الدنيا بهذا أنباتى هاتف زارنى لى الثام.

وأقسم أن هاتفه بشره بأنه مدخر لرسالة عظمى، لا تفل عظمة عن
رسالة «المسيح الدجال» وأنه تمهيد لذلك قد دفعت فيه كل التكاليب، ومن
اليوم قلا بخلجن من شئ، ولا يخافن من أحد.

ومضى فعاب طويلا، وسألت «تاهد» عنه فابتسمت ابتسامة ذات
معنى. وأكد «هراء» أنه لن يأتى، وقد لا نراه بقية العصر، فقد لرم بيته ولم
يعد يؤم الصلاة في مسجد مدينتنا الصغير. ولم يعد كذلك يؤذن أو يلقي
الخطبات، ذلك أنه ضبط ذات فجر وهو يحاول أن يلوط غلاما صغيرا في
الدور الثالث من منشة المسجد، وصرخ الغلام واخطف الرواة فيها إذا كانت
صرخته استعانة أو نشوة فتدافع الرجال الذين كانوا يستعدون لصلاة الفجر،
وعرقوا ببسهما، وضربوا الشيخ والغلام ورموا عمامة الأول وكاكولته وحتى
قطانه، ورفضوا أن يشركوا له علابه فسار شبه عار من المسجد إلى منزله،
فظمه صامتا وحزينا. وقيل - قلا عن غلام أمرد يعمل عنده - أنه يفكر
في الهجرة إلى بلاد الانجليز التي أباحت اللواط - كما قرأ في الصحف -
وقد اتضح بعد ذلك أن تلك كلها لشاعات وأن الشيخ لم يفكر في الهجرة.
بل كان ينتظر في قلق هاتفه. وكنت أقطع وقت المرض الطويل بالمستشفى
في قراءة تقرير عن حالة الأمن العام في مدينتنا، وقال التقرير أن هناك
زيادة ضخمة في عدد جنابات الاعتداء على الأشخاص، بلغت ٢٥٧ حالة
خلال الشهر الستة الأولى من العام، وأن هذه الحوادث تشمل الصرب الذى
بعضى إلى موت والقتل العمد. هذا فضلا عن حوالى مائة جنابة هتك عرض
واعتصاب بالقوة أدى بعضها إلى موت الضحايا أثناء المقاومة. وقلت
لنفسى إننى سأزيد الأرقام وأحدا في العام القادم. وأن ما حدث لى بكل
بشاعته سيصبح في النهاية مجرد رقم يزد من تلك الأرقام الغريبة

وكذب حضور «الشيخ رضوان» لزيارتي - مرة ثانية - كل ما قيل

عنه، وكان يومها هادئاً ونظيفاً جداً، وسألته عن عاتقه فقال أنه رآه،
وحاويه طويلاً. ثم قال له في النهاية:

- ليكن شعارك أن كل الإنسان على الإنسان حلال: عرضة، وماله،
ودمه.

وعندما خرجت من المستشفى كان الهواء في بداياته الأولى وزرت
«مراد» في عمله فوجدته يعمل بعض العينات أمام ميكروسكوب عتيق،
وانقبط قد تركنا نصف مرمى، جلست على مقعد معدني فمرت براحة
لرطوبته، قال:

ظاهرة شريفة العينات كلها سلبية حتى الآن. المشكلة أن
«ناعسة» ترفض أن تعطينا أي عيانت.

وكان الربا قد بدأ في عربة على أطراف مدينتنا ثم انتشر كانت
الأعراض واحدة. وربما في الحالة الأولى فقط بدأ الأمر غريباً إذ أمر
العريس وأعلن أن اسمه كان «أيوب» ألا يقض بكارة زوجته في حضور
شهود، ورفض المندبل الذي قدمه له أبوها طالباً منه أن يرده حاملاً الدليل
على أن أخته صانت عرضها واحتفظت بعذريتها سليمة وفي اللحظة نفسها
كانت العروس - واسمها على سبيل التقطع «ناعسة» تطره الدابة وأم
العريس وأخوانه، وترفض أن تخلع ملابسها، أو أن يحضر أحد لحظة لقائها
بزوجها، وعندما حاولت الدابة وأم العريس أن نوثقها نكح تزويها مهتمتهما
تشاجرت معهما وعصت الأولى في عجيبتها إذ داك ضرب أبوها العريس،
وأمره أخوالها أن يفعل كغيره من المرسان، فرفض بشدة، وقال أنه سيدخل
بها في أي رث يشاء، ولطمت أمها حديها وولولت في لئاجل، وحلت
شعرها وإنهالت العصي على «أيوب» من كل مكان، وتحطمت مصادر
الصوت كلها، وفي الظلام الدامس أطلق مجهولون الرصاص، وحلت ساحة
الحبل، وارتفعت أصوات النساء - التي كانت تزغرد قبل الخطاب - تصرخ

في رعب قاتل، ولطخت الدماء التي سالت كنافورة قطعاً كثيرة من أثاث
العروس.

وفي السحر حملت إلينا الاسعاف وأيوب مصاباً بجرح عميق في
رأسه ويكسور في ذراعيه وساقيه، وتفاقت حالته في اليوم التالي وأصيب
بعضى حادة، ولم يكن يتحسن قليلاً حتى أصبح يطرد كل ما في جوفه
وتدهورت صحته بشكل مرعب، ورأيتها واقفة على باب حجرته، قلقة
وحائرة ولكن وجهها الأسمر لم يفقد حرته في أي لحظة، كذلك فحلب
ملايسها، المحشمة أن تخفى سمات جسدها المسنة. كان كل جزء منه يقود
إلى الآخر بشكل تلقائي بحيث لم أستطع في كل من أواجهها إلا أن
اتعرج في كل قسماته وكانت عيناها صافيتين ثابتتين، لا تطرفان أبداً
مهما حدثت فيهما. وفي مرة اجتذبت صدرها، كان خصباً كأرض يرايح
وقلت ليسى أن أطفال العالم سيسعدون لاشك عندما ينامون فوق هذا
المحسنة الواسعة الدافئة...

وبعد شهر من شدة، عاد إلينا، ورأيت يومها شاحباً ضعيف
النظرات، خجولاً وكان شاربه قد تهدل. وشكا في كلمات متقطعة أنه لا
يستطيع أن يؤدي واجبه كزوج، وأنه في اللحظة التي يشعر فيها أنه في
أقصى لحظات توجعه والتي تنتظرها زوجته في عطش محصور، في تلك
اللحظة يشعر بألم شديد في مؤخرة رأسه، وكأن آلافاً من العصي الغليظة
تنهال فوقه، ومع الألم أعاد تخفى حماسته قداماً، ويرقد متهازاً كحرقه
قديمة بجوارها.. وضحك «مراد» ضحكة عالية وهو يردى الحكاية لنا في
المساء، وقال أن العالم يتفقد في اكتشاف الثورات ليحظى بعجزه الدعين.

بعد أن الشهر التالية حملت إلينا الألباد الكاملة للخطر الذي
تعرضت له مدينتنا والذي كان خطر حقيقياً، إذ بدأت الحفلات تتزايد، وظهر
أن المرض كامن كالنجمية، وأن ستارا من الحبل كان يحول بين الرجال وبين

التعبير عن الكارثة التي أودت بزوجاتهم. وقد تأملت طابورهم الطويل اليائس والمجروح سواء في ردهة المستشفى الطويلة، أو في حجرة الانتظار بعبادة «مراد». وكانوا خليطاً لا يجمعه شيء، مصممين وعطريشين وعراة الرؤوس، وحذائي الشعور تماماً، وعدد من شباب الهيبير بشعورهم الطويلة وسوالهم النسائية، وقد تأملتهم «ناهد» بنظرة يطل منها الاقتراس لم تدم إذ أدركها القنبر وخيبة الأمل سريعاً.

وكانوا دوماً قلقين يبدخون بمشاهدة وتروعج أطراف لعائهم حتى لتحدث فرقة حقيقة، والقريب أن نظراتهم كانت لا تستقر على شيء وله تكن عيون أي منهم تلتقي بعيون غيره إذ شغلت كلها بتأمل ديدان اليهارسيا التي ملأت الموانط في تشكيلات هندسية معقدة. وبدأ من تأملهم لها أنهم معجبون بها.

وفي مرات ليست كثيرة، جاءت نساء، سألن «مراد» أن يكتب لأزواجهن أدوية مقوية ومعيدة للشباب وباعثة على الحيوية، وقلن أن أزواجهن يخجلن من الذهاب إلى الطبيب وأنهن تفصلن أن يكون الدواء في شكل مسحوق حتى يسهل عليهن أن تدسسه في طعام أو في شراب دون أن تضطرين إلى الاعتذار لأزواجهن بأنهن لجأن للطبيب. وكان «مراد» يضحك في سره وهو يطلب منهن أن تصعدن إلى مضخة الكشف، حيث يتيح ليد فرصة ملاسة أجسادهن، ليقول لى في النهاية:

- تصور هذه الأجساد الجميلة. لو ظلت هكذا عطشاً، إن كارث قومية في الطريق.

ويبدو أن توقعه كان صحيحاً، إذ ظهر «الشيخ رضوان» فجأة ذات مساء وأعلن أنه أنهى اعتكافه بعدما وصلتته أنباء الرباء، وترحم على أيام الكوليرا والملايا، واستعاف بالله من شر النفوس السيئة، ومن كذب اللسان الذي دفع البعض إلى اتهامه بأنه عاد إلى ممارسة هوايته القديمة في

الاستعانة بالأحبة والتعاويذ لسلب الرجال قدرتهم على الإحصاب، وأقسم نفسه معلماً بأنه ناب عن ذلك تربة نصوحاً. وأنه مزق الكتب والأحجبه كلها، بل أنه حاول أن يعود إليها ليستعين بها في دفع البلاء الذي عم مدينتنا فلم يجدها، ثم سكت طويلاً فسألته «ناهد» عن هاتمه، وماذا فعل معه.

- الظاهر أنه هائف ليس أريطة، مضى ولم يعد.

وصحك صحنكة قصيرة وأصاح

- عندما يحل هراش الرجل من صجبة، أو تكون العبارة رديئة، فإنه يفكر عادة في أن يكون تيب، وذلك في شيء ما دفع صديقنا الدودة إلى الاعتصم بحكاية لينهارسيا

ضحكنا قهقهة بطن الشيخ في تموجات، واكتشمت لحظتها أنه يتنسى بشكل مباشر إلى جد من القردة العليا، كان وجهه مجذور وأنه صعباً ككرة صغيرة مبيتة بالحقر وتوقف الصحك وقلت جاداً:

- ولكنك يا مولانا كنت متحمساً لدعوتك، وهي دعوة جديدة بالفعل.

شدّ نفساً طويلاً من غابة الجورة وازدوده قال:

- راجعت بعض الصحف فوجدت أنها دعوة قديمة جداً

وضع مسبحته بجوار الاناء الذي يحمل جمرات النار، ومضى يتحدث عن فصائل «العبارة الهندية» فقال أنها تنشط الجسد الخامد وتوقظ الرعدة الهمة وأنها مدرة للنسل وقاتلة للكدر. واقترح أن يكف عن التدخين في الجورة والسجائر. رأى يضع «العبارة» كلها فوق النار ونعلق لتواظ مستنشقين هراً، كله خطر. وتحسنت «ناهد» للاقتراح، واعترض مراد عزمكنا أن الطريقة قد تؤدي بت وقتكنا

نهايتها أصغر الرجال وبهذا تركها خراباً يباباً وقد احترق فيها الحرق
والسحل، ودعانا إلى أن نحزن مثله حزناً عميقاً لا حد له، وليكن حزننا
جديلاً ككائناتنا، فنعيش الحياة بكل ثمانية فيها لا نضمن بشئ.. بيد أنه
أكمل فكرته بتوضيح أكثر - عقب عودته من الداخل هو و «ماهد» - فقال:
- هذا بالطبع إذا كنا ما نزال نملك القدرة على ذلك!

قطعت الحديث لالفت نظرهم إلى صورة غريبة وجدتها في جريدتي،
وكانت الصورة لامرأة فيتنامية قُتلت إثر غارة، ويبدو أنها كانت تستحم في
جنول صغير تاركة طفلتها على شاطئ غاصبتها الشظايا في مقتل، وكانت
الصورة لها وهي مارية قداماً، مينة، والطفلة الصغيرة قد تحركت نحو جنبها
بعد ما قرصها الجرح، فالتصفت حلمتها، وأخذت ترصع من لديها الميت.
وقلت لهم:

- ما رأيكم يا أصدقاء في هذه الصورة للمبرة؟

قال «مراد» أن جسد المرأة نموذج أنثوي رائع، وأخرج نظائره الطبية
لكي يؤكد من أن ما قاله مطابق للواقع، وتقررت بشعرها الأسود الطويل،
وكان مهلاً بالاء، يحيط بوجهها كشعار الخداد، بينما لفتت «ماهد» نظرتنا
إلى الشظية التي أصابت المرأة في منتصف بطنها وقال «الشيخ
وضوان»:

- هنا انتهاء حرمة الموت. والصورة فوق هذا مثيرة للغرائز الدنيئة.

ضحكت «ماهد» ضحكة طريكة - وكانت تثرثر بكثرة، وتلك حالة
قادرة - قالت:

- ولكن لا تنس يا مرلاتنا أن العرائز الدنيئة قد ماتت، وحتى لو
كانت حية فإن ظهر المرأة لم يظهر!!

وانقبرنا ضاحكين، حتى «الشيخ وضوان» نفسه تهقه مدارياً خجلاً.
وقلت مقبراً حديث.

الحقيقة أن الرصاصة هي أوقع ما في الصورة، ماتت الطفلة
لاشك، ولم يحن الشئ عليها بقطرة لبن واحدة.

وقال «مراد» أن هذا سيحدث في مدينتنا، وأن الرباء سيقتضى علينا
تماماً، وأنه يلزم لعصر المدينة ثلاثين عاماً أخرى، كعصر أقصى، يموت في

اضغاث احلام

« .. اودعت قلبي إلى من ليس يحفظه .. ابصرت
حظي وما طالعت قدسي .. »

١

في الصباح شرعت في قتل «رمسيس الثاني» أخرجت مسنمي -
«برلوسج ٩ طلقات» - تأملت حبة الدقيق قبلته. سررت إلى شفتي
رطوبته. مزدهجاً كان الميدان. رجال معروّقون صُفر الوجوه. جمعهم ينظر إلى
موطن أقدامه. قلب لعل قرشاً ضاع، فمن يحميه في هذا التزاحم؟
وقفت «ليلي» على محطة الأنوييس. أشارت إلى التمثال في وجهه.
«سعاد» كانت معها. تعلقت عيناها بقمة التمثال العالية. ظلت مشدودة
إليه.

قلت سأضرب الرأس حتى يموت بطلقة واحدة كان موطنو شركسا
ينتشرون كالنبايب المنهك.. قلت أنهم سيشهدون ضدي في المحكمة. صوت
المسنمي. أطلقت رصاصاته التسع في تدافع مستمر. لم يحدث له شيء

طانت في الهواء ثلاث رصاصات، توزع الباقى بين القاعدة وقدمه اليمنى.
واحدة فقط أصابت وجهة الجرائيتى، أشار «رمسيس» إلى العمارة العالية.
إقتربت منه صحت.

- تريدنى أن أنتحر، لن أفعل!.. سأقتلك.. سأقتلك.

حرك قدمه اليمنى ليربها من الموقف حبلتى طارئة، علقى فوق
لاقته فتلقى بشعل الطابقيين الآخرين من باطحة سحاب تطل على الميدان.
صرخت جزعا، تسلمت ضحكاته حلقى، قالت بت جالسة في تراسى الفندق

- انزل يا شاطر.. روح لأهلك

.....
.....

تقلبى في فراشى، كنت قطنى لحوم حول إطار فوق «الكوميديتر»
تنشمه، أظلت على من خلاله ابتسامة «سعاد» الخائفة، تنابت، حملت
فوطتى توجهت إلى الحمام

٢

في انضحى قال صديقتى «محمود» :

- شىء غريب.. لم أتم دقيقة واحدة ليلة أمس.. صراخها إطار النوم
من عيني.

- والطبيب ماذا قال؟

- طيبته في بيت غنخ زعلانا، قلت إنها تصرخ، يبرود قال : وما
عسى أن أفعل؟ أى شىء يا دكتور أكاد أجى، قال: لدى مشروبات جسم

فلا تضيع وقتى أعطها المسكن، فقد مفعوله يا دكتور لا جديد لدى ثم
بحسم، لا تتصل بى بعد العاشرة، من حقى أن أنام.

- كلب.

- أكلنا لحما وتركنا عظاماً.. بحث ما أمامى وما ورائى.. عفش
زواجنا كله..

- إصير.

- العليزبون والثلاجة.. واليو تاجاز.. طرمة الصالون.. كل شىء.

- إصير.

- حقا.. ولعرض أنى لم أصير، فمادا سيحدث.

- لعل معجزة تحدث.

هربت بهصرى من القاعدة .. كان التشال واقفاً يتقسم لى
شباته. قلنت:

- سأقتلك يا «رمسيس الكلب» .. سأقتلك.

٣

عند الظهر خرجت من باب الشركة، ضحك من عمق حنجرتى على
نكته سمعتها، انحنيت أنقب عن القرش الصانع فى الأرض.. صرخ فى
شرطى المرور، ابتلع اتساع الميدان التشال، اقتربت منه، تأمب قاعدة،
ملساء، كانت، قلت : لو حاولت الصعود إليه سأقع وتندى رأسى لو سلم
حتى طائرة، لم أرقع فى دغمر الاتصراف لثالث يوم، لهذا سيستدهينى
العام.. ينظر إلى بعينه الجاحظين.

.....

- يا أستاذ «صابر».. لك ثلاثة أيام لم توقع في الدفتر وعندما سألك سغرت منهم.. لا أحد يجتبي من العتاب.

تجبن لللمحة الفاصلة.. لهذا تعد العدة منذ أيام.. أصرخ:

- أنت لست مديرا.. أنت كلب.. مرتضى ولص.. بدل السفر ستة جنبيات في اللبنة. لماذا؟ تسافر إلى لاسكندرية لتصف وتأخذ أجرا إسماعيليا وأنا انتصر في عز الحزن.. وتطلب مني أن أوقع في دفتر الاتصاف شخصي على أبوك.. وقع.

يبهت وجه المدير العام.. ينتشر الاحمرار في ملامحه المكثرة ينظر الى في حرف :

- لا تزعل يا أستاذ «صابر» إهدأ أرجوك.

أخبط على المكتب بمجسع يدي .

- إخرس.. ما لزوم هذه السكرتارية الملهلة؟ ماذا يفعلون؟

يرتبون لك المواعيد الغرامية؟ صورتك ربح صفحة إعلان في الثلاث جرائد.. من تظن نفسك؟ «بيكسون»؟ أنت مجرد لص وضع وسافهك..

يخرج من وراء مكتبه.. يقترب مني.

- أرجوك يا أستاذ صابر.. عندي أولاد.. الله لا يقضحك..

جاء وقت تفجير التنبلة.. شيطان أنا وعهد الله.

- رليلى؟

- مجرد سكرتيرة والله العظيم.

زغدته بيدي.. اهتز تواريه.. كاد يقع.

- .. والسهرات الخاصة في شقة العجوزة؟

- سهرات عمل والله..!

- وهل العمل وقص.. وريسكي.. وحشيش؟

كذب والله العظيم كذيد.. إشاعات المفرضين.

تجرك تاركاً مكانه.. طلت محله.. جنست خلف المكتب.. المتعد مربع والهراء وطب والصوم.. خافت..

مددت يدي.. سحبت سمجاً هائناً من عتبة أنيقة على المكتب قلت:

- .. والآخر.. بالعلاوات والمكادات الشجيرة؟

- أظن التحقيق العاد.. قدم المفرضون شكاوى متعددة للرقابة الإدارية ضدي.. ولكن أوراقى سليمة

- وبعد؟

- وحققوا معي أيضا في الاتحاد الاشتراكي.. وثبت ان أوراقى سليمة

صحكت.. أحدث أقدم اظاوى بمفص طويل وجدته على سطح المكتب

عاد يقرب

- أوراقى سليمة

خبطت على المكتب بعنف.. وقلت :

- لكن ليلى دعت «سعاد» إلى شقة العجوزة يا رعد؟

- «سعاد» من؟

- صاحبة أجمل صدر وأشهى شفتين

نظر إلى بحيرة.. قال مراوغا.

- لا أهمها

وقفت.. اقتربت منه عندما رأى القمص في يدي خاف.. صرخت :

- بل تمنى يا متصاى يا وضيع. ألم تقل هذا الكلام؟ عايز
هذه البيت، من؟ الهايشة اللي هناك دى. «سعاد»؟ أبوه.. صدرها متهلج،
فكرتني بيمين راسل. ستاتين بها هذا الاسبوع يا «ليلى». حدث أم لم
يحدث.

- لم أقل هذا الكلام.. وأوراقى سليمة.

- لا تكذب.. رالا ألقيت بك من النافذة.

- حاضر ولكن لا تزعج.

صحت وأنا ألوح بالمقص الخاد في يدي.

- وابعد عن الأجراس. لو حادث الاستعانة بيد من الخارج سأقتلك

فورا.

- بعدت.. لكن من نقل عسى هذا الكلام..

- قرأ ذلك خاطيت «سعاد» لتذهب الى شقة العموزة، بدعوة منك.

لم يحدث!

- ألا تعلم أنس «وسعاد» خطيبين و ستزوج في الخريف

بُعت. عدت إلى الالتفاف حوله في حركة صامتة. قال بتسليم

- ليكن. ولكن كن عصريا. أنت شاب وتفهم طبعها، مجرد مروءة

أنا أسف لم أكن أعلم أن «سعاد» لك طيش شياپ.

صرخت.

- انتهى نفسك شايأ يا عموز يا مخرف..

هجمت عليه. أوقعتته على الأرض. قاوم بشدة. حبطته على رأسه.

صرخ مستغيثا. صحت.

- أكنم فمك رالا تقتلك. ساحرلك إلى «أغا» كي تكف عن لادعاء

الفرقة. سأخصيك بالكلب!

ترايدت صرخاته تهشت زهرية ورد زجاجية فوق رأسه. مرق المقص
في يدي يحرق ملاهيه الفاخرة. وصلى إلى هدده وشم حناوسه الماركة..
وعندما أفتح الباب وتدق الموطعون. كنت قد أُلُمت مهتج. وهم يتدافعون
بحره.. خرجت مصلا. وصحت غيغتي البلهة بالدم على مكتب «ليلى»
بهذه. ستلهم الإشارة وتعلم أن أوان اعتزالها القوادة قد حان.

انطلقت صفارة عالية - تراجم البعض حولي اقتادى الشرطى إلى
كشك انور قى الخيدان. قال لصابط:

ما هذا يا أستاذ. كادت السيارة تدهمك

كنت سرحانا.

- فيم؟

- لا شيء. أفكر.

- ولكن التفكير متنوع يا أستاذ؟

- كيف؟..

- متنوع لدينا في إدارة المرور. إدفغ الغرامة رالا حبستك

٤

جلست أنتظر التظار على يوقيه المحطة. طلبت شاي. أشعلت
سيجارة

قال القاضي :

- يا «صاهر» لماذا أحدثت بالمدير العام الإصابات الميمنة بملابس
الطبيب الشرعي؟

- لكني يسود العدل يا أختكم..

أبتسم القاضي. خرج طربوشه على الجانب الأيمن. قال :

- إعتقل وأجيب. أحسن لك.

- هذا هو العدل. طلب مني هاتف في المنام أن أحقق العدل على

الأرض

ضجعت القاعة بالصحك وبهمهمة. صحت.

- إصمتوا أيها الناطقون بالدين المقترمون للحظينة الصامتون على

الإثم..

دق ناقص بمطرقته على المنصة. قال

- أنت تهين الشهود

- ولكنهم غريبون.

- شهد الجميع بأن المدير العام كان حسن السير والسلوك. يصلي

خمس مرات يوميا ويصوم رمضان. ويمتثل وورد التوبة قبل النوم ويؤتي

الكنيسة يوم الأحد فيعترف بين يدي أبرما «لوقا»..

- قلت أنهم غريبون

- وبدل ملئه السري في الوزارة وفي كل الجهات التي تحتفظ بملفات

سرية على أنه كان رجلا فاضلا تقيا ورعا.

- قلت أنهم غريبون

دق القاضي على المنصة. وصاح :

- ولكنه كان صديقي

هزئت رأسي منشدا

إن كان منزلتي في الحب صدكم ما قد رأيت فقد ضيعت أمانتي

أمنية هفرت بها روعي رما واليوم أحسبها أضغاث أحلام

ظهر القاضي إلى أوراقه. وقال:

- لجمال أوراقي انتهم إلى فضيلة المعنى..

قادوني إلى الخارج. انشدتهم ورد التوبة الأخير :

أودعت قلبي إلى من ليس يحفظه أبصرت خلفي وما طالع قدامي

.. .. .

.. .. .

انحنى الجرسون أمامي قال.

- هل تريد شيئا

- لا

- رأيتك تشير فستك تطبني.

- كنت أكلم نفسي..

- هذا وهاء منتشر هذه الأيام.. كان الله في العون.

- قهوة.. قهوة سادة من فصلك..

وصل قطار إلى رصيف ٣ تنازع عدد من الركاب. اشتد الزحام حسوت

القهوة الباردة مرة واحدة.

.. .. .

.. .. .

انشق الزحام فجأة عن رجل يجري. لم يشبه أحد في البداية إلى

صراحه. أخذ يلف في فناء المحطة. تحيرت صراحه.

- أنا مش مجنون . والله العظيم مش مجنون.

جلبابه ريفي مخزق . حاتى القدمين توردها معاط بأرطة مهلهلة

انفدع شرطى وبنى هزيل الجسم جرى خلفه صرخ الشرطى

- خلّقى يا جدع إنت وهو . إمساك هذا المجنون.

وقف اناس يتمرجون . نجسعت شلة من الرجال والنساء . أخذت تسمع

صراخ لرجل :

- يا عالم وكتاب الله أنا عاقل . والله العظيم عاقل .

صرخ العسكري .

- على ماذا تتمرجون . سيهرب وأروح أنا فى داهية . خلّقى يا

جدع . أين عساكر المحطة ؟

جرى خلفه . انتقلت المطاردة إلى الساحة الخارجية للمحطة . تجمع

المتفرجون . جرى كثيرين ليجدوا لأنفسهم مكانا . أخذت أدفع من أمامى

لكى أجد لنفسى مكانا فى الصف الأول . عاد الرجل يصرخ

- قعدت بالمستشفى ستين . هيت رجعت البلد . بئخ عسى يا

عالم المجدوتى . والله أنا عاقل . الهادة السيت . وإحنا فى شهر يؤونة

والجمعة سبع أيام . والسما سبع طوابق . وأعرف «بيكسون» و «موشى

ديان» كمان .

جلس العسكري لاهثا على الأرض . قال متوسلا :

- يا «بيومى» حرام عليك . أنا سأروح فى داهية بسبيلك . عدى

أولاء فلا تخرب بيتى . تعال . تعال .

أخرج «بيومى» من جيب جلبابه سكبا طويلا تراجع رجلا كانا

يهمان بالتدخل صرخ .

- أنا عاقل «يا أمياشى قرج» . الكلام الذى قلته صح أم لا ؟

قال العسكري يتوسل :

- صح يا أخويا . صح .

صدق أم لا ؟

- صدق يا أخويا صدق . لكن تعال .

- لا تقترب عشى . أمامى أنت وكل الناس إلى القسم . أنت عارف

كل شى . قل لهم أن تهمة الخشيش مزورة . وأنه هو الذى دسها على . وهو

ندى أحمرى على تظليلاتها . ولهف انقبراط بتراب الفلوس .

- حاضر . تعال . تعال معى . اخق على . أنا أرحمك ولم أضع

انكبهات فى يديك . يكون هذا جزئى ؟

شق شرطيان الزحام . لبعهما «بيومى» . جرى بعيدا . حصراه فى

ركن من أركان الميدان دارت عيناه فى صحجريهما نظر إليها نظرة متوسلة .

سكت الجميع وهم يقودونه إلى الخارج كان يبكي بصوت مرتفع . نظر إليها

أحيلا نظرة عاتبة . ومضى .

.....

.....

- يا أستاذ . أساد .

- قمت عتق فلا . قال الجرسون .

- لمت فى مكانك . خشيت أن يفتلك القطار ؟ إلى أين تسافر ؟

- إلى . إلى .

- طنطا أم الاسكندرية ؟

- بلاد «واق الواق» .

- نظر إلى بلادة مضى .

.....

.....

في الماء تحدثت حبيبتي طويلا عن الحب والحرية.. كان رأسها محسورا بخفيظ من التعبيرات التعبيرية والفلسفية.. اتسم الجرسون ابشامة لرجد قال

- تريد ن شمسية؟

رفضت بتمتمة غير مفهومه.. عاد يلح..

- كي تكونا بأمن من التطفل.

صرحت فيه

- إمشي.. أغرب عن وجهي.. كسبي..

نظر إلى خائفا.. مضى جاء انترودوتيل بالطلبات.. احسني لأخر..

علقت حبيبتي على الحداث يتشقات أفكار.. سرحت طويلا

..
..
..

جاء «بيومي».. أحسني أمامي.. قبل أقدامي.. صاح

- أنت تعرف كل شيء.. فهل تشهد معي

حيما.. ولكن أين؟

- لا أدري.. أكتب شكوى الآن.

- لضبط النقطة !!

- كتبت له واحدة مركها ورماعا في وجهي قال مجنون

وأين.. ..

والأمور؟

- دخلت له قال = أمعقول أن يخطف سيادته امرأة من رجل مقشف

مثله؟

- لمن إذن؟

- فكر أنت !!

..
..
..
..
..

قالت حبيبتي..

- أفكر في ماد ؟.

عدت من جولتي منهكا صرخ «بيومي».. تنظر لحظة تركته.. امرأة متصايبة تجلس على لنتضة المجاورة ومعها فتاة صغيرة.. اظنان أصباغ على وجه المرأة وفي صفا سيجارة.. الفتاة قلقة مربكة.. قلت

- في لا شيء

قالت حبيبتي

- «صابر».. أحولك عربية هذه الأيام.. لعل أعصابك مضطربة

- وأية ذلك أني أحلم أحلاما غريبة

- مثل؟

- رصاص رشادتي ومقصات.. تتأل صخم ودماء.. «بيومي» يصرخ وما

من سمع.

- من «بيومي»؟.

- صديق من أصدقاء الطفولة بالقرية

- وأين هو الآن؟.

- في مستشفى الأمراض العقلية بالمحاذكة.

- يا حفيظ..

- وأمس ركبته حصاناً أشهب، وسرت من الشوارع أنهادى والناس
يهتف بأسمى.

- أحلامك طريقة .

جاء رجل أكرش استقلعه العجوز المتصابية باسمه . أرتبكت البت
الصغيرة..

قالت وسعاد :

- مررت على البجار أمس قال أن ثمن القشرة راد عما اتعنا عليه
وطلب مائة جنيه زيادة

- لص

- نعم.. ولكن ما العمل؟

ملعون أبى القشرة

- لا قبضة للمويليا بدونها،

- ملعون أبوها من الأرض.

ابكسف وجهها، خَبَتْ لُحْمَتِهَا. شعرها حريري طويل، صدرها أصوى
واقر الدسامة، بدا من شق الثوب بعض عيطائه. أهدته ليدى المتلصصة
أكثر من مرّة. تسرب منه دماء منتشر صحت يومها «وملوسى» -
دثرونى». ضحكك وبيلت ظاهركفى وكانتا تعصران دمانتيها

قالت أنت عصبى جدا الليلة ماذا حدث .

- لا شئ.

بدوقة حثان مذحجة، قالت «صاير» لا تُخْج عسى شيئاً.

أحجلنى حثانها، قلت لا شئ.

- لم تعد تهتم بعثنا، لعنت المويليات ولغدا تلغسى.

- غير معقول، لكنى مرفق.

قالت .

- رأيت تصميمي جميلاً لركن الاقتربه ساريكه غدا.. ما رأيك؟

نعم؟

- أنت سرحان. أألك، أين نضع التليزيون؟

نقختُ بصوت مرتفع :

- لا أهل، يريد النجار مائة جنيه. من أين مأنى بكل هذا؟.

كلمت «لهلى» اليوم. قدمت طلب سلقه وعدتني بالتوصية عليها
لدى المدير العام..

قلت أن الورقة التى قُدِّمتها لابد قد توثت بالدم الذى ساء حين
وصعت عيمنتى على لوح الزجاج وهى تنظر دم

كنت فجأة ترمخت المكان. مررت وأنا خارج بالمنضدة المجاورة
كانت المرأة المتصابية تهمس للرجل .

- . وهى عروس فى شهر العسل كما طلبت.

٦

والسيد المحترم صاير سويلم

تحية طيبة وبعد

نظرا لتعبكم عن العمل لمدة خمسة عشر يوما متواصلة دون إخطار
لقد تقدر فصلكم من الخدمة اعتبارا من تاريخه. تطبيقا للمادة ٣٤ من
القانون.

وتفصلوا بقبول عائق الاحترام.

«المدير العام»

«إلى مولانا وسيدنا الأمام الشافعي رضي الله عنه وأرضاه، بتمامه
الكرام محمد بن محمد بن محمد»

.. يا ملاذ العدل.. يا قاضي الشريعة..

سُئِلْتُ عليك عيسى وحبيبك رسول الله وآل بيته الكرام. وَحَفَّتْكَ
بالحسين الشهيد وأُم هاشم الطاهرة. أُنْ تَأْخُذُ لِي حَقِّي مِنَ الْمَجْرَمِينَ. سَرَقُوا
الْحُرْمَةَ وَوَجَعُوا قَهْرًا طُ أَوْصِي كَانِ عِنْدِي وَاتَّهَمُونِي بِالْبَاطِلِ وَالْقُورَةِ وَرَمَوْني
بِمُسْتَشْفِي الْمَجَانِينَ. وَعَلَاوَتِكَ عِنْدِي يَا قَاضِي الشَّرِيعَةِ أَنَا عَائِلٌ.. وَالْحُرْمَةُ
عَائِرَانِي. وَأَنَا عَائِرُهَا. الْعَدْلُ يَا قَاضِي الشَّرِيعَةِ. الْعَدْلُ..

خادمكم ومحبيكم إلى يوم القيامة

بيومئذ هب الصمد

من كفر الشرقا - قلبه

ملحوظة أن الآن باب مقامكم الشريف أنتظر كراماتك يا عيسى
يا قاضي الشريعة ثمود الحق إلى أمه. ويا قاضي الظلمة جزاهم. مدد ..
مدد .. مداد

قال صديق: «محمد»

.. لا فائدة.. يوما سأنتقلها لا تخلص من العنايب

.. إهدأ يا «محمد»..

بصوت مخفف قال :

- كيف أهدأ. ذُيِّلْتُ دَابْتُ. فَي عَيْبِهَا نَظَرَةُ مَعْدُومَةٍ لَوِي الْأَكْم
شَمْعِيهِ وَكَانَتْ جَمِيلَتَيْنِ كَحَلَمٍ فَقَدْتُ كُلَّ شَيْءٍ. تَقَاتَلْنِي بِالْمَذَابِ كُلِّ يَوْمٍ
مِائَةَ مَرَّةٍ يَنْشُرُ صَرَاحِي جَسَدِي. يَهْدَأُ بِأَعْلَى الْجَمِيعَةِ. يَنْشُرُ الْمَشَارَ مَرَّةً
وَمَرَّتَيْنِ. ثُمَّ يَمُرُّ فِي الْمَطَامِ الطَّرِيقَةِ يَمُرُّ بِطَلْبِنَا جِنَا يَمُرُّ طَوَالَ الْكَلِيلِ
وَالنَّهَارِ.

صمت لحظة قال:

أَمْسِ كَانِ عِيدُ رَوَاجِنَا الْأَوَّلِ.

- إصبر يا «محمد»

- حق. ولتعرض أنشئ لم أصبر فماذا سيحدث؟

- لعل معجزة تحدث.

معجزة. تعود على المعجزات

في الركن كانت «سعاد» تقف مع «ليلى». كانتا تتضاحكان
بخفة.

في عز الظهور بدأت مهمتي. ألقيت سلم الحبال على قمة قفص
ومسوس الثاني. شبت مقدمة السلم في رأسه. بدأت أصعد إلى القمة.
ارتفعت علوت. انهكني الصعود
للت لا بد أن أصعد. صعدت. في النهاية جلست فوق كتفيه
أعطت رقبته بساقي أخرجت الذنباقي من جيبي بدأت أدق. وأدق.

.. طارت شظية من التمثال كادت تصيب عيسى، عدت أدق ..
الآزميل صغيراً ولكنني عدت أدق، نظرت من عل، كان الناس صحاراً،
روؤسهم محببة، قلت أن القرش مارال نائها، تبه واحد، صاح من أسفل، لم
أسمعه، لَوَحَ بيده مهدداً.. صحت ،

-اسكت

-

-اسكت

تجميع الناس، ازدحم الميدان، صعد الشرطي على السلم، ظل
يصعد ويصعد، صاح :

انزل يا مجنون-

- انزل أنت والأقنصاك

رفعت الذمحاق - هصت أن أقذفه في رأسه في اللحظة التالية صرخ
صرخة مهولة، تهاوى ساقطاً على الأرض، عجبت، كان «بيومي» يصعد
سرعياً على السلم، قال :

- غرست المسكين في ظهره

فرحت جداً.. سألته عن حاله، قال : رفعت بباب قاضي الشريعة حتى
جاعتني البشارة، قلب : التمثال صلب جداً أين أدوائك؟ قال ليس معي
شيء، ولكن أسناني كالخديد.

عض جزءاً من الذراع، أكبها بثقله، عض جزءاً آخر ، وثالث، تجميع
الناس في الميدان، ضحككت.. قائلوا شيئاً، صرخ «بيومي»

- اسكتوا أيها المرءوسون-

انزل يا مجنون أنت وهو

صرخ-

- حنك قاضي الشريعة، ولا بد من تنفيذ الحكم..

صعدت أقدام متعددة على الخيل، قال صوت

- يا «صاير» أن «محمود» قتلها واسترحمت

قلت : تمجلت يا غبي..

تعددت الأقدام المساعدة على الخيل.. قال «بيومي» :

- سأقرضه بأساني، حتى لا يصعد الأمباشي قرج،

قلت : أنتظر لحظة

كان الصاعدون قد توقفوا.. بدأوا يذوقون التمثال بعنف شديد، صاح
واحد توقفوا، نصيحتاً المذاقع وسنطلق النار عليهم، دوت الطلقات عتيفة ،
واهتز لدويها الميدان.

.....

.....

صحت عيسى، كانت قطعتي واقعة في ركبى الحجر، ويجوارها اطار
لصور، كانت على الكروميديو، وقعت تنظر إليه بهجول، قمت، نظرت إلى
القطعة نظراً خائفة، جرت بأقصى سرعة.. وقعت الإطار، كان زوجة قد
تشقت، مسحت عليه، أظلمت ابتسامة وسعاد، المنكسرة منه.

بمكان مشهور ضد الزمن

وهل تستطيع ان تضمن لى إذا مت شهيداً ؟
ألا يعتبرى التاريخ مخرجاً ؟

إيقاعات ذات زنين معجم

١

(تخرجت حبات المطر على رجاء النافذة لمعت في ضوء الصباح
فاجذبت بصرى الذى كن قد غاب تماماً في توهج المدفأة تابعت أدمى
بصعوبة نقرات الماء على سطح الزجاج متوافقا - في ايقاع حزن - مع
تعمها البطئ ها نحن في جزيرة من الدنـ كما حلمنا مرة - فـي كان
شريكى في حلم ؟ هي ؟ . ربي . ولعله واحد من أصدقاء العمر العديدين .
ولكن القلق عليها يفسد كل شيء . وستكون جيانا حقا إذا لمجاهلت بحر
العواصف الذى يحيط بجزيرتك . ولكن من حق أن سعم يشيخوخة دافئة .
ومر الرومانيرم لمواصلك أسراً أكنار الحياة وتذكر ان سمد زغلولة كان
قائد ثورة ، وحظياً كالبحر الهادر وهو في السنين ، ولكننا بالكاد نقدر على
المشي إلى على « الحربة » بهاب اللون ، حيث يحتضن انقلب ذكريات الرمان
الحالى ها كانت مدرسة الحفوق ومبنى الجامعة القديم وقصر البستان ، هنا

تلتقى بن بقي من أصدقاء الزمان الأول. تتكلم وتثرثر وتترحم على عشرة
الماضي الجميل. ويتشاجر «منصور» مع «عبد الحميد» ، ويتهمه بقرص
الزهر. ويستشهدان بك قهقرياًك من لحظة سارحة في رفاق «السلطان
فرد» . أو في جدران «ديها واصف» . بيد أننا نسباً الكثير. كانت الذاكرة
غيماً مضي من سورات العمر تحتفظ بكل كلمة أو نامة. ولكنها تأكلت كما
تأكلت الأسنان. وصعب التذكر كما صعب النسيان. فألف رحمه على أيام
الصبا الأول. وتفكيرك في فقدتها يورثك الجنون. كيف تحلو هذه الشقة غداً
من أغصانها ومن صروتها. وقد عاشت منك ثلاثين عاماً طويلاً. ولن تجد -
بعدها - إنساناً تستطيع أن تزعم أنه يحفظ كل تفاصيلك ويحفظ كل
تفاصيله معها تكون حراً تماماً. تتحرك كسجون وتمسك كطفل. تيكس
وتعسى. وتقول كل ما يمس لك دين مراجعة. أه متى ينتهي هذا الكابوس؟
كانت دائماً قوية. ولولا تقلصات الولادة ما شددت لحظة ألم على ملامحها
الهادئة وترى على شفتيها وهي نائمة بسمة صغيرة. فتذكر لك لم ترها
أبداً وهي نائمة في أي وقت. أحده كنت أجدتها ساهرة في انتظارى. عيونها
الوسابه تتفجر بحيرة دائقة. فكيف تهاوى هذا البناء الشامخ في لحظة
واحدة؟. «الزمن» هذا ما ناله الطبيب فألف لحنه عليها ما ينظر إلى
نظرة مهينة ونال والقلب لحظتها وددت لو قدلت به من الباقية. فلا مبالاة
بتكلم كأننا نتحدث عن كلب سأل في الطريق شككت عينا وصف من
أدوية وراجعت معلوماتي التي شمسها الزمان. قال :

- حضرتك طبيب؟

قلت قبل أن اعط اهتسامه الساعرة :

بل مريض قديم. ومرت هذا فقد دروس الطب لعدة سنوات

زأمت بكلام غير مفهوم ولم يطمئن قلبي. إلا بعد عرض الأمر على
صديق من أطباء اللغوى. فأقر ما وصف من العلاج.

ولتعترف بأنك استرحت إليه قليلاً بعد ذلك. فقد تقدمت صحتها

يوماً بعد آخر. وكاشفته بغفوك عليها مدمش قليلاً. ولكنه زأمت كالعادة.
وطأنك بكلمات كعلائات الطليقون مشقة ولكنها رحيمة لم يعد
في رأسها شعرة واحدة إلا وأبيض لونها. فهل تذكر متى رأيت بشائر القرو؟
كان ذلك في حجرة المأمور بسجن لأجانب. احتضنت قدام الصغير بشرق
بصف عام من القباب. وتهدت كل حلاليها بين دراعى. وأنا أقبل مفرق
شعرها. رأيت أول الشمرات البيض ساعها أدار الضابط وجهه عنها.
وحملت له هذا الموقف. كانت دائمة خجولة. ترفض أن تهتدل عواطفها أو
تعرضها على الآخرين. فسادا كان إسم ذلك الضابط «مسعد» أو
«محمود» ؟ ربما لم يكن هذا أو ذاك يؤلى المجر عن التذكر. وكم ناشدت
الأبم لحظة سيان. بيد أن علاج الرجل لم تكن سهلة النسيان. تبصت
أخاها لسرات في تنقلات البوليس. وربما لقيته حيناً على منصة بار
هادئ شأن الذى يستغنى. ذكرنى بنفسه. ودعاني لشرب قهقهة. لعل الخمر
تنسيب ما حملته له من بعض طويل. قال : سيشا طبعاً... أمتشرب
ملايسى المقية؟ آخر خدمة الشر هائلة . استغثوا حتى في التطهير.

عزيت بكلمات أجهدى الحضور عليها. فأردف :

- مبروك.. باضت لكم في القمص.. هذه أيامكم. أما نحن فقد

راحت علينا

قلت بمشروع اهتسامه

- على العموم تشكر.

- كيف حال الأصدقاء؟. ستعوضن بالطبع عما لقيتم من إهانات.

قرأت ذلك في الصحف.

ومضى. فصحكت بأسى وقلت أنه كان شريفاً كالآخرين. وكان في
الجميل وحشا بكل معنى الكلمة. ولكن قلبي لا يفلو على التشعر به
وأذا كانت قد باضت حقاً لمن الذى أكل بيضتها؟.

ترقب المطر في الخارج وحركت رأسها فتحت عينيها وظلت لحظة

صاحبة ثم قالت

- لماذا أنت ساهر حتى الآن؟

- أنت بخير؟

- طبعاً.. ولكن عليك أن تنام، تعال هنا.

انضمت لى مكانا بجوارها على السرير، وأحكمت لغطاء حولي،
وشعرت بدفء جسدها، ركنت بين أليقتله والنوم عندما قال صوتها

- هل ليست الجوزب لصولي؟

رفع الطبيب الساعة، ولبتسم لبتسامته المهية وقال

- عال دقات القلب منتظمة، والضغط لا بأس به، وفي المرة القادمة

سنأتين على أقدامك إلى عيادتي.

قال صوتها الضعيف وهي تعيد ترتيب ملابسها :

- حقا يا دكتور، أستطيع أن أمشي؟

هز رأسه بثقة معتلة :

- بل أنت في حاجة إلى الترييض.. ولكن وفقاً بنفسك.

ساعدتها «أحلام» على الجلوس، تناولته جهاز الضغط فرمتها بنظرة
ذكرية ثم تعجسى في انتظار الشئ جلس يكتب تذكرته الطبية، يبدو أقل
من الأرمين، ولكن الصنع التهم ملامح الشباب في وجهه، تأمل أنات
الحجرة القديم، واللمبة الكبيرة التي تتدلى من سقفها قال:

- اطلعتي، اجتازت الأزمة بسلام

ثم ضاحكا :

- أنت مجيها أكثر مما يجب.

- عشرة العمر يا دكتور.. أرمون عاما ثلثها

دولتي التذكرة ، نال :

كنت أظن أن تقدم العمر وقدم الزواج كفيلا... ..

ومرت عليه النجيلة

- لا.. هنا غير صحيح.

وصعت «أحلام» الشئ على المنصدة تأملت صديها النظر بنظرة
مشوقة، أما هو فقد عاد يتحسسها بنظر، ذكرية، قلت أن صلاته تحتاج إلى
«بيريه» يحميها من البرد كما يفعل «عبد الحميد»، قال بصوت

- ابتكك؟

- تقريبا.. ابنة الجيران. ولكنني في مكان والدها

زام مرة ثانية استلقت عيني على صورة لى في إطار أبيض، فتأملت
لحظة، وبدأ متردداً ، ثم هرب إلى جرافون قديم. ولاحظ بوقه الكبير فقال
عند وهرت عياد منى إلى الصورة قلت أن عتيه لودتين. أما لودها
فمن الصعب أن أميره، زهن العظم وضعف البصر واشتعل الرأس شيئا
ويوم خرج «سعد زغلول» يتركاً على عصاه، ويلف عنقه بشمكه الصوقية
حذر الجرد، بُح صوتي من الهاتف ولكن الارتعاش شمل كل شئ لم يعد لنا
صوت معدود بين الأصوات، ولعلك تذكر أول مجيئة جسيمة لاهثة مع
«اجلال» في حفل القدر كانت سريعة ومتوترة وبل لدة ولكن ذكرى آخر
مرة قد ضاعت من التذكرة. خمدت جنود الحياة ولا أمل في استردادها، ما
الذي يجده في الصورة؟ لعله الصب المتفتح فيها، أه غلا سيقارن
شيخوخته بصور صباه، ليتفتت القلب حشرات. قال:

- لا تؤاخذني.. هل كنت تعرف الدكتور «محمود محرم»؟

لا قائدة تحفظ الذاكرة بالكثير، ولكنها تبدأ عند السؤال، ولا
بأس من مجاملته بمحاولة التذكر سيدلي طبعاً ببيانات إضافية ليساعدك
في محاورتك اليائسة وكم عند الأشخاص الذين عرفناهم بإسم

«محمود»؟ مطالعة حياة سبعين عاما متصلة شيء مرهق على كل حال .
ورغم كل ما قدم من توضيحات فلا عفر من إعلان اليأس، ووقع الراية
البهيماء، اعتبرت بصعف الفكرة قال :

إنه أبى، وقد رأيت صورتك تلك معلنة في صالون منزلي القديم.
خفق قلبي للذكرى، وتماثلت بهفة .

- وهل مازالت كذلك حتى الآن؟

بهتسم بهجول :

- ظلت سنوات بعد ورائته قلدا دافعت أسمى عن الترتيب الذي تركه
لأثاث البيت. ولكن زوجتي تزعم أن ديكور المنزل الحديث ينفر من صور
الأشخاص، رسألتني عن علاقتك بأسرتنا فقلت أنك صديق لأبى، فهكذا
كنت أظن، وأحييرا اضطرت إلى رفعها، ولا أدري أين هي الآن؟
ضحكت بأسى وقلت مهورا :

- مع أحد باعة الروبايكيا بلا جدال، ولكني أشكر للولدين
احداهما

رشف ثعالة كوية.. وقال :

ولكنك لم تكن تعرف أبى كما تقول، وأظن أنه قد تحدث عنك مرة
ولكن مسيت التفاصيل..

قلت أنه ليس وحده الذي نسي، ولعلني أنا نفسي قد نسيت، ما قبحة
أى شيء، وما أهمية أن تتحقق كل أحلامك في وقت لم يعد أمامك فيه إلا
انتظار الموت. حسنا بلذات حقيقة في الحياة . ولكن الزمن بلا ذاكرة،
لذلك كرهت كتب التاريخ، كما كرهت الراديو والصحف ، أما التلفزيون
فلو تركت اكتشافه في الزمن الخالي لالتفتت بسيرك «الخلوة» وضمت
ظهورا ثابتا على شاشته، وما هو شعور بالهجل يلفتني لأتني مضطر لأن
أقدم له تقسى، قلت

- هذه صورة متقلبة من علاف مجلة (اللطائف المصرية). ولعل أباك
قد بروزها لأسباب فاجت لديه.

أجهد نفسه ثم قال :

يالى من نساء كبير.. تذكرت الآن. أظن أنك كتبت متنها في
قضية ما سياسية هي الغالب.

في الغالب؟

قال بهرج

أفصد أنك ..

قمت بدفعة :

- فؤكد لك ألتى لم أكن أحد أفراد عصابة «ويا وسكينة»..

اعتقر بكلمات متلاحقة دممت على غضبي. وهو يبدو صعبا
ومتكور شأن الذين يتعدون بالحياة، ولعلني لو اتبعت طريقه لانتقيت به
نحت رئاستي في أى مستشفى . واستنالك الحوار معه يبدو مشكلة. ولكن
السكن في هذا الحى الأتري لم بعد مشكلة. لم تغد عليه عوادى الزمن كما
عدت على طرقات المدينة. وأحمد الله على أنك وجدت من يذكرني في هذا
العالم وهو على أى الأحوال معدور. لم يعد أحد يدكربا... فهل صاع
العمر هدرا؟ ولكننا لم نكن نفكر كذلك في الزمن الخالي . فهل شاح ما
في رؤوسنا كما شاب الشعر وتساقت أكثره

قلت مطنبيا حاطره .

- أكان والدك طبيبا؟

هو رأسه موقفا . قلت

- لعلنا أباء دفعة واحدة، فقد درست الطب ثلاث سنوات حوالى سنة

١٩٣

قال كأنه حل معضلة

صبح. كان أبى طبيب استشار سنة ١٩٢٦ قمتى انهيت دراستك.
- لم أكنها حتى اليوم. زوجى «صدقى بأشياء فى السجن لأنى
حاولت اغتياله. فلم أقدره إلا بعد عشر سنوات».
رفع رأسه دهشاً وقال :

تذكرت الآن كل شيء.. ولكننى لا أصدق أنك اطلقت الرصاص
حقاً!

تهذت براحة ولم أرد تحدث قليلاً. قلت أسى أبدو شيئاً طيباً لا
يعتصم الإنسان أنه فكر فى القتل، قال وهو ينصرف
- يا أستاذ «سليمان» نحن سميان، وأظن أن أبى قد احتار لى
إسلامه، ولكنه حرص على ألا يكون لى مصيرك.

أبعثت بمرارة.. وصافحته ببرود.

ونحن فى الشرفة انعكست شمس الصبح على ملابسها الهادئة.
جهدت نظراتها وضعف بصرها فيما ضعف من حواس. كانت عيناها محسنان
التركيز فيما مضى من أزمان. وفى ضجيج الزيارة فى السجن حيث تحتلط
الأصوات العالية كانت عيناها تخترقان الأسلاك وتعبيران فوق حطوات
الحراس، إذ ذاك كانت شعرات من الأمل تنفذ إلى صدرى، ويظل وجهها
الأبيض نابضاً لى خيالى بعبقريته أياماً، رغم ثقل السلاسل الحديدية
وصلابة أحجار الجبل. وفى الحارة المجاورة مات واحد أمس فحزنت عليه كأنه
وليدى، واجترت اليأس ساعات طويلة. وما هو لنواح يهد أعصابك هذا.
ذكرت العليبيب وحكايته، فابتسمت عن طقم أسنان لامع وقالت :
- سيذكرك كثيرون، ولعلك لا تذكر أباه.

لا أذكره، ولكنى هذا شئ بلا معنى. وقد تفرزت لئله يحمل أسى
فهو سمين كالبقرة الحبل. ولعله هنا نفسه لأنه نحاسى مصرى..

جاءت الحبة، فألف وحة لأيام الشاي والقهوة والسجائر والبيرة
والستارب الأصلية. ومرة فكرت وأنا فى الزنزانة أن أعد قائمة بالمشروعات
موجدتها أكثر من أن تحصى. المقعد والمرأة والساعة والثقوب والحرام
والصحف وآلات الخلاقة. وبعد طمعت إلى التأليف، فإذا عاودنى الطموح
صاكتب مقالاً عن المشروعات فى حياتى - فكرة طريقة تصلح لصحف هذه
الأيام التى يعمرها القوادين. وما هى «قورية» قد عادت إلى حالتها قبل
المرض. فتعهد الله على أنها استردت عافيتها. وهى لا تكف عن تأمل
الأطفال فى الشوارع. كان الزمن جليفاً التهم إسكماً الأول وهو فى
البيعة. وقد وما وصاف دون أن يعرفك أو تعرفه جيداً. يومها رأيت عينيها
غير الأسلاك باكيتين، وتوسلت للضابط لجبان أن يسمح لك بملقائها دون
أسلاك فأبى وأحجج بالتعليمات رجوت كطفل، ولكن رأسه كانت أصلب من
أحجار الجبل. صديرة انقد كما كانت دائماً، ولكن السمعة تراكم عليها
فقدت وشاقه اصب والنتاف الأثنى الناصجة. وهنا الاكبل الأبيض على
رأسها لم يعقد معرفته ولا استرساله، وتذكر كم دفت رأسك بين تلايقه فى
سود اللبالي. وكانت تدبّ بقدمين حفيدين على أرض شارع «الخناجيع
المصري» من بيتها فى «الحلمية الجديدة» إلى مدرسة «سان فان دى بول».
وربما المدرس الخفيف الزرق، يوحى بأنها تنفخ بقطعة من سماء يوم شتوى
بلا عيوم، وتنبعث عيناها الشائبان، وكان الزمن ضيقاً والحصار شديداً،
ولكنك اكتشفت جبرتكما، وحبرت أسمى من طرف خفى إلى دعوتها وأمها
فى أيام «المقابلة»، واستطاع القلب أن يعرفها ويحفظ كل تفاصيلها، كما
استطاعت الأذن أن تسمع إيقاع صوتها الحسن وهى تعنى «ببساطة» بوضاء.
شعقت لأن طملاً اندفع وراء كربة فكأوت السيارة أن تدب.
وتشجعت بعدها على حديث لشرفة ثم انحطت على المقعد لاخته بعد أطمئنانها
على الطير. قلت :

- هذه الاتصالات لا داعى لها، وأخبرتها معك.

تحدثت بأسى. وأطبقت رواية عرسية كانت تقرأها وقالت

- الناس يرمون لحمهم فى الطريق، سددت الدنيا (ورثة نائحة) لا يعرف خلافة الأطفال إلا من رزئ بالكل.

كان قلبك يدمق بساطور جزاء، جاء الأولاد تباعاً بعد خروجك من السجن، وما كادوا يزهرون حتى اختطفهم الأمراض. وتذكر ستة الكوليرا للعبثية، ضاعت «صبية» و«سعد» فى شهر واحد، وعانيت الاحساس المر بالقتل، وقلت أنك صيد سهل لطارق الزمن، وسألت الإله حائراً ماذا يترصدك؟. وحيا حساسك الذى لم توزعه حرارة السجن. سيئا كثيراً من الأفراح.. - فمتى تعاد الأحرار بالذاكرة؟

لم يغادر المكان شئ سوى الشمس التى تولدت فجأة مع رقاد ماء. رفعت «نوزية» رأسها وردت النجمة على صوب فى الشرفة العليا لم أسمع للعكلم. وهى السمع كما وهن كل شئ. قالت - أبحلام تُصيح عليك.

رفعت وجهي فالتقى بوجهها النصر، مشرقة كشمس اليوم، عفت شعرها فى صديل رقيق الألوان. كومت الخلاء التى كانت تنشرها قالت - كيف أنت يا عمى. لا حل لكى لا أحرمك من الشمس إلا أن أنتشر هذه البلوى عندكم.

بعد لحظات كانت رائحة تنشر حلاقتها تأملتها «عزوية» بعين محبة. وفتت أنها تحبها بشكل غريب، لم عاشت «صبية» لكائنات فى مثل سنّها الآن أو أكبر قليلاً قالت وهى تتناول مشبكاً

هل سمعتم الأنبا؟. قال الراديو الآن أنهم أعاروا على حلوان.

أنار كلامها اهتماماً حاداً فى صديقتها. خرج صوتنا فى وقت واحد يسألان من التفاصيل :

- هربت الطائرات، وسقط منزلان

مصصت فى أسف، ولكنها مضت معلقة على الخبر. فلت أن تفكيرها أكبر من سنها بكثير، وقد عادت العارات ولكن أين القوة التى تروى المهورين لم تمنحك سواك السجن من أن تعرج فى سرحات ليلية لأصطيد الجسد الإنجليزى فى الطريق. كانت أفضل الليالى محصولاً عندها يوم ظلام العنارات. ولكنك لم تشهد فرحة الجلاء عن القاهرة، لأن الحزن كان يفت قلبك على «صفيه» و«سعد»، أما هذه البيت وهى ترثارة شأن الصغير وقد عرفت عنك كل شئ، يحكم الجيرة الطويلة، وهى تشق طريقها فى دراسة الطب بمهارة تحسد عليها. شهدت طفلة، وعالجتها خيرتى القليلة من المعصر والنولات المعوية، ولكنها ككل الشباب متعالة وتصبر أحكاماً نهائية على الأشياء وعندما تفعل بتسلح صورتها ويصيح كنفق الصنادع.

ولأن الزمن أصبح هزلاً فليس مستحيلاً على الزمن أن تصبح يوماً من نجوم العمل النسبى فى هذا البلد المنكوب. ولم لا - أليست شراكة متحمسة، بذليل أنها تعرف بعض النقوش التى تصلح للثروة أو للباهات. أما أنت فقد حكم عليك «صديقاً بائساً» أن تعيش كالحشرة فى أرسيف وزارة الصحة، وبومها استقبلك صديقك «منصور» بالأحضان والنكات، رلولا العقار الذى تركه أبوالد، والتهام الزمن للأبناء لشحننا من اشراكى سنة ١٩٧٠ فأغشنا يارب السموات قدمت لها «عزوية» الشاي مشربته بلهجة شديدة، واستمرت تتدلق بالكلام :

- لا مفر من الحرب، المسألة ليست لعبة!

هذا كلام يحتاج إلى نكتة بذيئة من نكت «منصور» الخريفة، وأطمان منه هى التى ألهمت مرارتي التهابة مرماً، ولا بد من التنفيس حتى لا تنجر وتودى بين :

كلام سليم. ولكن من الذى يلعب؟. أصعتم البلد بلهوكم.

وتتحدثون كأن المجرم شخص آخر

تجهرت للجدل، ولتعترف بأنها رغم سطحية الكثير مما تقول تتعجز بالحماس لأشياء مبهولة... وبأبي عقلك أن يتصور حماسها هذا مايع من ذاتها، ولعلها تحب واحد من نوزي هذه الأيام السوداء، ذلك أنها تردد الكلمات كأنها تتلقى بين كل كلمة وأخرى قبلة ماحنة، ولتقر بأن شفتيها جميلتين، وتبغى أن أؤب نفسي لأنى ألهمت حيالها وهى فى بداية الشباب بذكرىأتى. بيد أنها أصبحت كأن مزعجا تتحدث بصوت عال، وثقة وغرور، كأننا ندبى فى حلبة صراع. ولولا حب «خورية» الشديد لها لعاملتها بالخشومة التى نستحقها، ذلك أنها حشرة مقلدة، وهى فى تحتم كلامها.

إن البكاء على الماضى قلة عقل، وقد أودت الكسة بمن سيورها وأماعن واجب لابد أن نؤديه.

أستغنى غرورها، وأستغنى أكثر إعجاب «خورية» الواسع بها قلت :

- هذا ضحك على الذقن يا ست «أحلام» . ودقنى شامت، ولن تضحك على قارورة مثلك، لم تودي الكسة إلا بضعاياها، وأنتم تكلمون بالكلام.. وإذا هت أحد عليكم بعضا جريتم كاللهيران..
أكلت ضاحكا :

- أراهن أنك مسخرجين وتسمين على دماء الملاحين الذين تصافين عنهم، ثم تلهمين أحدا من رؤساء مجالس الإدارات، فيستولون عددا من البنين والبنات، وكان الله بالسر عليها
احمر وجهها الرقيق من الانفعال، واحتجت «خورية» بهسمة غير مفهومة وقالت :

- «سليمان».. لا تغضبيها.

انفجرت شفتاها عن ابتسامة صغيرة حائرة . وقالت.

- سأحاول ألا أكون كذلك. ولكنى لا أدري ماذا كنتم تفعلون لو كنتم مكاننا؟

خفت نوزي، وداعني إشعان حاد عليها، وثلت أنى أصبحت قاسيا دون أن أدري، فكيف تسللت لى عبر الزمن كل هذه القصة الجلفة آء ما أكثر ما قبل داخلنا من مشاعر، وسيقص علينا فى النهاية نزيه داخلنا من حبة الأحمال التى تنز فى القلب. صبت على حدى الطمعة المشعل دوا من لاء المثلج، عيالى من عجوز حاقدة.

لا أدري. نحن ثوار على المعاش.. لا أحد يذكرونا أو يريدنا، ولكنى أذكر أنى عندما قررت فعلت، ولم أتكلم كثيرا

تحب عيناها وراء عمامة سارحة فى الجو، وصمت كعها فى مقلة الشمس، لتحميها من الضوء. شاقى مطرها، تسلل عبر الزمن إيقاع موسيقى حافت وغب «خورية» . «عمامة بيضاء» حاننى القلب مع صوتها الشجي. من الحارة المجاورة تصاعدت صوت المذبة ترمي الميت.. قلت لنفسي

- إنى عجوز حقا

٢

مشروع للتأمين ضد غدر الزمان

فى المقهى تبدلا الفكاهات ورعى الزهر. وقصصت عن الدكتور «سليمان محرم» وعن «أحلام» ولكن أحدا لم يهتم إلى. رجعت الشيشة المنصور، فقبها بلذة حسية. وتذكرت أنه قال مرة أن شرب الشيشة هو تمرين على أفضل طرق التقبيل التى تعني الباب أمام عوائم النفس الأصلية، وقال «عيد الحميد» إن الانتقال إلى «البهيمت إدو زو» سيكون واجبا قوميا بعد

الهزيمة الساحقة التي سببني بها «منصور» كانت دقائق الطاولة كالمطروق
التعاسية، أغلقتها ورغم غفلة الاحتجاجات.

رجاء «التمر هندي» فشلت هنيا، وجريت بعد أوله رشقة خلف باتع
العرقوس في شوارع المحمية، وكاد ينفسي حصارا كان يجر «قبضونا»
بداخله بشا تركي مبروم الشوارب. وكان الزمن ١٩١٧ أو ١٩١٨، مكم من
السنوات مضي على ذلك؟ تهطل شامري وأصبح حطاً ناجلا ولولا الحياء
لمعرت كشيان هذه الأيام. رفض «عبد الحميد» أن يخلع الطربوش تنديبا
لتعليمات مجلس قيادة الثورة، وظل متمسكاً بموقفه، ولم يستبدله بهذا
البيريه إلا عندما هزمته نظرات العابرين الذين اعتبروه من أعاصير الماضي.
وضحك «منصور» يومها وأكد أن أصراره على عدم السير عاري الرأس لا
تفسر به إلا أنه يخشى على قدرته الجنسية من أن تتطاير من صلته ورم
ماتت «أم المصريين» مشيت في جازتها وبكيت بالدمع الهتون، تذكرت
الدنيا من عر شبها وحبيبتها، كانت امرأة قوية وابضا جميلة، وكان
جمالها جليلا، لذلك تصدرت صورتها حجرته. ولم يبق من آثار ذلك
الماضي سوى «منصور» صديق القطر الواحد بحليل ألقا الابتدانية
والخديوية الثانية، دفعته صداقة العمر لأن يشاركك معامرك الأولى،
ولكنه لحا من عيون الرقباء، وقر السون متلفيان في أرشيف وزارة الصحة،
يومها احتضك وقبلك وكاد يهكي فرجا، وعق بأعلى صوته

- ضبعتك السياسة وطلنا نصحتك، أما أنا فإن عشق اليات
البكاري وغير البكاري قد ضيعني. ولذلك قضت مقاديره أن يلتقي
المتعوس بعائب الرجا، أما من منا المتعوس ومن منا حائب الرجا، فهنا
المعنى في بطن الشاعر، والأرجح أنه في مزهرته والده أعلم. ولأن فلنسبحوا
يا حشرات الأرشيف. دعوني أقدم لكم هذا الرجل العظيم الذي قضى في
السجون عشر سنوات من أجل من يسميهم بالشعب المصري. وهو بطل،
أقسم على ذلك بأشهى من ضابعت من نساء... ولكن الذين أصاح عمره من

أجلهم. ونحن منهم، قصرا أعمارهم في تدخين الخشيش وابتلاع المزل،
ومصاحبة النساء، وأحيان العلمان والبهايم لذلك فهو في الغالب مجنون
عرق أنه بطل.

ضحك الجميع، وما هو أمامي شاهد على أن ذلك الزمان لم يكن
وعسا، غفلة ضحكنا ولعب وقد عاش أعزها رغم مفامراته العديدة وتذكر
أنه قبل امحاطرة بنفسه ليؤمن ظهرك يوم المعامرة الكبرى. رغم أنه لم يكن
يهتم بشي.

ودكرت الغارة صمط شفتيه استنياه وقال :

أنت مصاب بداء السيدة، ويؤدي أن تصاب بداء عضاله كالذي
عندي.

ضحكت رغم أن القلب كان يعاني إحساسا هزيرا بالحبيبة، وبدت
بدائته رمزا لكف الرمي عن صقله أحكم «عبد الحميد» البيريه الذي يدمر
صلته وقال :

- هيد.. يتحدث بامولاتنا وأطربنا.

خلع منظاره ذو الإطار الذهبي وقال

- لظاهر أني سأعلن التسليم النهائي. ولا بأس إذاك من الاهتمام
بشي آخر، كالاميرالية أو كرة القدم. في الأسبوع الماضي تلبسني حالة
انتعاش شيطانية، برمت شامري لها، واعتزت حراجي على واحدة ومن.
وهي حادثة، ولكنها صيبة ومعلقة القرم وطماعة وأخلاقها هي الدرك
الأسفل. ولكن المسألة إنتهت إلى قشل دربع بعد كل هذا المجهود. نهج
أحركم، وبام كالمطل، وصحكت بنت الكلب، ونصحتني أن أليس بطلوس
حذر البرد

لثقت قهقهاتنا العصبية نظر عدد من الشبان الجالسين حولنا،
فحاصرتنا نظراتهم الناهضة بمزوجة بالهتاسات هازنة قلت

- محمد لل. أراحنا من رجع الدماغ.

سحب نق طريلا من الشيعة، وصنع طالبا لتفسير النار، ثم قال :
- ولكنك خيبة وطول همك رجل شرعي، أما أنا فقد ذاعت شهرتي
في أرجاء المملكة، ويوماً طار دنتني إحدى أميرات البيت المالكي فقصي الزمان
إني الكلب أن تسخر مني خادمة وعصر اليوم قبلتني المعبودة على السلم
قلت « ما اخذني المعجزة أنا ».

تواصل الضحك طارداً كثر اليوم، وتحدث «عبد الحميد» وكان
أصبانا مسيهاً، من المقويات، ولكن «منصور» أعلن بأسه من كل
شيء، وقال:

أزمتي مستحكمة كآزمه لشرق الأوسط، ولكن لا بأس من
دعوتكم إلى كأس في «لايتيت إروازو».

دعوتهم بان أطبيب نفسي من شرب الخمر، فأقسم «عبد الحميد»
أنها جالبة للنشوات في سنوات الكدر التي يعيشها، فقلت ان كلامه
صحيح، ولكن الخوف أصبح كل شيء في حياتنا وكأس واحدة من الخمر
كفيلة بأن تقدمك أسبوعاً حبيس الفراش. ذلك أن عشر سنوات من أكل
العدس والفاصوليا والعمل الأسود قد أصابك بما لا شفاء منه، والغريب أن
الرجل قد نجى رغم كثرة المترصدين، والسما لا تسمع الشكوى، فهل ضعف
سمها مثلاً

تحدث «عبد الحميد» بصوت حلقى :

- «سلمان» زعيم قديم، فماذا لم ضبط أحد المعجيين بنضاله في
حانة من الدرجة الثالثة كـ «لايتيت إروازو».

هذا أنسب الأوقات للهلل السخيف، لم يعد أحد يذكرنا أو يعرفنا
وأمن قالت «أحلام» بصوت حاد أن ما كنا نفعله هو مجرد «إرهاب» وأن
العمل الثوري شيء غير هذا، فتأمل عجائب الدنيا، كانت طلبة في الثالثة
عندما رأيتها لأول مرة، وكتم حشوها ولاعتها. وتابعت مع الأيام اتداعياتها
إلى عالم الأثرية، وشاقتني أثمانها الرقيقة فاستعدت بالله من الشيطان

الرجيم، وما هي تردد كلمات بلقنتها لها من لا تعرفه. خفتت نظرات الإكبار
والولا، وأصبحت كلماتها سرطانات يرقق البدن. ولنقر أنك تحبها رغم هذا
أما هذا الرجل الأصلح الذي لا يكف عن الشكوى من ابتسه، فماذا تقول
له؟

- المعجيين يتصالي لا يذهبون إلى الحانات

تناول «منصور» بقية النقود من الجرسون وقال :

- هذا غير حقيقي، ألا نقرأ عن شباب هذه الأيام، إنهم يهشون
ويرقصون، ويصاحون حبيباتهم في الحانات العامة، وبدلاً من صبيحات
النشوة التقليدية، يتخصصون من مותרهم بالهتاف بسقوط التدخل الأمريكي
في فيتنام ولو كنت أعلم أن الثورية هي هذا، لكنك أعظم ثوار هذا العصر.
ولكن هذا الرجل الذي حاول قتل «صدقي باشا»، علمت أن لسياسة بهدلة،
وصياح المستقبل وفي النهاية لا تجد حتى من يذكرك؟

في قلبك راحة، فلتعلم أنه كائن نافع، ثم أنه حتى إلى درجة الغر،
ولكنك لن تسي أنكما ارتباطاً برباط لا تدري سببه، حمى ظهرك وأنت
تقوم بمحاوكتك واحتمى بالمسدس، فكادت القصة أن تجهض لولا شهيد
الرؤية الملاعب، وهو يشعر بمصيبة مثلك، وفي القسب محترق الآمال،
وحصاد مر ضاع الأبناء والعمر ونسينا الجميع، ويوم سقطت «فورية» في
قبضه لمرض، وكاد الرعب من فقدتها بقلبك. ولتتصور الحياة من غيرها
آه، هذا العالم مرير، والزمان حاد رحا، فهل يشهدنا الصباح أحياء، أم
يأتي هؤلاء الأصدقاء عدداً يهزون فيك، يقولون لجيران رجل عجوز مات،
ويغضون إلى حياتهم العادية، ولن تجد من يحزن عليك في هذا العالم
العريض سوى «فورية». فما أقل ما سوف يدرك عليك من دموع. أما
«أحلام» فسيجفف صديقتها المجهول دموعها بقبلائه، ستشعر «فورية»
بالفرح القاتل بعد رحيلك وستقول أن الزمان يترصدها كما ترصدها السجون
وفقد الأبناء والحياة المخلاقة. وميم يفرر الصديقان الآن؟

هذه صلعة «عبد الحميد» تبدو في الصورة الخافتة متجمعة حزينة، والمكان هادئ حقيق أشبه برنزانة سجن القناطر الذي نزلت به صيفا لمدة شهر، وليس هناك أحد سوى بضعة أشخاص على ألبانديين اسجورتيين، و«المقام» حافى «البار» تتحدث مع شاب طويل، وتحدث أغلبه همس، والصورة حانت، ولا بأس بكوب البيرة، فهي مدرة للبول، واحتجازه بعض صحانات الزمن تصيبك بين حين وآخر، وخاصة في الشتاء. قال «عبد الحميد» مواصلاً ما كان يروي:

وهكذا وجدت نفسي أمام شاب كالحائط، أحمر الخدين، يضع ذراعه في ذراع أبتني، وكنت قد لفتت من محاولة التناقض بها «منصور»، وهو يتخبط الثلج والصودا إلى كأسه:

موقف مخرج وماذا فعلت؟
- كذبت على ألبت طبعاً. وقالت أنه زميلها في الكلية
تسألت:

- وهل صدقتها؟

«منصور» يدفعه:

طبعاً أنه رطل كمصرتك!

«عبد الحميد»:

لا طبعاً لم أصدقها والخشقة أنه لم يترك لي فرصة لذلك. فقد انعتني وقدم لي نفسه باعتباره معبداً بالكعبة وقال بوقاحة مذهشة أنه وألبت حينئذ منذ أربع سنوات، وأنه سعيد بالعرف على وائلني عما إذا كنت أستطيع مساعدته في الحصول على شقة بإحدى عمارات التأمين باعتباري موظفاً سابقاً بها. ذلك أنهما قررا أن يتزوجا من النصف القادم، حسب تفرج ألبت.

صمت لحظة، وقام ليدخل دورة المياه فلاحظت أنه ينس ذلك بكثرة مثلاً جديداً. وقلت لنفسي أن كل أجهزتنا قد تدمرت تماماً، فكفنا إلى

زمن الطفولة الأولى ووضعت كل منا مهولة بجانب سريرها فتمنى يتنهي تفهقنا بالعودة إلى رحم الأم.

أكمل بعد عودته:

- ولتخلصة أنني وجدت نفسي كاللوح بينهما، فقد اعترضت ألبت على شق التأمين وقالت أنها قدوة واسعة وتبلغ أثنائها كثيراً. قضت مقاديرها، أن يسقط شعرنا ونستبدله بقرون، فأدركوني بكأس من ماركة «تيس» سنة ١٩٧٧.

تصاعدت أصواتنا مهتئين

سنصبح جدلاً هما قريب، ولتحمده الله على أنك ألبت، سأبوت دون أن يبيكي أحد، أما «سليمان» فقد أصاحت السياسة نصف عمره، وتنهت الكوليرا نصمه الباقي.

- صلّ شكرياً لله، فإن تعش تبنياً حير من أن تعيش لا شيء.
رفع يديه إلى جانبي وجهه محتاً وشاكراً وقال وهو يرقع سبائتيه إلى جانبي رأسه على هيئة قريب.

- ولكنني أريد زجاجة ماركة «سفنيتي تيس»

سأل المدام «أستغربت الطلب، وضحكت عندما ترجم لها «منصور» طلبه. وقبلت دعوتنا إلى كأس لاحظت أنه مخلوط بالماء المفطر وانتقلت الجلسة إلى البار.

أساد «عبد الحميد» رواية الحكاية على «المدام» مسمعتها باهتمام مبالغ فيه. وقلت أن عمرها يريد على الخمسين، ولكن المكياج يجعلها تبدو أقل من الأربعين. ولأشك أن السواد الذي يترج رأسها هو باروكة. وأنسى «منصور» على أدس فأنبأني أن الحالة عاوده ويشرس بأن ثيلتنا ستكون فلا يصحبه بأن يشري قلعها حالة كادبة ششسي وقال:

- تعلم ياغبى كيف تصطاد امرأة كندوز، يصعد من المدام أن أدم لك أصدقائي، هنا أسفنتي تيس هو الأستاذ «عبد الحميد» وأصب «موقف

ولماذا تتغير؟ ماذا كان يصير لو انتظرت حتى تموت متغيراً
على كينها؟

«منصور»

- طول عمرك رجل رجعي، ولذلك تستحق كل ما يجري لك، احتسبي
«سيد درويش» ومات «الشيخ زكريا» و «بيوم التونسي» وأصبح «عبد
الرحاب» يعنى مدفوعات، ولذلك أرى أن موت
«عبد الحميد».

وأي «مكرم عبيد» في ثلاثة سطور و «مصطفى السباعي» في
ربع عمود لذلك استحققت الصحف ألا تقرأها لأنها عادة كالأزمان.
قلب بحزن لم أستطع أن أشارك في تدريع النحاس، بسبب جلطة
التي هكمت في الشرفة حتى ألتقي عيالي، ومع ذلك اعتقلت عميت
بتهمة المشاركة في جارتها، هيس «منصور» :
- يا أولاد الكلب، قليتموها محزنة، والحزن يطفى الشهوة، فكفروا
عن هذا النواح.

تصالح المدام بهيمة مدبرة :

- ماذا يضيقك يا «منصور بك»؟

- لا شيء يا مدام، ولكنني تذكرت صديقة أَدعوكم لضرب كأس
رحمة وتوراً على زوجها.

ثم هتب رانف كاسه

- في صحة المرحومة زينب البكرية؟

تصالح عبيها فاستمر...

- ألف رحمة عليك ياسيت «زينب»، لو عرفت لك قبرا لزرته و
مارست في فئانة الحب مع هذه السيدة الجميلة، ثم حُزمت حضري ورفعت
عشرة يلدي، وهتمت كثير هذه الأيام بسقوط الزمن والعدو الصهيوني،

من أوائل الذين وضعوا أسس التأمين على الحياة في بلادنا ولكنه تعمس
الحظ فقد كان شوما على عملائه . وعلى شركته . فإذا أمن أحد على حياته
بمعرته يموت، وبهذا يخسر المؤمن روحه، وتخسر الشركة قيمة التأمين،
لذلك كرهه المؤمن، أما هذا الرجل المعجوز فهو الأستاذ «سليمان لبهاوي»
فهو مناضل قديم، حاول قتل «صديقي باشا» ودفع ثمن ذلك عشر سنوات
قضاها منتزها بين أبي زعبل وطره.

قطع «عبد الحميد» الحديث محتجاً، واحتصني المرأة بلقطة اهتمام
مهاجئة وقاس:

- السجن شر؟ سخط... ولكنك عُرِضت عن ذلك طبعاً بعد الثورة؟

صحك «منصور» ضحكة عالية وقال

- طبعاً... أرسلوا له وسألوه : أليس أنت يا نوري السعيد؟ أوحشنا
يا رجل... لا أوحش الله منك ياسي «لبهاوي». فقال الملعون بتواضع ها
أثناء، مقالاً : إهنا ففضل ياروح امك وأرسلوه إلى المعتقل كنوع من
التكريم لبطولته واستمروا يكرموه عامين كاملين.

فتبست المرأة ابتسامه بلا معنى وأقعدت سيجارتها. أثارتني رائحة
التبغ، فاستنشقت الدخان المتطاير، وقلت أن «خوية» ستلومني لأنني
تأخرت، وستشم رائحة البيرة، وتلقني على صحتي.. ومن لي بيوم من أيام
ذلك الماضي الذي لن يعود. ويوم تسللت إلى حجرة لقابلة فوضعت صورة
كبيرة لي في مواجهة المقعد الذي صعدت الجلوس عليه. ستعرف لا ريب
الوجه الذي يتابعها دائماً بعينين متعطشتين ترعبانها في طريق الذهاب
والعودة إلى المدرسة. ومعني يتوقف لطر الذي يسقط بالخارج.. وحكايات
«منصور» لا تنتهي.. و «عبد الحميد» يعرض مشكلته على الحديث قالت
المدام:

- لا تحزن يا «عبد الحميد بك» تغيرت الدنيا، وهذه مسألة

عادية

وأقيمت حضرة ذكر، وقد تسألوني من «زيب البكرية»؟ وهو سؤال يدل على أنكم هدارين كالرمن، بنت أشرفه كانت، تمنى قلبها بولد فرتساوي فصعدت وراءه إلى القنعة وعاشت معه، وعندما رحل الفرنسيون حرمت مقامها وتولت إلى «الجدارية»، فأخذت لدى إحدى جارياتها، ولكن الرشاة طمونها للوالى، وسألوا أباهما وكان رجيب كعيد الحميد وأصف، فقال إني برى منها، فأخذوها وقطعوا رقبتها، أو حكنا يقول «ألجرتى»، وهو مؤرخ بعدام وليس بائع بسطمة كما قد يتبادر إلى ذهنك، وأراهن أنه كان أياها شيطا عجوزاً لا يقدر على النساء - ويربك كالجمل بين مخدئ أي امرأة

تائب اللام يأسى

- مسكبة؟

«مصور» بسخط .

- لو ظهرت اليوم لا اعتبروها مدافعة عن حقوق المرأة ولعينوها رعيمة للقيسيست ولذلك، أدهولك إلى جولة بمدير باب النصر، لبحيى معاً ذكرى هذه الإنسانية المسكبة ومؤنس وحدتها، بمضاجعة توفيق صرخات شوتنا - أثناحا - المؤتى، فنسألهم عن العلاقة بين النصر والقراقه؟

وعندما عاد من دورة المياه كان قد أفرغ ما فى مثانته وأيضاً ما فى جوفه. وانقطع المطر فى الخارج سألته ونحن على الباب من حاله قال - كانت رغبة كادبة . وقد فكرت وأنا بالناحل أن من الأفضل لي أن اتصور وسوف أنضم إلى السادة البكرية . أكراما لطبيعتى زيتية

ونحن نذب فى الطريق «سألت» عبد الحميد

- على فكرة ما اسم ابتلك؟

- زيب .

«مصور» بصوت حال :

- «البكرية»؟

- لا طبعاً زيب عبد الحميد وأصف.

شكا «مصور» من البرد، وقفنا تنتظر تاكسى.. وقال «عبد الحميد»

بن صافية ظافرة

- ستودعون الحياة دون ضجيج، ولو سمعتم كلامى لأستقم على حياتكم يبلغ محترم واد ذلك لنشرنا صوركم فى الصحف بعد عمر طويل، وتحبها بلبط العريض : هذا الرجل ترك لورثه ألف جنيه (ثم بلهجة إعلائية)... التأمون ضمان وأمان.. رسةادة واطمش.. مرة ذهبت لأحد كبار الساسة ودعوتته لأن يؤمن على حياته، فتركنى أثرثر أكثر من ساعة حتى طشت أنشى سأخرج بمغولفة معترمة عن البرايضة التى سأفقد بها عمه، ثم قال لي : أنا لا تهوى حياتى لأن بوليصتكم لي تدفع المكتوب، ولكن هل تستطيع أن تؤمن على حب زوجتى ووجانها؟ هل تضمن لي ألا يرقى إيسى في وجهي، أو يجعل امرأته تطردني من البيت؟ هل تؤمن لي ضد غدر الأصدقاء؟ هل تضمن لي إذا صُ شهباً ألا يعترضني التاريخ مهرجاً؟ هل تضمن لي كل أو بعض هذا؟ لو فعلت لتدافع اناس على شركتكم بالملايين. أعجبنى متطقة فقدمت مذكرة إلى مجلس إدارة الشركة بعنوان «مشروع للتأمين ضد غدر الزمان»، كانت قطعة من الأدب الربيع لذلك كافأني عليها المدير العام بحصص خمسة أيام من مرتبى صحت. شقت أنوار التاكسى طيفات الظلمة الباردة.

٣

جولة بين ابتسامات متقلصة

انتهى اشروع إلى الفشل السريع وفى نهاية اليوم تأملت حصص.. فقلت إننا احقرنا وما كان قد كان، لي يحكف القذب عن اجترار الأحلام حتى ولو تكاتف عليه كل بأس العالم. في الليل تأملت حلمى ورسمته بأدق

ما يكون، وكان مبهجاً وأنا تائه فيه، في حيرة السوم الدافئة، والعواصف
تزمجر في الخارج. وكانت مستغرقة في قراءة رواية فرنسية، ومنظرها يُبعد
عني عينيها، وعندما فتشوا المرل أول مرة، استولوا على خطايانا المتبدلة،
وفي المرة الثانية استولوا على ما كنت قد كتبت لها في السجن، ولم يبق
لأيام الخريف من رد سوى الحشرات، وتذكر أن «كين بويد» - منشئ
الدعاية الإنجليزية - أشعل غيلوبه وقال:

كيف تفكر في القل ولديك كل هذه الطاقة انشاعريه.

عجبتُ ساعيتها لملاحظته، بيد أن طاقة الحب قادرة على الكثير

قلت:

قدأ عيد رواجنا «السابع والثلاثين».

نالت وهي تحمل منظارها وتقبلني في وجهتي..

- كل سنة وأنت طيب.

فلكني إحساس طاغ لحظتها بأن هذا قد يكون آخر أعيادنا فطرته
بقسوة، وأعطت كتعبها بفرأعي، وقلت:

وأنت طيبة، لدى فكرة لعيدنا هذا العام أود لو قمنا بجولة
كلسانيين. نتفقد آثار الماضي. مرور مدرستك القديمة حيث رأيتك أول
مرة.. والحدودية الثانوية التي قضيت بها أحلى سنوات العمر، وبيروتنا
القديمة وكشك الموسيقى. أعني كل ما يذكروننا بما مضى.

غابت نظراتها وراء حلم مستعص طمست السنين معالمه، وقالت:

- قلبك شاب رغم ثجا عبيد الوجه، ولكن هل تساعد الصحة؟

قلت أن الحلم يستحق كل المشاق. وناقش التفاصيل وحدنا الجاهلات
السير، وثار اعتراض بأن الكثير من الأشياء قد ندرت، فقلت أن رائحة
الماضي تنبع من أرضه وستشمها رغم كل شيء.

صغقت «أحلام»، وقالت أنها ستعد حفل المساء وشهدا الصباح
مدب على الأرض بقلق، يحتضن الحلم، رأمأ عند الغروب فقد خومت الكتابة

على كل شيء قلت هذا لبعضي رغم معارفتي إحداء شعوري عنها. ولكن
الحياة فرضت نفسها على ملاصقي فكيف ديمت آثار العمر بكل هذه
القسوة. وكنت أعلم من البداية أن الكثير من الأشياء قد تغير، ولكن
الزمن رغم حقا. أهدأ هو شارع الخليج لدى شهدت مَحْبة متبهاً، والذي
كانت تظله الأشجار! اقتنعت يد الزمن القاسية أكثر بيوتته اتسع حتى
شمرت بنفسى ورقة طائرة في ضجيجها، احتلت البراكي كما احتفى الخليج
وجُف من قبل.

وضجيج الترام مرعج كلمة أبدية ولم يعد هناك ظل نثني به لهجير
وتسرح في براحة المبرون حلف قامتها النخيلة الرقيقة، وها هو الرحام كيوم
الحشر فلا تصطدم العين إلا بأرداف مهتزة سارحة، ورحال فتقن وعمود
رعدة بالهم، أما هذا الطلل البالي فهو مدرسة الحديوية القديمة، أصبحت
حراه يسكنها اليوم واليهام وكلاب الطريق، وبها تدبر الضحك من قلب لم
يكن قد عاقر الأحران بعد. الحديوية الجديدة نظيفة ومنسقة وبكنها عاطلة
عن لجلال كذلك ظلتها. ولعل حبة الأمل لا تقود خطواتك إلى «باب
النصر» حيث تختلط لنصك قبراً. ولن تعدم عدا صعبة من هنر هذه الأيام،
يطالب قوأك من الذين يكتبون فيها بتنظيف القاهرة من آثار الماضي لتسد
عنقها للمستقبل، ولولا السبعة تهدموا الهرم الأكبر، وأقاموا مكانه حانات
للمضاجعة، هم يدهسون كل شيء، وأفس عفرت «أحلام» عندما قرأت في
الصحيفة مقالاً يقول كانه أنما قتلة محترفين، وأن الاتهام بالجماهير
ولعمل «منظم» هو طريق العمل الثوري، فقلت أن ابن الكلب كان يبول على
نفسه عندما كما نحن ندع ثمن وطبقنا، وهو يلعب مرتب لكتابة هذا الهدر
السعي. حس يصمن لي أن لا يُعتبر «صدق» غماً بطلاً رطيباً، وتدان
لأننا حرة؟ وأين الحقيقة في هذا الطوفان من الأكاديمي، ولكن هذه الأنتكار
عكارة تهدد صغر اليوم.

ولسحب بالأظافر عكنا نجد من آثار الماضي شيئاً يبعث النشوء في
القلب الحزين، ولكن الكلاب شوهوا شوارع الحلمية بضغ صمتها اجليل

الذي طامح سرح فيه القلب شوانا. وقامت عمارات طريفة كزبانية المجمع، على هذه الأرض كان بيتنا الصغير. في مكان ما منها التقينا وجها لوجه لأول مرة. أطرقت بعينها السوداء بين خجلا، واتقدت حذردها كالجمر، دسعت في يدها ورقة كانت أول ما كتبتة لها من رسائل الحب، فأين يقع هذا المكان الآن من هذه النهاية العالية. هل أصبح دورة مياه؟

سألتها عما إذا كانت تذكر ذلك. فقال صوتها اللات: نعم. راخلتها في تحديد المكان. قلت أنى سألته إياها في الحقيقة. وقالت بل كان ذلك في حجرة الصالون. استمرت المناقشة رقنا إلتهم بهجة الذكر. أهي الذاكرة الخزون التي تزيف التاريخ؟ ومن المؤسف أن رسالتك قد ضاعت بمصل كلاب الحراسة الذين أطلقهم وراءك «كأن يود» فهل يكتشفها أحد المؤرخين فيما بعد؟ وقيم تلوم مهرجى سنة ١٩٧ وأنت بذلك قد نيت. وأمس أعلنت الأصدقاء بمشروعى ودعوتهم لحضور الاحتفال في النساء. ضحك «منصور» وقال.

- فكرة طريفة. وسأدعوكم بدورى إلى حضرة ذكرى في ساحة شهيدة العشق الديموى «ربى البكرية»

انتهت صبحكته بسعال متتابع تصدع له صدره. قال أن الرمن العادر ابن الكلب أصبح يلزمه بيته أطول مما يحتمله وأصاب

- وأن تكون عجورا ووحيدا في شتاء قاسى، ذلك شئ لا يطيق. وليس العدو الرئيسى لنا هو الامبرالية كما تزعم أبواق الحكومة، ولكنه الروماتيزم والسعال ولن هو وآلام الكلى..

تهب «عبد الحميد» قائلا

- هي صيف هذا العام ستوف ابتى. وأدعوكم لأن تحضروا حفل تنويرى بالقرون، وبذلك يكون عمركم الطويل قد شهد تنويع خمسة ملوك. الملك عزاد والملك جريج الخامس وهاروق الأول والأخير واليزبيث والعبد لك.

ثم استطع اكتشاف لود البيريه الذى يلعبه، أهو أزرق أم أسود. وتذكرت أنه قاوم خلع الطربوش بضراة بحسد عليها أروى «منصور» - يتحدثون عن عقارات لتجديد الشباب، ولكننا نعيش في عالم غير عالمنا بحق.

«عبد الحميد»

- لُصك من هذه السيرة، شقنا وانتهى الأمر، فلماذا المقاومة؟

قاومت رغبتي في الكلام لحظة ثم قلت.

- ثقفت الدنيا، وينهى أن نُسَر لذلك.

«منصور» صاحت:

- هذه أكلوبة تقولها من وراء قلبك. كن رطل اللحم بخمسة قروش

وأصبح يسيمى. وكانت النسران العشرة بقرش. فأصبحت أقيع امرأة توجع

قلبك بالحديث عن الحب ليل أن تخلع ما تقضى الأقدار يخلعه من غلابها

ضحكت أسبانا وقلت أنتى صريع مثله. وهى هو الشعب يسرح في

الطربات لاه عنك، ضعيف الذاكرة، وم يعنى أحد بأن يحفظ لك آثار الماضى

العظيم

قلت

نحن لا نذكر إلا في أنصنا ومن الخفق أن نذكر أن لدينا طلعت

للأمم.

«عبد الحميد»

- وآية ذلك أن أولادنا بصرون على تنويعنا بالقرون بيل أن نغادر

أحياء.

«منصور» عفا

- وآيته أن الحكومة كومت بطولتك بطريقتها، ونحن في زمن حرب

عاشى أن يقرودك لسائك إلى المعتقل مرة أخرى مخرج منه إلى القهر

ضحكت مغلوا على أمرى. ها هي النتيجة أمامى، بدأ الهدم فى يواكى شارع محمد على. آه، كم سرح الخيال خلف فكرة مستعصية أو بشرة دانية، وبين لحظة وأخرى أشعر بالأم الرومانيزم من مفاصلى، ويد أنه من المستحيل أن يكمل السير إلى كشك الموسيقى على الأقدام، فدعوت التاكسى. - فها لضجيج العالم. كان «النيستون» رقبنا حانياً، فهل تطوف بنا فى هدوء الكشك ذكرى لهمة القلب، فتنتشى الروح كما حدث فى زمان الذى مضى، طارت عيني إلى مكانه فقصر بصرى الذى صعب عن التقاط صورته، وتقدمنا بخطواتنا البطيئة. واستندت إلى ذراعى فلاحظت أن قائمتها قد انحست قليلاً : آخر مرة رأيته فيها كان بعد هدم سور المدينة بقليل، مرقواً جلالها وفنتراً بهجتها، شهدا ذلك الطريق الملعون. وانتهت حضرتها إلى لاشئ.

وها هو الكشك مجرد «برجولا» ضمن كازينو مردحم ومرغن، جلسنا إلى إحدى الموائد، إزداد ألم المفاصل بمجرد أن ارتقيت على المقعد، جاءت جلستنا بجوار عاشقين عشرين تتاريت وأبائهما، وغداً فى حديث هامس :

قالت «مورية» :

- أرهقنى المشى. وأشعر أن قلبى يكاد ينبجر من الخفقان.

- وأنا أيضاً.. مفاصلى تزلزلى.

شربنا المثلجات، واجتذب حديث العاشقين سمعى الثقيل، فأدببت أذنى منهما دون أن أشعر. وعندما قاما مجاملة إلى مصداً فى الطرف الآخر، خجلت لتطلى، سيقولان لاشك أنتى عجزز سمع ومتطفل.

وعندما وصلنا إلى المنزل، هجبت لأشئ طوال جلستى فى البرجولا لم أذكر لك منا فى كشك الموسيقى.

أطعانا الشمع نحن الثلاثة. فكلت «أحلام» على وجنى وقيلت «فوزية». ارتعشت يدى وأنا أقطع التورتة فأكلت «أحلام» تقطيعها ووزعتها علينا، وقالت

- صنعتها بنفسى. فما رأيكم؟

تصاعدت التهانى من كل اتجاه.

احتضنتها «موزية» بامتنان. وقلت أنها طفلة رقيقة، وضحك «منصور» ضحكته العالية، وهمس فى أذنى قائلاً

- هل تسمح لى أن ألبسها قبلة أبوية.

زجرته، فأكد لى أنه أعلن الإفلاس الكامل، ولا ضرر من القبلة وانهمك «رسم» و «أحلام» فى حديث جاد، حبك «عبد الحميد» «نبيرية»، ونظر إلى أبنته، وهمس معاذراً أن يسمعه عطيتها الذى كان يقف بجوارها .

- يتحدثان عن منطه فتح كأنهما من عتاة المباشرة، لذلك استحققا الثرون.

وأعنت «أحلام» أن لها صديقاً من المهنيين بالتاريخ يطلب لقائى لاستجلاء بعض النقاط فى بحث بعده، عن جدور لفضال الشمسى لدى مهد نورة ٢٣ يوليو ١ أهبجى الخبر، وطبعت تفاصيل عن الصديق للذكور. فتحدثت عنه بوق واضح، فقلت لنفسى أنى سأعرف حبيبها أحيراً قال «عبد الحميد»

- حذار أن يكون من المتعاونين مع المحابر!

ودت «أحلام» بيقفاً، واضح

أنا أعرف كيف اختار أصدقائى. ولا ميرر للتطاول على الناس.

تكهرب الجو لحظة، ولكن «منصور» قال :

- يبدو أن هذا الرجل الطبيب سيدخل التاريخ، شأنه شأن كبار الناس المهين من أمثال «سعد زغلول» و«النحاس» و «شفيقة القبضية» و«هدية مصابى»، وما أن الدار أمان، فقد قررت أن أنال نصيبى من المجد المنتظر فمن المعروف أن هذا الكشكوت المقترس باعتباره ما كان، قد قبض عليه بعد إطلاق النار مباشرة على «صدقى باشا» واستعرب الناس لأن البوليس لم يجد معه المسدس سامة القبض عليه، ويحت مدير الأمن العام أبائهما المحروم «غزالى باشا» من شريك المتهم، ولكن تنقيب لم يمس إلى شئ. ويسعدنى أن أعلن أن العبد الفقير لله كان «ذلك الشريك المجهول»، وأثناء «الهرج والمرج

الذي أعقب الحادثة حصلت على المسدس، وقد يقول بعض من يعرف سيرتي ما شأني معه الأمور؟. والحقيقة أنه لا شأن لي بها. ساعدته لأتينا أصدقاء. طفرلة، ورغم أنني كنت أكره «صدقني باشا» جداً لأنني كنت أحب الخمر والنسوان أكثر من أي شيء في الحياة، لذلك ترددت في القبول أياً ما ولكنني من باب الجذع لا غيره، قهبت. ولا أذكر أن مفاصلي سأبت عقب الحادثة ولكن الله سلم. وقد احتفظت بالمسدس كنوع من التكريم لشخصي الضعيف. ولكنني قررت في هذه المناسبة السعيدة أن أعبد إله هدية، بمناسبة العيد السابع والثلاثين لزواجه السعيد

صديق الحاضر. وفضضت الأوراق عن المسدس لتفحصه العينون : مسدس وساقية قديم. حران الرصاص فيه كبير، وبدأ أن يبدأ قد أعادت صقله حديثاً بقايا الصدا مارالت تحيط بمسورته، ولكنه يعمل أدريته. وتأكدت من ذلك، صفق الحاضر. ارتجعت يدي وأنا أمسكه اجتذب بصري «أحلام» رفعت عيناها اللامعتان الجميلتان، تصاعد انبساطها به في السروة. سألت عن ماركته وأي نوع من الرصاص يمكن استخدامه فيه لماذا هو ضخم هكذا؟ هل يمكن التصويب به بالتوجيه، أم أن وضع الهدف في منتصف اللبابة شرط للإصابة. وأخيراً قالت :

- هل أستطيع أن احتفظ به؟.

قلت بدون تفكير تقريباً.

- طبعاً. اعتبره هدية مني!

قالت : قصدت أن أحتفظ به بعض الوقت؟

ضحكت، وأعطت كتفها بذراعها قائلاً :

- لن أوزنه شيئاً سواء، غسوف أمرت فقيراً

وكان المطر يغسل المرافد والشوارع والبيوت.

ثلاث مشائق

مقدمة الصبح

« .. ما من أحد من الذين يجلسون حركك إلا
سكروا عين حشاش .. فلا يمكن حشاشها .. »

١

إحالة الأوراق إلى فصيلة كفتي:

من تلك اللحظة بدأ مشائقنا. كان ذلك في شعوب المروية ونحن
بمادر المدرج. فكثر أن أسمعها أنفس الكلمات. قاربت رغبتني بعنف،
حُفَّت بعد قليل مختلفاً رماداً في تجويف رأسي.

رفع رأسي فاهز قيل الحصان الأسود في مؤخرته. سألت :

- ما رأيك فيما قاله «الدكتور كمال»؟

كاس بعض الحبرات الخاصة قد علقتني أن أرد على السؤال بسؤال.
طبعت رأيتها

تعلم أن ليس لهذه المسائل قليل. ولكن الفكرة باهرة حقاً.

كأن ذلك رأيت عدلت عنه في صدي وثقة التي تكلمت بها .

- ليست جديدة على أي حال.

علفتُ بصحكة مقتضية. خرجنا من المشى متجهين إلى باب الجامعة الرئيسي. دنت الساعة. لم أكن بمراجعة دقائقها... في المقدمة أشياء تقادر المكان. دقائق الأقدام تأتي من خلفنا مشيراً. أجروا قلت - الساتين اشتوية زبدك فتنة.

ابتسمت. ضحط كنها على دراعى ضعطة رقيقة ممثلة من مرفقى جانب ثديها هزمتى وعشة دلاء. وأنا أقرأ ساعتى .

- مازال لدينا وقت نعيش فيه يمزلى... موافقة؟

تركتُ دراعى يرد فعل لم تحسن التحكم فيه

- لدينا كمية من اللحوم والفاكهة سنوزع بها للأيام التالية

- و«رياض»؟

- لا شأن لك به. ليس بالشعة، فقد تعيب عن المحاضرة.

أوقفنا إشارة المرور أمام باب الجامعة. انعكست أشعتها عكراً

على وجهها...

- «رياض» كائن غريب؟

وأن أتناول يدها لتعير الطريق.

- فلما ما يمولد «المقدس سمعان»، وعتدد أنه من السهل أن ينفذ

الجميل من سم الحباط، أما المستحيل فهو أن ينفذ ابنه «رياض» إلى

ملكوت السماء، ولكن هذا ليس موضوعاً. هو «المقدس سمعان» إيراد

ماكينة الطحين إلى دجاج وفراخه ولحوم. أو هو لك لالتهام يعضها، ويمكنه

اعتباري بعض هذا البعض.

تنهدت بهبط. تأملتُ عينيها. كانتا غائبتين

- لا أستطيع أن أتأخر... نزلها ليلوم آخر.

- التاكسى يقرب المسافات لم يذهب منذ أسبوع.

تحصنت في آخر موانعها .

- لدى أسباب أخرى غير الوقت. - وما بعد يومين أو ثلاثة.
هزرت رأسى باهتمام وصفتها بأنها وقحة. سألتها والآنوبس يهل
من بعيد عما إذا كانت مصابة بمفصص.
- هل أدركتك الإكس؟

صريتى صرعة خفيفة على صدرى. قفرت إلى السيارة في لهجة
شديدة. غابت في الفراغ.

«عزيري عادل»

«تأكيظ برسانى ولم ٢٨ السابقه. وقياماً بمسؤوليتى تجاهك أكرر
لك النصيحة «سحر» ليست محلصة لك. تأمل صدرها ستجد شمة عوز
سهد الابسر وأخرى في اعلى السرة. وثلاثه فوق مهبط البطن بقليل وعلى
اعلى الفعد آثار عملية جراحية قديمة. ألا تستغرب معرفتى لهذه اعتنائى؟
«صاح أمين»

فتحت درج المكتب بهدوء. أخرجت ملفاً ضعباً عنوانه «سحر ٧ /
١٢ / ١٩٤٣» وأرقت انورقة به. أعدته إلى مكانه. أشعلت سيجارى.
قال «رياض»

- هل من جديد؟

ابتسمت. قلت

لاشئ. خطاب من مكتب الأمن

عند العشاء أشعل «رياض» مولد الكيروسين. في ضجته خف
الزحام في رأسى. التهمت النيران جوبلنها القصيرة. لتي انصهرت عن فقد
نبيض باض بعبيرة داقتة اختفت الصورة كلها عادت الصبغة قلاً كل

مجهز الرأس.. الصالة زمهريرة الورد والمولد بشر ضجته دون مقاومة فتح
«رياض» فنه ليشكلم أربعيني منظر الطعام من مخرجهم
- ما أخبار محاضرة «الدكتور كمال»؟
- لا بأس بها.

مستطلعا بعينيه بيضا أنياه عزق فخذ الدجاجة. قلت
شرح تجربة جديدة للعلاج الجماعي تقوم على اختيار جماعه
سخلص من حسابتها تجاه خطاياها بأن يعترف كل فرد بإثامه بصراحة
تامة أمام الجميع

- وهل نجحت التجربة؟
- ربما .. قل أبيض أنا في النهاية مسجد أنعمنا إرباء. قام منا
تصوره خطايا. هو بالفعل ما يفعله الآخرون.
- والعائدة؟

- نتعلم عن تأنيب أنفسنا بلا مبرر
أصابع السكر إلى الشاي.
- تجربة منيرة على أي حال ليس حصر. أحلى «القدس»
لا انتظار ظهور العذراء فوق قبة كنيسة الزيتون، لم أطي الرحام قلت له أنتي
أرعب حقا في الانتحار ولكي ليس تحت الأتنام. عصب علك المقدس،
وأندري بأنني سأنتهي من ملكوت، قشيت في كنم صحتكس وهرت منه
لكي انتحر في مكان هادئ ولكن محاولتي ورفسها ٣٨ عشلت
- لماذا؟

- كان ظلام الشاطئ يسمى عاشقين أفرعها ظهوري. شأ أني أريد
بهما سوا وقد تحول المشهد إلى نراجيكوميدي من اللون المتدل، وحاول
الورد رشوني حول إليه أني شرطي. وفي النهاية عدت حماسي للمرضوع
كله.

وأنا أرفض سيجارته المنقحة ذات الأريج النفاذ

- يودي أن أعرف سببا مقنعا لتفكيرك الهرلي في الانتحار؟
محبب نفسا عميقا من سيجارته تأمل الرماد المتراكم في قمتها
محافظا عليه، قال.
سمعت أن المنتحر لا يدخل ملكوت السما.

في دفء الضحى هذا «الفاير» الأخضر أتيقا على جسدها. أما
مشارف عذبتها قناعمة بيضا، وحيدان كنا في البرجولا، عدد قبل من
العشاق حرقنا، قالت:

- هنائي والدكتور كماله أسس على بحث أهبال السة.
- عظيم.
بإتسامة زهر:

- المهم أنه قال: «عزلت عن الظن بأن التنيات الجميلات دائما
تافهات

فجّر زهرها صديد أنضيق في صدري. هربت بأصابعي زهرة كانت
قد أهدتها لي قبل دقائق. لم أعلق.

انثنت أهبالها بوجهي لكي تصطادا عيني أملت وجهي فأصابني
القديفة صلبة صغيرة كانت تصعد فوق جذع الشجرة. سألتني عما إذا كان
هذا بضائني؟ نثبت ذلك.

- أنت لا تفار على.
- الغيرة إحساس بئاني... ثم أنش أنق فيك

غنى راديو هابر في المشي المجاور.
- تشاجرت جارا مع امرأة البراب. آو. كانت معركة حامية
-

- شعل عبال.
وسرعان ما دقت النار في
السابع مبرر الكم.

العصاة، ولوتلفعت الأمل

-
- قالت امرأة البواب أنها قد به وروجها قواد . وأرلادها كلهم

سقاج.

- هذا سب عيسى لو طبق قانون العقوبات

علا صوت الراديو خلفنا

- هل ما قالته عنها صحيح؟

- ليس هناك دكان بلا تار، جازتى ان تنام لمدة ليل.

بدا فى يدي صعلتها اختنق صوتى برغبة طارئة -

- أما نحن فنستطيع أن «ننام» الآن.

- فى عز الصيف!

- ما يحدد وقت النوم ليست الساعة، بل الرغبة.

كل شيء كان معروفا من قبل. ونحن نتوجه الى التاكسي طلبت عنى
أن أكتب عن الواقعة باحساسى للأغنية التى كان الراديو يذيعها بكرر
المطرب المذهب بالخاص سمع. فى الشارع السابق لشارعاً سبتها كالعدة
- بخطوات سريعة حتى لا يرانا أحد مما، دخلت باب المنزل كالبواب.
خطراتها تنق الأرض خلقى فى البقاع رتيب، يثلل التعود من سخط كل
فى. اعترضت زوجة البواب على

- خطاب لك يا أستاذ عادل.

حدث ومريم من كوخها فى بئر السلم، الخطاب فى يدها أحد
أطفالها يجذب بلبها عرفت الخط على مقرب الخطاب. ما أنشط مكتب
الأمن، وما أكمل قانون العقوبات.

قبل أن أصعد كانت وسعره قد وضعت قدمها اليسرى على أول
درجات السلم.

قالت «مريم»

- أين تقصدين يا شابة؟

ميد جانب

- عيادة الدكتور مصطفى.

صعدت كالبهية. رفعت لحظة متعمدا حتى اخلفت دقائق أليانها فى
لدور الثالث. أنهيت مسرعاً حديثاً ملتقاً بدأته مع زوجة البواب، لاقتنى
كلماتها فى السلة السابعة عشر:

- جاحت دغدوس الغسالة... وستعود يوم الأحد.

ثم بصوت حاد

- ريثا يهدى العاصى

من الحمام جاء صوت المياه وهى تتساقط. أشعلت سيجارتي. مضت
رائحة الدخان على عبير تركته فى الفرفة. فتحت باب الشرفة. واجهت ضوء
الشمس. قالت سائلي أن «رياح» سيهده بعد ساعتين «سحر» - ككل
مرة - تبكى الآن فى الحمام وتسمع دموعها يظفر كفها كالعادة ستعود
بعضين فالبئس غاب عنهما وهج الشهوة، كسيرتين ودليلتي. لا داعي
لبأس. أمانا وقت لجولة أخرى. إذا غلبتها الشهوة فليها كانا آخر

تعلقت عيسى السارحة بعصافير جاءت من المزارع القريبة. متى اظير
فى القضاء كهذه العصافير!

عبنا بواب عمارتنا تطاردان العصافير، شارب عصي، يجلس كعكيم
أنسنت بصاعته رجل منكر أما زوجته مشرقة كوخى قال «سحر» :
ظرفها ترصبي. يحيل إلى أنها لا تصدقنى. المزارع رحية ومتسعة فعدا
لم تكن عصفورا؟ اصطدمت يدي بالخطاب.

وعزى عادل

أنت إلى الآن لم تصدقنى طبعاً ولكن هل يكعبك أن تعلم أن

وسرعاً عندما ثعلبها النشوة تصبح قاتلة «رائع»... «دهش» . أهلكك
هذا لكي تعاك أنى سيقطع إليها

«مخلص أمين»

كان ولده في رصعته في الملك

المسفة الأولى: مقتل صورة عازية في المرأة

ليلة العيد التالية انتهوا من صلاء العشاء وبدأوا يصلون التراويح
تصاعد تكبيرهم يلهم صمت محددنا كانت متشبهة بمسألة صدرها تخرج
في حلمها لم تنس في آخر لحظات اساعة أن قد يدها لمرتعشة بالرغبة
فتظلم الحجرة وأنا منهمك في عملي طرأت على ذهني فكرة هناك لاشك
رجل يعاني سكرات الموت الآن في نفس اللحظة طردت الفكرة في موجة
نقييل حادة طاروتني بالخارج، حمد حساسي لما كنت اتمله انقلبت رانداً إلى
جوارها، كانت تلهث دانيه، يدها تتحسس رقبتي، أدت وجهي إليها
شفتاي باردتان، لفظتهما، ظن وجهها على صدري، انتعلت عود قناب ،
صرخت مزعجة.. سحبت الملاة بسرعة، قطعت نفسها عاودتني الرغبة أن
أسمعها أفحش الككساب، أنعاس معها كهنى، حمت أن أنقدها تراجع
الرجل الذي يعاني سكرات الموت دخل الآن في مجال الميوية، عاد ففدها
العدي يلقى صعد فوق قعدى، لبرودة تنتقل إلى جسدي عبر أنفاسها
الساحنة، وجه الرجل الميت شى الظلام احتجت إلى كل قدرتي على الإبصار
لكي اكتمش، ملامحه تاكدت أنه حالي عباءة جاحظتان بشرته ملبنة
بالتجاعيد، ملامحه تجميع في تشكيل متسول وأج، تعلق بوجهي الموهق
أما أمى فكانت تخفى بأسها وحزنها في نظرة صابرة، قال :

= كاس واحد . واحد فقط .

بدت لي الرغبة مشروعة تماماً أما أمى فقالت لهجتها: لصابرة
= لا . الدكتور قال : لا

خارج الحجرة وضعت عباءة أمى.. بكبت مثلها، ترققت ذموعها، لم
تتوقف دموعي، دقت النظر لم يكن الرجل خالي كما تصورت. على
الثند المجاور للفراش اصطدمت يدي الممدودة بتمثال برونزي للمسيح
مصوباً، ارتجعت لبرودته - هدية «القدس سمعان» ولا يمكن رقصها، في
غرفة واحدة أعيش مع إنسان مصلوب عسر الأطراف عباءة حزينتان
عانتان، ثكنايان نفسي بأمرى من دمه، شعرت أن لحظة إندماجنا قد
أفست، ابتعدت عني قليلاً، لحبها غريب عن لحس تبيت خطوطه رغم
الظلمة قال صوت في الخارج: جازر الضحية. كل عيد وأنتم بحير
تجسست رقبتي بأصابعها في يمحرج الرغبة تسي كل شئ من المسجد
المجاور تصاعدت تكبيرات العيد وصيحة أطفال الشارع.

= لم نلتق منذ شهر

ثم وهي تنتقل بأصابعها من صدري إلى بطني :

= رغم هذا فأنت غير متعصب

=

= أذكر ألا أجه: . هذه المرأة تتعقبى بعينين مجرمتين، وكلما
رأيتي قالت ربا بهدي العاصي، وكل مرة تسألني إلى أين أنا ذاهبة
أوب.

«المرأة حقيقة مزعجة ولكن اهتمامها بها يهت على السأم، ومن هو
هذا المختص الأمين؟، هل أصغها باللف وكاعة المستندات، ستكر بلاشك
الأدلة صاعقة. دأعرة من العجرة الأولى لما هذه انفساسية المرضية، ومتى
يعطون قانون المقربات».

= صعدت خلفي مرة إلى عيادة الدكتور مصطفى، فوجدتني في غرفة

الانتظار وانتحت بالثومرجى وكنا ونهاضت معه وطبعاً أكنه لها أتى
زهوة معروفة.

- وثبت كل شيء - ذكازكه فوق مستوى الشبهان.

- ما أخبار جارتكم؟

وضعت رأسها على كتفى- نديها العارى أمام عيسى- شمت
أرجحه... كنها الآخر يتحسس ببطء فخلد.

- لاشئ - وأمسى زائناً وأعادت على مسح أحي كل الكلام اليدى
الذي قالتها مرأه ليوأب.

شدت عليها- اختفت لهجتها برعدة حادة- شفتاى تدوران من
شمتها

- ماذا قالت؟

لبئس ولم تحب حشمتها.

- أظن أنها تعيد هذا الكلام على أحي لعله يصدقه، تريد أن تفتح
له الطريق... رقة....

أزوت الكلمة الأخيرة وجه خالى كنها تنحس أدنى مراكز
الاحساس فى كنت حامد الرغبة تمام استمرس شئ للضحك- قاومت-
استسلمت له فى النهاية- انفجرت ضاحكاً- مدوت يدي- أصأت التور فجأة
عكست مرأه الزينة أمامها تفاصيل الموقف- لمت نفسها بسرعة- اختللت
صعكتاى الهستيرية بتكبيرات العيد.

- سحبت اللادة لتعطى- منعتها انتزعت الملاءة- ألفتها بعيداً-
فلكها غصب جنونى- سبسى بأفزع الألفاظ - لم أتوقف عن الضحك-
مشهدنا ونحن عارين مصحك فعلاً- أشرت إلى صورتها فى المرآة وأصا
كل مساحة بي جسدا.

صاحت

- أسكت يا مجنون يا ابن الكلب.

لم أسكت- مدت يدها إلى الشمال ليرتضى- رفعته إلى أعينى.

صاحت

- سأقتلك

ترددت قليلاً خفتت صعكتى- ارتعشت طاقة أنفها- قلعت التمثال
بقوة فاصطدم بصورتى فى المرآة تحطمت إلى مرقع صميرة- سقطت فوق
السريـر تبكى فى تشنج عصبى عريها الباكى أمامى- لم تمن بتعطيتها-
كففت عن التصعلك- خرجت تاركاً العرفة فى حطوان بطيئة.

٢

المسحفة الثانية- سقوط المدعى العام

اخترق عيناها ظهري كرسا صينى مكتومين، تعثرت أقدامى فى
درجة السلم- لا بد أن أنفها تمام من حياتى فهوها فى بشر السلم يطمئنها
مبرة المراقب الدائم- عينها الثقبتاى تريان كل شئ-
قالت وسحره :

- نظرتها تقول أنها لن تسكت- وأنا نازبة هزت رأسها وتصحبت
بشفتها- وسألت ربحا متى يهدى العاصى، فهرب الدم من جسدى-
تفتعل لمناسبات لتكلمنى كلما رأتنى صاعداً- تؤكد وجودها-
استندت على «درايزير» أقسم- رفعت رأسها منادية- توقفت عن الصعود
- الإيصال جاهز- هل أصعد به؟

- سأغير هيموى وأنزل فوراً... الغسالة فوق!

مدت يدها تلم المستان فوق فتحة صدرها- لا تأمن لعينى- هزت

بهما بعيداً. وقتنا في شرك عبيها مسحاً بهما سطح صدرها. أكل
لحم بعض اللحم. لكن ما بقي كان صالحاً لوليمة على أي حال.
- «فردوس»... لا.. لم تأت ولن تأت!

عيناى تسقطان في شرك عبيها عن سؤال ثم أسأله أجايت
- «هي الآن بالتحشيبية. هاجبوا منزلها أمس..»

دق الباب. وجدتتها أمامي جريت فارتدت الروب على ملابس
الداخية جلست على مقعد ينتصب اتصاله رائحة صابون رخيص تنتشر من
وجهها الذي كان مضراً كما يبقى لبشرة خرجت لنورها من تحت الماء. مدت
يدها بالإصبع. وسألت عن «رياح». ويدون متسبة قالت:

- «ممكنة «فردوس» أخذوها من لدار للنسر
محررات؟»

لا.. ربما أمر بالستر. ولكن الحجر الدائر لا بد من لطف.

ابتسامتها لزجة صفعها خيالي. تركتها تنظف الشقة وخرجت إلى
لشرفة. على الظوار المقابل يجلس زوجي يتمتع بالشمس. عيناى ساهمتان
في العشاء تركتها حلقى تعبد ترتيب الملاحة فوق السرير. سيكون عملاً
شيطانياً لم اعترضتها وحارسها ينتظر الوحي صحوذ ضعيف فكيف
استولدها كل هؤلاء الأبناء؟ اسمه الذي يناديه به الجميع في الشارع دون
أن يحتاج «زوج مريم».

... وكانت تروح وتجي ونصاؤها في إثرها... أمسى «فردوس».

لم قانع عيسى. نى أن تواصل روايتها

- «سألوا عنها مرارا ومرة استجروني في النقطة: ألا
تصطحب أحدا معها إلى شقتكم؟»

تهدد لشيء مرعب ولا بد من سير غورها حتى النهاية. وهي تنظف
التسريحة وجدت بعض الأوراق الدالية الصغيرة ملقاة في احمال. ناولتني
بها. قائلة:

- «فلوسكم كثيرة، لذلك تضع فيها لا مائدة فيه.

أطبقت أصابعي على كفها بالنقود. ضغطت الكف لأتقرب على
بمنهتي. أصرت بلا حماس على الرفص. نكلت كفى مع كفها. على أن
أقتر لقدمي قبل الخطو مرضعها. لانت كفها فتحت ثوبها. وضعت النقود
بين الصدر وحالته. طاروت عباى النقود. اصطفتا بعبيها المتجاهلتين.
تركت العرفة جلست أدخني في الصالة. جاسي صوتها يعنى. «ياللى
درعتوا المرتقال». وثث بعته بعث سحر أقعدني التردد. حاصت رحلة
طويلة من دروب قريتها إلى شوارع المدينة وأزقتها، فصداً لقيت فيها؟
قطعت الناء. قالت دون تهيد:

- «ربما يسامحني، أصرت مردوس دون أن أنصد. مرة تشاجرت معها
باسمعتها وسع الأذان. أعماسي اعصب فقلت كل شيء. ولا بد أن ابن الحرام
سمع. فقد كانت مراقبة.

متأمرة من نوع شديد الخبث. فصحت المرأة على ملا متعددة فهل
استكثبت أحد العرضانية شكوى ضدها، حتى أودت بها.

- هذه آخرة السير البطال. أخذت جزاءها.

محصنت شفتيها معلنة أنها لم تصدق وعظي.

- «جكّم.. ولكنها تجرى على ولايا... وفتحت بمسوت
الكسثيرات...»

انجبرت في حدى آمال حبيشة لمحصنت في موقع مكين حتى لا
تستدرجنى ثم تصرح وتجميع على السكان. فتكون فضيحة من نوع يصعب
غفرانه. لسانها سليط يشهد بذلك تاريخها الخامل على الممارك. وليس لها
كبير. هل وعدا أحد بمنحة ضخمة إذا أحلت الشقة ما أسهل أن تفضحي
تجعل الإقامة بها هذاباً لا يطاق. نئسك المسحة هرباً ما. فهي تبدو
طبعة بعكس نظراتها الياردة القاتلة.

ربما يهدى العاصي، وعلى فكرة يريد غسالة أخرى.

تجهدت يدها على المكتبة، قالت بفراتها: كفّ عن وعظك السخيف.
لسانها قال غاصيا:

- أنتم كالقزع لا تدون إلا إلى الخارج.. هل دعوتني لأعسل لك
ورقعت؟!

خفت الحدّ كلماتها الأخيرة، علّت ملامحها نظرة غضب سطحية. لم
أحكم في ذراعي الذي مدّ كفى ليرت على خنّها لانت..

- لا تقضي.. نحن لا نستغنى عنك، ولكنك هل يمكنك حقا
أن..؟

انجرت.

- لست عسياء ولا كتهاء.. في رقبتي كوم عباد.

أضعب بما تصور الخيال، روح استهانة باهرة.. بوقاحة قلت:

- «فردوس» كانت تعمل وتطبخ وتكنس و..

مدا؟

رفضت عيناها أن تفهما.. أشارت يدي - احتررت قليلا
و... ندعك لم ظهورنا في الحمام؟ نحن عرايب وأب أدري طبعها

بالشاكل.

بحرية

- إلا هذه.. السوان لا تكف عن التسلل إليكم، أنا لا تجوز على
الحيل: عبادة الدكتور.. المصوراتي، هذه حركات مفهومة.

تبرّج الحفاء، تعرف عتاك الكثير. تبدو مستعفة للتنازل، لن ترتعب مرة
أخرى تحت وجه عيناها، لن أوصي إلا بالرصوخ النهائي.

- ولكن الأمر لا يسلم.. ولجميع يحب الزيادة. ثم أنك تعجيبيني...

- سأكفيلك. لسان.

سنت المناقشة. لا علاقة بين شرّ وشر. يقول اللسان، ما لا تعبه

تبعاد. شدتها إلى استنصت كعزفة. أناسها بهراء. فقدت حساسي
صت. لاهد من الانتصار النهائي. سأصنع من إحدى قطع ملابسها
داخلية عما أرفعه على سارية الشرفة. لذلك أحصل ثقل أناسها، وترهل
جسدها.

في اللحظة المناسبة قالت:

- لا.. كنه إلا هنا.. لا أرفع يدي لأحد مهما حدث.

حائرا وأن أتأمل عريس.

- ولكن ما الفرق، لقد قبلتك واحتضنتك.. و.. و..

- ولو، هذا شيء آخر، ولكني لا أرفع ذيلي إلا لزوي..

وأنا ألبس ملابس:

- متى يهدي الله العاصي؟

تناولت التفود، أعادتها إلى صدرها.

٤

المسئلة الثالثة: مصيرة هذا الموت فوق قمة جبل

بين رفوف الكتب لامست دوانب شعرها وجهي، قبلتها قبلة خبيثة.
زجرتني نظرتها جلست إلى المتضدة، أدنيت متعدي من ملعدي. نذخت
عانية، أعادت مقعدها إلى مكانه. غاب وجهها في صدعة الكتاب. تأملت
جديتها بنظرة هارلة. أجلسها خيالي عارية تقرأ كتابات العالمات. مصحفها
الذهبي يتدلى بين نهدين مترعين. انتحيت صفحة منه، قرأت «وقيل لها
أدخل الصرح فلما دخلته حسبه بجة، وكشفت عن ساقبها. صدق الله
العظيم». ترفض للانس القصيرة. تقاطع الديكولتية بكل درجاته. وبعد
أجازة العيد راجعتني ملامحها بنظر القطيعة. تسحب من كل مجتمع أكون
فيه إنعزدت بها أخيرا في لبرقيه. بكيت بعد أول كلمة، لولا أن المكان

قليل الرواد لكانت قضيتهم يعيش على أصداها الهواة. حاولت أن أسأل مرقس، فشلت، تحبها ولكن الشك دمر كل شيء. في أيام القطيعة كاد الهجر أن يقتلك. عز على القلب أن تواجه العميون التي دما اشتتهه وكانها لم تعرفه أبدا. أليس هنا اللسان المخمس هو الذي تغنى بك في لحظة الشوة، ووصلك بآنك «رائع» و «مدهش» وكيف أصبحت غريبا؟

في اللقاء التالي عرفت أن المحيوط لم تنتجع بعد، قالت «سنت عهدة ولن أكون» عال وبالكذب تستقيم الأمور، لعنة الله على التهود. ما العلاقة بين تهكها وبين أي شيء. ماذا أغرائني بما فعلت؟ قانون العقوبات، «سنتك نفسى لأننى أحبك، ولكنك لا تستحق». تجاهلت رغبتها الطاغية، ستقودها أقدامها إليك مهما حدث، لا تزد الخرق على الزائق. رقم الخطاب الأخير ٤٢ «أنت تنظى. م. م. أستطيع الاستعناء عنك. وعن أي رجل آخر». حوار ليدى على أي حال. طبقا لقانون العقوبات يا أولاد الكلب، وكل مرة أبكى وأقرر أنها الأخيرة، وأما أغتسل أنتقا وأقسم ألا أعود. وكفرت عن ذلك مرارا بالصيام والصلاة. كانت تمرد من الحمام منهوكة شاحبة تتصرف بسرعة «أمنى لا تفارق السجادة، وأبى رجل محترم». لو عرف أخى لقتلنا. لماذا تأخر مجلس الشعب في نظر قانون العقوبات الجديد؟

- أكرهك وأكره نفسى وبودى أن أقتلك.

لم يحدث. قادتها قدماها إلى الشقة عريها كان ملبسا بشهوة أسابع القطيعة. دق الجرس. توقف كل شيء باردة الجنة كمنيت. قامت مرتعبة تبحث عن ملابسها. إتهارت باكبة صرخت فيهم قالت انفضحنا وانقضى الأمر. لمعتها في سرى...

قالت برحمة

قلت أن «رياض» س يأتى، وها هو قد جاء. سينقب عن كل العرف، وقد يمدك أن تعرف أن نظراته لى غير طبيعية

صحب:

- إهدنى «رياض» معد معتاح ولن يحضر قبل لعاشرة.

هي امرأة الهوايد. نفصحا

انخرطت في شبيح هستيرى قلت بهمن غاضب: اسكنى. اغلفت الباب عليها بالمفتاح.

شمعت رائحة مؤامرة في الجو، على الباب رأيت «مريم». عجائب، لماذا تقف هكنا كاحمير؟ أريد أن أدخل.

بيرو قلت:

- «ينظتى من اليوم ماذا تريدين؟

- عنى على المرم الأفرنجى. أنا عارفة وشايدة.

تدير لفصبة من النوع الساخى.

إمرضى لا أحب المطاردة وأكره أن يتجسس على أحد.

- وأنا يا روى لا أحب أن ياكل أحد عرقى..

- عرفت؟

استندت برفقه على الباب. هزت رأسها هزة معاجة.

طبعا يا عيتى. صنعت لسنى من الكلام وها يعرقى.

مددت يدي بالنقود. ترددت لحظة. سحبتها من يدها إلى الداخل.

دست النقود بيدي بين يديها. حلصت شعبتها من شعنى. أهدت يدي التي كانت تبحث بجوى في مهبطة بعنها:

- ما هذا؟ أدميت شعنى. أنت مجنون.

- سانتظرون بعد انصرانها.

هزت رأسها هزة لم أفهمها. سألت «سخر»

- من؟

وأنا أسحبها بلقراش

مريم المجددية

دخل «رياض» إلى المكتبة. التي يحيطته المتعة :

- كيف حالكم أيها المحبون الأعزباء ؟

ابسم «سحر»

- أيتها إلى أن أي هجوم سيرد عليه مثله.

- هذا ليس هجوماً، ولكنه حقيقة علمية، الأفضل أن اترككما جلستما

بها كمية من القبارا المعتبرة.. ولكن لعن الله الدكتور كمال.. وبحوث أعماله السمة وعلم النفس والدين وضعوا تفاوتيه.

مهددا

- هت مكتبة فاعقل احسن لك.

- غبي ككل المحبين. طيب نشاط غير جدوى ومضجرة للوقت، كيف

يتنحر جعش مثلك، روراء عيون جميله كهده العيون وشعاع يوقظ الشوق إليها موتى قدما - المصريين.

- حبيب

تسا ملت

اهد اعزل

أنكر باستهانة. قال

- اقليلة عبيد ميلادي، وأنا أنوي أن اتنحر ولكي يكون وداعاً حافلاً

فأني أدعوك إلى جلسة تبدأ من المغرب بـ «موت بيلا» المقطم سحر.

- لا أستطيع أن أتأخر أبى يعتبر المرأة عبدة ولا بد أن تحتفى بعد

المغرب

سائرا :

تسكمن مع المحروس حتى العاشرة وهناك أعداد ضخمة مثل

محاضرة مسائية. حفل تكريم أستاذ، مذاكرة مع صديقة إلخ.

حسنت المناقشة :

- قبلنا اندعوه فأرحنا من إعاكك ولكن «موت بيلا» ممكن غير

مناسب.

- لنفقد موجودة. طبعاً أبى وأرسل مبعثاً لا بأس به. عن نسكركم أو

شاهد الرقص فى التراس المثل على الجبل سطرى الشموع، وسأودعكم وصيتى قبل أن اتنحر جادا

وعم كل اعدادير شرب، وحذب تقريب مع حضاب الجبل وصور القمر

الصين. أطفأنا الشموع بصجة ابتلعها الفضاء. قاومت «سحر» اغراساً أن تشرب. شربت عدة كؤوس من شبيد قدمها «رياض» مؤكداً أنها من دمه

رغم قلنها كمت لوصح ابتسامه بلها على شفتيها.

- لا أظننى إلا للعبوة، فهي مشروب نظيف

تبع عذت رائحة المخدر من سبجارة «رياض» قال :

- ولكن «الويسكى» رائع.. أما الخشيش فـ «مدهش»

ناظراً إلى سبجارتته المشتعلة.

- نحن في مكان عام، أنريد أن نبيت فى التخشيشة؟

الخلاء هو كل ما يحيط بنا لم يبد عليها أنها تهتم بشئ

باستهانة رد

- نحن نحاف من أشباح، أولاد الكلب لا يطبقون قانون العقوبات،

وما من أحد ممن يجلسون حولك إلا وهو سكير إلى حشاش أو افكس، فلا

تكن حبلياً وصباح اليوم فكرت فى طريقة حديثة للانتحار عمدت

للعسكري: يا شرطي، معنى نصف قرش خشيش مما قولك؟ سألنى: غيرة

أم كبس؟ قلت: كبس سألنى عن ماركته قلت أمل حياتى. قال ماركه

ممتازة، ولكنى أوصحك بـ «لنصر جنود» فهي أعظم ماركات الكبس.

تركه ومصيت بعلام تعاف؟ أما أنا فقياماً بمستوى تحياك أقول لك ان

الويسكى «رائع» أما الخشيش «مدهش»

«سحر» باهتسامة بلها.

ملا هو «رائع» و «مدهش» ولكنى أكره المناهضة وأبى منهم.
فى عيبيها نظرة دائبة أعربها من طول ما حبرتها، ترد على نظرتى
الداعلة.

- ما الخطأ فيما يقول. إنه «رائع» و «مدهش» وهو كذلك فعلا.
تنبهت إلى ما تريد أن تقول. فهذه «رياض» قال :
- الساعة الآن التاسعة والنصف. بقيت على الرحيل ساعة. أما و
أنتما شربان على حسابى وتحتفلان بعيد ميلادى السادس والعشرين، فمن
حتى أن ألقى خطبة!

ناولته السجارة لم أتذكر متى أخذتها - وقف حطبا
- المسألة يا أنساتى وسادتى أنسى بروت أن انتحر بطريقة مستحدثة
ذلك أن كن انطرق أصبحت قديمة ومسهلكة النيل التظار المجمع
البرج، ولأن بعض الأصدقاء يتصورون أننى جبان أنشر إشاعة انتحارى على
سبيل الدعاية لشخصى الضعيف هائى أعلنهم أننى أبحث بجديّة مرطبة،
وأنهم إذا أشاروا علىّ بطريقة حديثة، فسوف أبعدها فوراً. ولا بأس من
استعراض معلوماتكم التاريخية حول أشهر وسائل الانتحار.

سحر : كليهما قرأ والأقوى!
- كنت عابثة، ولن تتحكم فى أفعى مع العم أنس أكره
«الأقوى».

الأرشيدوق... ولى عهد النمسا وعشيقته.
جبل ولكن أين لى عشيقته الجميلة.
بإشارة من يده رفض الانتحار الهتلري.

- إننى ضحيته وكيف أقلد طريقته هل غيب حماركم؟ بحثت فى
تاريخ الرهبان البوذيّين فى فيتنام. بها طريقة مشهورة، ولكن لماذا أحرقت
نفسى. و علام لصبح؟ فى البداية قررت أن أحرقت نفسى أمام أبى فقد
صعسى بكفه للصحة لأنه وجدنى وأنا طعل أعيت بأعضائى الجنسية، ورغم
أننى كنت سعيدا لحظتها عند انهال على ضربا.

سجادة صغرى، قلت :

- «رياض» كفى.

السجادة بين شفتى وسحر لا أدرى كيف وصلت إليها بالتمسكة
سجادة أكمل :

فى الصيف الماضى. أردت أن استعرض أمامه أعينى بـ «المانويل
كانط» رقلصة الشك. فبصق فى وجهى، لذلك أردت أن أحرقت نفسى
أمامه.

- فكرت أن يكون لانتحارى ميبا سياسيا، فوجدتها جميعا تدعو
بالانتحار واحترت فى تفعيل أحدها على الآخر
سحر.

لماذا لا تبحث عن سبب غرامى. هذا يُكسبك حلقا كبيرا على
المستوى لشعبى...

- جيبتى لا تستحق الانتحار من أجلها هى خائفة.
- المجرمة.

- بالعكس أنها «رائعة» و «مدهشة»

وبصرى المرتاب يتنقل بينهما.

- لماذا تكرر هذين اللفظين. كأنهما كل قاموسك.

سحر بهضعة ذات ذيل عابث :

لا تناقض بين هذه كليهما. أعرف أنسنا «رائعا» و «مدهشا»
ولكنه فى نفس الوقت مجرم.

خفت أن أعرب لها بحبى فيطس أبى عدت تلعبت بأعضائى
التناسلية.

أخذت الشر وراحت.

- نعم. لكنها راحت به إلى غرفة نوم رجل آخر.

ناولتها السجادة الثانية دون أن أشعر.

الغربة في شارع كثيف الزحام

و... إلى طاهر البدرى

ضلال شاحنة في مطبوعة سينة السمكة

ما أطول الطريق، ما أحسن زحامه أن تبدأ رحلة بلا سبب أو هدف
ذلك هو العذبة، تبحث العين عن لحظة فراغ تسرح فيها حلا نجد كتل
البشر جذرا صماء، وتحلم مرة أخرى بالفراغ السعيد، حتى يكف القلب عن
الحلم؟ كفانا ما حصدنا من هشيم، تأمل هؤلاء الناس، كم كان السير وسط
مراكبهم يوما بشوة القلب والروح، أحب من الحياة، أشهى من القبل ويقرب
إنسان قديم يحتضر داخلك: ذاك كان زمن ومضى، ويقول رأسك اللثام أبدا
بخبر أسوم حتام تعود قدمك المنهكتان يقبض الريح؟ تكب العمر
بالأحلام، وليكن لنا في راحة اليأس ملجأ في زمن عثرت فيه الملاحة

يبد أن القلب يخون رغبتك في راحة اليأس ويقود الأقدام، المنهكة
مع هذا الصديق القديم، إلى أين؟ لا تدري، فتسرد دون سؤال، وربما قرأت
أن عذاب الإنسان قد بدأ بسؤال وعشت تعيش علامات الاستفهام، والرحلة
بدأت معربة، وها هي تتحول إلى عذاب، وهو يستحدث أشوقك الحامدة

-الجرمة-

- ولكنها عاتية وذات ثلاث شاعات: واحدة فوق الهد الأيسر،
وأخرى في أعلى سررة، وثالثة فوق مهبط البطن بقليل

صحت

«رياض»... أن لنا أن نعود

تنفيذ الحكم

٥

ونحن سعد في شوارع المدينة الجبلية شعرت بدوار تقيأت «سحر»
معدتي كانت عاتية هاجني حينها أمرغت ما في بطني منظر «رياض» إلى
أفراقتها، قال

- تعدتما بقدوس، وهو مصر للقلب والمعدة كالأسيرين قدس
أبي بالفي من ملكوت السماء، ولكنني صيطنه يدب على خادم الطعمة
دات ليلة ويصلي في الصباح

صحك وعسى «ليه عزيز دمعى تدله كل ساعة بين ايديك» كان
أصننا حالا رغم سكره البيس، مصينا يبحث عن تاكسي يقردها إلى المدينة
وقف في منتصف الطريق وواجهها قائلا

يا صديقي إنني محصور تماما ساعة وأنا أقوم مشاة تكاد
تنفجر، وذلك تظهر لا يلبق، وتزمت لا معنى له، وما أمتع أن يتبول الإنسان
في هذه المدينة من ارتجاع شاحن كهذا
ومضى في الضلام

للمجهول. لتصير قليلا، فري جاد الزمن يلحظة مسرة تعرض القلب ما
بمانيه من خيبة.

كنت قد حفظت صديقتي كما أحفظ جدول الضرب، ونشيد بلادي
بلادي. ولون عيني زوجتي $9 \times 7 = 63$ ، $8 \times 8 = 64$ ، $4 \times 4 = 16$
بلادي. بلادي. لك حبي وفؤادي. مصر يا أم البلاد أنت غاييتي والمراد
وعلى كل العباد كم لنيلك من أبادي. عينا زوجتي وأستار سجايتنا
اللون. انبديهما رزق كسطح بحر في مثلة شمس. بيضاء ناصع.. هي
لحظات الكدر تشربه عكارة كالرماد. صديقي وصاير سعيد عبد السلام
انكرواني، أحفظه منذ خمسة عشر عاما. عمر عذراء صغيرة كالبيت
الساكنة أمامي. عرقته ضاحكا وعائسا. عاشقا وزوجا سجييا وطليفا
مريضا بمرق السعال صدره منديل الأبيض يعود مبرقع يقع دم أحمر قان
حكى قصة غرامه قصيرة كالنرم كانت قصته نظرة فانبسة فكلام معرم
فزواج فسجن فطلاق ففراق. مررنا معا بين صغبي من العساكر تتحرك
عصبيهم العليظة تنهوى علينا ضحكا كان. طويلا عريضا وجهه طفولي.
كذلك قليد يوم ماتت أمه بكى. أكره البكاء في الزحام. أجد في سكون
الوحدة أنحييت يومها عليه قلت

- تنهمني يا تعرف. وها أنت متليس بلحظة ميث صيرقية.

ابتسم ابتسامة محزون قديم. قال.

ولكن العين تدمع. وانقلب يحزن

وبلا العاري. في ركن من رأسى وأيسما تكوموا يدرككم الموت ولو
كنتم في بروج مشيدة قلت. نحن عراة نأما فأين ومن البروج المشيدة؟
حائط واحد يستند اليه يا أولاد الكلب. الرصاص ينطلق وما من سائر.
والصواعق تنزالي وما من مانع. السيارات سارحة مسرعة. تدهشنا تفضي
عينا. لحظة أمام واحدة، ذهب ومن النوم المريح. ومن الذي يبهك الي أن
كلمة «قرر العبي» لم تعد تبنيحدم؟. صديق في المصحف النعوى. أفطن
ذلك. فكرت أن أقوم أمشي في الشارع أسسى نفسي «عمر قرر العين

لدهشان». أحمل جدول هوية بهضاء. درشة ضخمة. على أرض الشارع
أكتب على حائط ليثما أكتب: «أريد أن أمام قرير العين». وعاش اليوم
بلا كوابيس» «يستقط يعوض الأتومليس ودباب التسي تسي». قرأ القارئ
«والصابرين في الثأب» والضراء وحين البأس. أولئك الذين صدقوا وأولئك
هم المتقون». أغضت عيني قلت أنسى في حاجة إلى حبة من شومي
المفصل. وذؤس ملينة بالهم، وعيون أدبها السهد. شهوات منطقة بلا
رقيب. جرائم تدبر وما من مراقب. ومخير يسرح وراء فكرة خيرة. لافتات
مرهقة كوقى. رقصي. درسي سح. تلتكن لي لافتة. يد تحبط ردق
سارحا كقبة ولي. ومرفق يحتك بهد سم يعرف عيث العائنين بعد حبر فوق
دراجه بدوها يهلوان يخشق ابرحام. أقواء راعقة تعرض بصاعة. ومن في
مشر اثنان على ليلة عرام في ركن شيخ يبحث عن مسجد يدر أن يصلى
به صديقي يعاتب فكرته العربية يوما سألني وها هو يعيد السؤال

- هل طبعك لنفك بطاقة زيارة؟

بيت ذلك دهشا قال:

هذا خطأ جسيم. يجب أن تكون لك بطاقة «كاره ميزت»

صحكت. شقيا الزحام نصيغ. احتلى عن عيسى.

الآننت الساكنة أمامي في خطر لو أمتك الشجاعة كي أحلها من
أصعب بالتار ولكن ما شأني. ليلة قلقة فشل النوم في أن ييسى عشه
المشاشون كما غشوا كل شيء. وقفة حائرة بالشرقة. أه طفلة صغيرة نقر
لي شرف رجل في ظلام الليل. احتفيا في الداخل ظلمت واقعا حتى عادت.
دند الهد الطمل الذي لم يتعد عامه الثالث. كيف تعصره في الظلمة كف
سحابة؟ هل تلك الجيوت لتصرخ مبعجا؟

دجأة وجدت «صاير» إلى جوارى. قال:

- لا أحد من هؤلاء له بطاقة.

فكرت في أن النوم الذي أحده بعد مفعوله. (بدنا بالليل يوم ١

ملليغرام، ثم الليبريوم ٢٠ مليغرام، حبة صغيرة تحت اللسان تدور بدو حوضه تستل في تحت الجلد. تمسح الأعصاب. تهددها بيدو النوم فربما يختمى دباب الشمس. نسي. تموت على سطح الزجاج بقوضة أنومليس حبرة أكتامب أصع رأسى تحت لواءة. أنام، أنتهيا بالفاليريم. حبة بيضاء سمبكة وكوب لبس ساحن فى اثرها ضحك على الحجاب الحاجز تكسل الحجرة عن النطق به. ابتسامة بلها. ليلعب كل شيء إلى الجسيم، الماضي والخاصر والمستقبل ملعون فى كل كتاب الحزن والقلق والحقوق. بدأنا بالليبريوم ١٠ مليغرام فى سجن القضاة سنة ١٩٤٩. وانتهيا بالفاليريم وكوب اللبن الساحن «ربواك جلال الدين» فى ١ ديسمبر ١٩٦٦ تصديق حاد

عاد «صابر» من كثافة الرحام :

- «أين أنت يا رجل. ما رأيك فى موضوع البطاقة ؟»

- «مضى بطانة هانية فيها اسم زوجتى وابنتى. فكرت من إلعائها حنت أن بعض مقرربا من السكر والزيت.

صحك سمبكتة عالية كطمل بكرو الامول. وصبح دراعه فى دراعى (أسى عاتيسى زوجتى، لأنسى عندما يسير معا لا أصع دراعى فى دراعها عجبت لأنها تهتم بذلك. قال أس ما عدت تحبى قلب لسا أطفالا صغاراً عذبتى سمكتها. سرح الكدر ومديا فى بياض شونها الناصع. قالت : لم تكن يوما صغاراً، وكنت لا تتوك يدي، ولا يخف ضغطك عليها بل برداد، فمدا حدث ؟ عذابا بدأ بعلامه استعهام شوتنا بدأت بها أيضا كاسما قلت الدنيا حر أخشى أن تعرق كفى على دراعها)

ها هو ظلى يسير إلى جوارى. ترحل الشمس الآن وتولد فى الصباح نحن نرحل دون أن نولد. ذلك الظل من لى بتحديد مثل تحديد ؟ وكيف يبنى أن يكون له هذه الخطوط خاده ؟ حلاوى لا يجمعها شيء. قال

- ولكنك لا تستطيع أن تلقى بطاقتك العائلية ؟

خبرنى واحد بمكتفه وهو سائر دحش لأن لى كتفا محمسته عرجا بوجوده. قلت:

- ما معنى أن تكون لك بطاقة، فيها اسمك وتاريخ ميلادك وبصمتك ؟. هذا شيء سخيف جدا.

سعل سيلة أحول من المعتاد نعاودنى القلق القديم. قلت إن رحمة أدركته قبل أن يقضى عليه الداء. وإلى منى بمحتمل صدره انعطيل معاناة الحياة ؟ هو يبدو قويا يذب فوق الأرض نصف. كأن الموت لم يسكن صدره شهورا طويلة. شاهد على أن الحياة قاهرة الغاء. عند التقدم لكن محمكتك لا تترنم إلا بشهود الرور.

(بالقرب من القلب الطيب احتبأت يوما متفجرات الموت. سهر أكثر من طبيب يعهد الخالة بقل. يومها شممت رائحة الموت ما أنعم أن تموت عريبا دون أن تنوح عليك امرأة، يتمجر قلبها بصراخ الاحتياج: يا ستي. يا ستي. يا حارق مهجتي. فى العربة تموت. لست سبعا ولا ضيعا تبطل فرجا صدور الكلاب. يصيحون. ميروك. أنتهيا من واحد مهم. العصى لن بنى فى فناء السجن عدت اجتماعات سريعة تحت نظر الحراس. تبادل الكلام همسا وتحن فى الجبل يوما قال واحد بجوارى.

- ستكون كلاما حقا إذا صمتنا. لا يد من نقله إلى المصحفة

تحدث واحد عن العقل. قال آخر ضحكا رقعا فى يد من لا يحافه ولا يرحمتنا. ثبت «حلمي» نظارته الطبية بعد أن انزلت بالعرق قال.

- كطبيب أصرح أنى لا أصمن حياته إذا لم ينقل إلى المصحفة.

عاد يحس نظارته من تراب الجبل. رفع «الأزمة» هوى بها على الحجر الصلد حملت «القطف» على ظهري لأعو، بالحجارة المتكسرة قال

- أسى منهنى من الدحول إليه يريدون إخفاء حقيقة المرض عما

قلت : نتاقش الأمر في المساء وما يثقل عليه بنقد

في الظهيرة خرجت لأعود بالعلاء. الأرض ومال ساخنة. فدمى العارية تدوس حصي كالجر. لا سمعة هواء. قطعة برية تنهش لحم عصفورين في دار نوحه أمام باب المشرقة. ذباب دأنخ يلهو بخافض يطير في سرعة هيسيرية. نظرت داخل المشرقة عبر حصاص نافذتها كانت مظلمة مليشغ بأسرة قديمه. ارتجف جسدي فجاء برعب خافق. سكن القلب هم مقوم. تركت الدار أمام باب المستشفى. قال : «لشايش متولي»

- إلى أين ؟

هندي اسهال

مستقريباً. قال

- إمش عدل، إلى الأجزاءه طوالي

وصحت السيجارة في يده ابتسم ابتسامه لصحترف. كنت إسي لي أذن حتى المساء. لم يبد ذلك مهما لحظتها. لحبت تدعوره السريع قبل أن أصل إليه. خطا باحلا قد كان. ساقاه ربيعيتين كعصفوين من البوص. عينا غائرتان كأنهم لا شيء. شربه الكف يبتهم بصم وجه عروني الرقية بارزة. ما أشتره المرض. وكنت تبهث دائم عن «أمتا العولة» كما صورتها حكايات الصبا فتأمن ما يمكن أن تفعل بالنجم الخي. ما كاد يتكلم حتى دهشت بوبة سعال متصل انصرفت عروني الرقية، كادت تنفجر. قلت

- لا تتكلم.

دهشني رائحة «الديترول» كرهتها من يومها أصبحت رمرا للفسام

قال:

- لا أمل. اتسع ثقب الرئة اليسرى.. وليفة أمس ثم أتم لحاف

واحدة

عاد لهاته بترايد. محاولا الابتسام قلب.

- لا تكن ثقیل الظل. دور ثلاثة مسلم عليك. وقد طسأني «حلمى»

أمس. فلماذا اليأس؟

- بضائي كله دم أحمر. والحالة أوشكت على الانتقال للدرجة

الثالثة

حقق القلب موجعاً. صداقة العمر توشك على الانقضاء. لا أمل في أن تسمع أذن صرختنا في هنا المكان الوحش. وسط الكلاب نعيش من يتجدا لي طلمات الليالي؟ إن يبدو هراً أن تحمل مصباحاً وتذهب إلى أدار لتسبح في عر الظهر تتشمم وبحث. فإذا سلب فتجيب بأنك تبحث عن إنسان. ستبدو مكتة لكننا في زمن صحكه كالكاء. ابتسم ابتسامة قصيرة. قال

- أكره أن أعذبكم معي.

تريد الهمس في المساء. جاء واحد من دور ثلاثة يسأل.

- الزملاء فوق يسألون عما ستعملون.

قال «حلمى» متجهما

في الصباح ستزل لهم.

تأملت وجهه الصلب بأمل. قلت إنه يستطيع أن يفعل الكثير

كان عقلاً محصاً حتى ليخيل إلي أنه لم يعرف البكاء أبداً. وعيماء رغم الزجاج تبدوان كاشفتين. في وجههما يستحيل الكذب. قلبوا لأمر بحثاً وشرحا كتب منهما حبس مائه «مقطب» من الهجرة كتعى مؤلفي. تابعت المناقشة ساكناً. تحدث «حلمى» عن تطورات المرض. سأل واحد أكان مريضاً قبل السجى؟. لكن أكثر من صوت الأسعفت الباردة والنواذل المقترحة وزمهرير الشتاء. قال آخر: «والعطاء المهلهل والمثاء السبي» وتساءل عاشر. ومشتفى السجى؟. «حلمى» بصوت حاسم : زوت وقطران. مستشفى بذاتي لا يصلح لعلاج الدوستتاريا نكيف بالدرى؟ الاسم مرعب. سرحت أثناء المناقشة إلى تريقنا طرت. أكلت مطيراً وحسلاً أبيض

مع أمي، ليست زوجتي ملسا رقيقا بدت فاتنة فيه، خرجت إلى الشارع
تدور بعض القريات. عدت من قريتي محملا بالعباء وكومة من الهموم،
كان القروى يصاغ. قال «حلي»:

- سأبلغ للأمور عنا أننا سنضرب عن الطعام إذا لم ينقل «صابر»
إلى الصحة خلال أسبوع.

وافق الجميع. تسام أكثر من صرت، وترتيبات الاضراب؟ قال
سيقوم بها «عمر الدهشان». صمت لحظة قال:

- أريد تلويضا بأن أتعامل معه حسب الموقف.

طلبوا توصيحا، اغتر شاره الكثر:

- يعني إذا قلّ أدبه أو طالت يده عامته بالمثل.

رافقا بعد مناقشة مرهقة!

انشق الزحام عن لافتات متشابهة: «حاني الحرية» «قطا طري
المشهد الحسيني» «مكتبة محمد علي صبيح وأولاده» «الستر»
والجامعة الأزهرية. قال صابر:

- أيها الرجل القاليومي، إلى أين ذهبت؟

- آ، كنت أفكر في «حلي». ستحضر استيفال «نوال» في

المطار غدا!

- طبعاً، لا شيء ورائنا، ولكن قبل ذلك يجب أن تكون معنا

بطافات.

رفقنا شرب عصير قصبه كان غريب الرائحة، ذكرتنى لدعته باحمر

الذي كنا نضعه في السجى كادت معدتي تنقلب، ما أبشع كل هذا.

قلت:

- تتكلم كلاماً غير مفهوم، أوهقنتى متابعتك.

- أنت رجل قاليومي وهذا يكفي.

نلعت ضائناً

- لم أعد استجيب له، وأمس سألت «حلي» أن يجد لي بديلاً عنه.

صاح ساخطاً أنني أستفاد استغلالاً سيئاً.

ضحك ضحكته الجهورية العالية، نظرت إليّ بنت بلد يدهشة. عاقت

عيني بعينها. شاكست حيوتها ودعوة عيت برى. في نظرتها قال:

- ولكن زوجته، باعتبار ما سيكون، هي المسؤولة عن تحويلك إلى

حالة قاليومية.

أطربها النسيم، نطقها للغة «البوسنيش»، والدغة وهي تقول

«البيروك». حكمت زوجتي بأنها مدعية وثاقفة. التقيت بها أول مرة في

عيادته، ثمها قتلًا.

- مدم «نوال جلال الدين». صاحبة معمل لرسم القلب، وتحتكر رسم

القلب لمرضات.

انصت إليها قائلاً:

- وهذا يا ستي «عمر الدهشان» التي حدثتك عنه.

ابتسمت ابتسامة واسعة. قالت:

- روى عنك «حلي» الكثير.

- خيراً!

- إلى حد ما، وهو يقول أنك أطرف من يسكر في العالم.

ضحكت قائلاً:

- غيبة ونجاسة لا تصدران إلا عن واحد مثله.

- سمعت أنك كنت تسكر بميل أسود مخمر. فما رأيك في

الويسكي؟

أموت فيه.

يوماً في الهاوية التي تنمر قاعاً لتبتلعها وتبتلعها . وفلت يوماً أن عمل زوجها معروف . فكيف غاب ذلك عن «حلي» . سألته . قال :

- هذا شيء قديم . وقد انفصلت عنه . نحن أيتام اليوم .

لم تقنعني الإجابة . ليلة غاب الريسكي برعينا ضحكنا كما لم أضحك طول عمري . كذبت ألعب لهم الوسطى لولا لحظة صحو طارئة . ألفت شعراً حزينا تحدثت عن فلسفة الحزن ، وعن أمي التي علمتني أن أبكي وأنا بعد طفل . كانت في قميص نوم شفاف تتدبح أنوثة وحيرة . صاح «حلي» هاتفاً بحياة الشعب . ضيقت مسكرانا يكذب لأول مرة في حياتي . نالت .

أنا حزينة . أشعر أن «صابر» يكرهني لا يقبل على سهراتنا .

- «صابر» إنسان جاد أكثر من اللازم .

- .. عملت ضدكم سنوات . لكني لم أكن أعرفكم .

كانت الليلة تشجع على البرح . تحدثت كثيراً عما فعلت . ستبشعته أبعثني ذلك كبح . قلت أننا نحتصن جلادينا بكل غياب . ماذا حدث ؟ ولماذا عندما قدرنا على المقاومة قماما . وعدت من الحمام . بعد أن تقيأت كل ما في جرمي وغسلت رأسي . قطعت عودتي مشروع قبله . نعت رجلي متجاهلاً . قالت حزينة .

- ومرة علمت أن واحداً من الذين عملت ضدهم قد مات في السجن .

قيداً عذابي ..

حط علوتنا الصمت . يده تهيض بشعرها . تصابيح . استمرت :

- وظللت أسبوعاً لا أنام .. وأصبحت بانهييار عصبي كامل .

طلب منها أن تصمت . استمرت :

- ولولا «الفايوم» ما استطعت أن أنام ..

من تلك الليلة عرفت «الفايوم» لأول مرة . فيها للظلمة !

قالت وهي تتصرف .

- عال .. سأنتظرك مع «حلي» غدا ..

قال «حلي» مصافحاً :

- ها أنت ترين أنه خيول . والواقع أننا لا نعرف شخصاً اسمه

«عمر» . نعرفه باسم «عمر حورية» نسبة إلى زوجته التي لا يسير أحدها بدون الآخر ..

وجهت الدعوة إليها . مصب تاركة عبيراً طارحاً في الغرفة . قلب

صاحكاً :

- يا ابن اللبنة . ولماذا لا تشهد دعوة لزوجتك ؟

بضحكة عالية . قال :

- دعوت «حورية» لكني أوصى ألا تنافسي أنت !

هكذا دخلت ديبابا . ذلك الوجه الآخر من الحياة . كيف عاب عتاة ؟

ها أنت تكتشف جهلك بالكثير من الأشياء . وحتى في عالم النساء تبتغي غيباً وأعمق . فلنتعلم مرة أخرى كيف نعيش !

بنبرة ساحرة قال «صابر» :

- سيكون زواجاً رائعاً .. تعود «سوال» من بيروت غداً . بعد أن

حصلت على الطلاق من زوجها

- وفي الشهر الماضي طلق زوجته ..

- شيء جميل جداً . ألم تفكر في زيارة مطلقته ؟

نصت بغيظ قائلاً :

- «حورية» معها باستمرار . وعندما رأيته أصبحت كلاماً

فارصاً .. ما دنتني !

لتعلم أنك كاذب . كان يتدهور يوماً بعد يوم وأنا معه . لم أفكر

اشعلتُ سيجارة. اقررتُ معتميا به من سيارة مسرعة. قال .
- روت مطلقته هذا الأسبوع . رُتبت لها شؤونها المالية. صديقنا
يتصرف بتدالة حقيقية.

دأمت عنه دعاءا صغيثا. قال :

- إنه طبيب معروف، ومكسبه كما تعلم.. لكنه يريد أن يجوع
أولاده ومطلقته ناسيا ما تحملته من أجله ومن أهلكا

- لا داعي لأن تشترك مسائل خاصة بمسائل أكبر منها وأهم عراجل
ضحك بشده، وجرى فدخلنا «كفر الطماعين» قال .

- هذا ما قلته لها وقد وافقتني، وقالت أنها لم تنتظره، ولم تكن
تصحي من أجله فقط، لكنها فعلت ذلك من أجل أشياء أهم.

شعرت براحة مفاجئة قلت أن هذا يوهر علينا الكثير ومنذ متى
نسيتا هذه الشوارع الضيقة المزدحمة بالجوع والعقر والمرضى هي هذا الحي
يقطن الشعب الذي تعدينا به كثيرا . كيف تنكر أنك رائحة حياته القذرة
هنا يموت رجال من نقص الزاد وهجرم الداء ويقتل الرجل أخاه من أجل قرش
واحد كما تروى الصحف أحيانا. لكن ذلك أصبح مجرد كلام كمصوغات
الإثشاء التي كنت تأخذ فيها المرحه النهائية . فدفقت امرأة بلاء قدرا جاء تحت
أقدامنا. تأملب خلفها المشوهة والقذرة هي أقدامها. قلت : لا مسرة لأحد
هنا واليوم مع هذه المرأة لا يمكن أن يكون شوه، ولكنه عذاب. قال.

- ولكنها . (أعنى مطلقه «حلمي») قالت أن الموافقة على الجرائم
الصغرى، يعنى الموافقة على الجرائم الكبرى..

تدهرت الجملة مرأت. وقلت إن شيئا لم يعد يهمنا

أومى كل مرة ننتقل البست الساكنة أمامي هير الشرفة إلى حجرة نوم
جارها. أظن أنتظر عودتها بقلق وفي الصباح أتأمل صيها النصر. وأعجب
كيف اتركها تنحدر. ومرة حدثتني النفس الأمانة بالسوء، أن أقاسم صاحب

- ١٣٢ -

الشرفة مكاسبه. شرفتها وسط شرفتها والذي ينتقل إلى شرفة ليمنى.
ينتقل إلى شرفة اليسار. وقلت أنني استحق عن جدارة لقب الوغد

تعا في الشوارع الضيقة المنقصة التصله، كبيت جعا وهو يسأل
عن عوان. قال.

- ربما أناقشه مزحت معه مراحا ثقيلًا.. اقترحت عليه صياغة
ميشرة لبطاقة الدعوة، ولكنه زعل.

أعرف أن مزاحك قاسي. ماذا حدث؟

فرمان. ومع ذلك فهي مجرد مكنة. لم تعرف الزواج التلايدي.
أهلك يا زميلة. وأنا أيضا. ما رأيك في أن تخرج ؟ لا مانع. حتى يذهب
أولاد الكلب ويلقوا بها في السجن. وفي نفس اليوم يذهب للمأوى. وبعد
شهر تكون أنت في سجن أبو زعبل وهي في سجن القباطر. ويبحث عن
شاريش جوعه أهم من وظيفته فتتصل المودة برسان غرامية. ألم يتزوج
«حلمي» أول مرة بهذه الطريقة.. فلماذا بطبع بطاقات دعوة مدهية. وهو
يتزوج من امرأة سكند هاند؟

ضحكت قائلا

أنت أفسى مما ظننت.

- أنا لم أقل له شيئا اقترحت عليه أن يكتب على خلاف البطاقة
«دواج زليخة وعاشور» فأثار مشكلة كيف يكتب مهمة «نوال» في
البطاقة هل يزعم أنها مكتوبة كما يفعل ؟ أما أن النقابة قد تعلم أنها
ليست كذلك، فاقترحت عليه أن يكتب تحت اسمها: من أحدث بيوت الطبقة
الجديدة ولوى بوز.

تقدما غنى . زليخة يتحب «عاشور» .. و«عاشور» يهيب
«زليخة»

- بين نحن داهيان ؟!

- أهرق مطهرة هنا.. أريد أن أطيع بطاقة باسمي..

وهذا :

- ما السبب ؟

- لا بد أن يحدد كل منا بالضبط من هو ؟

قلت أنه قاص، ولكن قسوته تعتمد على حقيقة ما أنحدر إليه حالنا
لكن من الذي يستطيع مقاومة لحظات الضعف إلى الأبد.

انتشاجر «حلمي» مع المأمور بسببه، تبادلًا مباحًا مقدما، ضربه
العساكر بالأحزمة الجلدية السمكية. عاد دامي الوجه، شُئت شفته السفلى
لم تزل آثار الجرح واضحة بدأ الإضراب في اليوم التاسع منه، قال المأمور
سنتقل زبيلكم إلى المصلحة فتناولوا طعامكم. صممتا ولم يرد. كان قمي
ملحي ساعدها، بليت نائي بالماء، أشعث برجيي غد في اليوم العشري
جاءت عربة الإسعاف، نحسنا على أنفسنا شاهدتهم وهم ينقلونه على نقالة
مستعيلة كنت ضحيفا لا أكاد أقدر على المشي. سرت بجوارحه «حلمي»
معي قال «حلمي»

- شدّ حيلك. لا تستسلم للأوهام حالتك عذبة. وبالرعاية نسرده
صحتك. غامت عيناؤنا، انقلب لرنهما بيضا كله هز رأسه باهتمام شاحبه.
قال:

- إسمع.. عتدي عشرون قيراطا في البلد.. إذا ص. ف

وضعت يدي على غصه معته من الكلام. شوجت يدي مردعا كان
العروب يهبط رانيا على قناء السجن، والشمس قانية غصافير كثيرة
تتقابر هناك أحميت وجهي في حائط. ونكبتا

لافتة ناحلة فقد سوادها لعتنه. كتابتها البيضاء باهتة قرأت
بصعوبة ومطبعة العدالة الكبرى لصاحبها محمود المهدي، الرجل أثر من

١٣٤-

عهد هاند، على صندوق الحروف اتحنى. عينا الضعفتان محاطتان بنظارة
سبيكة. عندما قام اكتشفت انحناء غير يسير في قامته. والمكنان وطب
ومظلم ومرحش، ماكينة النص في الركن الأيسر. عاد إلى ركنه معسائلا
عسا يردد قال «صابر»:

- أريد أن أطيع «كرنا» باسمي.

- حرف أم أكلشيد ؟

- حرف.. ١٨ رقعة أبيض..

لم يتحرك من مكانه. عاد للقاطه مواصلا النقاط الحروف. قال
- العلبة ١٨ قرشا، وكل مائة زيادة بمشرة قرش. عندك قلم. أكتب
الكرت..

اتحنى صابر على منضدة صغيرة بجانب ماكينة النص، كتب

صابر الكردي

ثائر سابق - حاليا شيطان أخرس

١٨ شارع مراد - الجين

ابتسمت مذهولا. قلت إن الجنون يدهشنا. ناولد الورقة. لم يد يده.
قال

- اقرأ وصاحظ .

سمع بهدوء، استخرج الكلمات. قال :

- نحن نأكل عيش يا أستاذ. هناك «خمار» بجوارنا إذا أردت
الفرشة.

ذلك الجنون كيف يتساقط عليها ؟ وقدما لنا ان رزونا اخطر ما
فيها. في الكارثة التي تاكنا

محل «صابر» . قال :

- ولكني لا أمزح يا «أسطى محمود»..

ترك الرجل ما في يده. التفت إليها. قال وهو يلف يده حول رأسه في
حركة دائرية .

- هل حضرته .. ؟

قلت ضاحك

- لا .. ومع ذلك ما شأنه أنت .. أطيع له ما يريد.. وخذ نقودك..

دعنا للجلوس على دكة خشبية بجراره. قال :

- كيف يا أستاذ ؟ لا بد أن أنهم. ما معنى «ناتر ساين» . هل

حضرتك وفدي ؟

- لا ؟

- أنت أصغر من يكتبه. ولا أذكر أنني رأيتك بين هذا العنابر

أبدا .

ناقض الحوار. قلت :

- ألا يوجد قوربون غير هؤلاء يا عم «محمود» ؟

ضحك الرجل وقال :

- هذا عن أيامنا.. أما أيامكم. القصد.. عصر أنكم إيه ؟

هبت في أدنه.. ابتسم قائلا :

- آه . أنتم بتزج الخير والخير. أهلا (ثم بعد لحظة) ولكني أسف..

إن أطيع الكروت.

- لماذا ؟

مطعتني سبحة السمعة. تدهبها الشرطة في كل وقت. والكروت

مروية.

تسألني عما أساء سمعة المطبعة.. قال .

- طبعنا بها زمان منشورات «اليد السوداء».. و «جماعة

الانتقام» وكان «أولاد عايت» يجلسون هندي قبل أن يقتلوا السردار .

ألف وحمية ونور على الجميع .

- ولكن هذا تاريخ قديم.. فلماذا يلاحقونك ؟

ذاك شأنهم. والادعي من ذلك أنني عندما كبرت وأصبح نظري

على قذّي جثث بمن همسي على النمل غزاد الطير بلة..

تسألني عنائي. انحنى فأخرج نصف سيجارة. أشعلها. قال

- طبع بدون علمي كتاب «رجوع الشيخ إلى صباه ووصفات لقويته

الباه» وأخذ يوزعه. فكيس بوليس الأدب المطبعة.

جدلت ضحكات «صابر» . نظر إليه الرجل دهشا. قال

- لا تزعج يا عم «محمود» . تصحكني أحيانا. لبايات الهازلة

للأشياء الجادة . ولكن لعبها لا تكون نفس الحروب التي طبعت بها

منشورات اليد السوداء.

قال الرجل مبتسما كأنه أدرك النكتة .

- لا .. لأخرى راحت.. هربت واحد منكم أيام الحرب.. طبعت له

ما جاء به. وطلب صندوق حروف ليشتريه فأهديته صندوقي القديم.

تزايد ضحكات «صابر» . قال

- أيها الرجل العجوز كيف لا تعرف «صابر الكرداني».. هل أذكر

لك علامة. حرف العبي كان ناقصا سبع قطع وعُدت بتدبيرها ولكني لم

أعد مرة ثانية .

رجع الرجل رأسه. بانث على ملامحه معاناة التذكر. صاح .

- أهو أنت ؟... يا مرصيد.

احتضن كل منهما الآخر في شوق. وولت أنظر إليهما حائرا

إلى الزحام عدنا أقبل المساء على استعجاب الزحام عتمة متحركة

صمته طويل أطول من المعتاد. أشرت إلى محطة الأتوبيس. قال : بل نسي.
 مستفخ زوجته عابسة ونقوله : لك بيت فكيف عن التصعلك. ضمت بالليالي
 دون أن تتعج. ذكرتها بذلك فالبس كان وراءكم ما تضمنته. أما الآن
 فالتصعلك مريب. شغلني أنها بدأت تعار هذا الأمر مبهجا في البداية
 أصبح بعد ذلك مزعجا. أحيار الانتبهارات تتوالى. الهبوت التي صدرت
 لمواصف الزمن فاجت منها رائحة العفونة. قالت مرة . فقدتم الكثير حقا
 ولكنكم ماكرون للجميل. قلت : «حورية» لا تبالى.. حوادث فردية.
 والطلاق يحدث كل يوم فمهمب أنتم تطلقون كل شئ.. بعد الانتظار
 الطويل : فمب كان لبعنا. لماذا يطلق «حلمى» زوجها من جل هذا الشئ.
 «لمسى» «سوال» ؟ تفجعت وقتلت التعبير قانون الحياة فلا يزيدى تعاضى
 وضعت الكريم على وجنتيها ودارت مقدمة كفها تنشره في حركة دائرية
 قالت. ولكن الندالة ليست قانونها. تابعت اهتمامها بشجميل وجهها راثيا
 التفكير أصبح عملية مرهقة. ماذا حدث لنا حقيقة. لن تنتهى علامات
 الاستهلام حتى تصيبك بتصلب الشرايين. وغدا سنقف في صالة المطار
 ننتظر عودة «سوال» بعد حصولها على الطلاق. وسنجتمع بعد غد في حفل
 الخطوبة سيكون طريفا في أدعو أمى للتعرف بها فكيف تتصرف العجوز
 الريفية مع امرأة مثل هذه؟ أوقف. صدمنى رجل مار. قال «صاير».

قررت أن أعود للعمل.

- أي عمل ؟

بضحية ساخرة قال

- لم يكن لنا عمل سواء.

تهدت. قلت

- لا تجهز المخاطر طيحا.

وجل جهلتها برما ؟

بعد لحظة صمت

- ما وأبلد.. أنهت الأمر معا ؟

متهريا من عيبه قلت .

أفكر ثم نلتفت ..

٦

أما احذكما فيعقني ربه خيرا.. وأما الآخر فيصليب

انزلت قدسى على الرحام اللامع قلت ها نحن بفشل في أول
 احتبار لنا. سطر من هذا المردوس بتهمة الجهل بأدابه العظيمة. وس
 السهل أن تسأل. ولكن كشف الجهل يبدو معرة. ونزوح لهذه الليلة، فعيها
 دخل سيليل كغور القنفذية «الهيكتور» لأول مرة. وألقى اختار اسم قاعة
 «آلى لينة ولبنة ذرافة حبير أما كفنا أمى فقد دهمتها خضرة لا تزول.
 عشرة أعوام تعجن فيها روث لماشية. ممن يقول هذه الحقيقة الآن؟ ولتستدع
 قدرتك السابقة على التحدى والاستهانة. إذ داك تستطيع أن تبصق على
 هذا المكان. تحقره. هل تستطيع أن تعمل هنا حقا؟ كان ذلك ممكنا في
 الرمان الحالى. في الناخل كانت قوة تحد كبيرة. فمن بعيد ما فقد ؟ قدريا
 أن يدخله لا غازين ولكن مهووين. ملتحقون جدد. لن تستطيع بعد ذلك أن
 تزعم أن هذا المكان لا يدخله إلا اللصوص ومصاصو الدماء. فهذا كلام يبدو
 كالكذوبة. وهل تصعلك الناكزة الآن باسم ذلك الرفيق المتحمس الذى اقترح
 مرة أن نحوله إلى مستشفى للشعب ؟. ستكون نكتة رائعة لو انتهت
 التفتيش بأنه «حلمى» نفسه.

(يوم عودتها سهرت لى «ستريو المطار». انحت على ترد تهنتى
 بحصولها على الطلاق. ثم سألت :

- كيف حال زوجتك ؟

أشعل «حلمى» سيجارتها. قالت :

- كيف تخاطر امرأة بجمالها في عملية سفينة كالحمل ؟.

تعلت شحكة «صابر» الريفية لفتت البنا الانتظار. قال :

لهذا تتزوج النساء. ولعل لديك رغبة أخرى لتتسك.

«حلمى» بهفء لم يطلع من إختافه :

« للمضحك ها أصول يا سيد «صابر» .

ابتسم كيانه الضخم بسمة ساخرة.

- طبعاً .. تزيد لأصول دائماً في المستودعات ومحطات القمامة

صمت كلاهما. قالت «نوال» معبرة الجفون :

- هناك فرصة سانحة لعمل مريح لك. ما رأيك ؟

سأبذل بهمة .

- أين ؟

- شركة بترويل أمريكية تعمل في «الكويت»

سألت عن التفاصيل باهتمام. أفر مجز حقاً وعمل قليل. أبعير

السفر ما يلاً ألقب من حيرة ؟ أأستطيع هاك أن نجد اليوم المريح ؟ قالت.

- أمامك وقت لتفكر .. ولو لم يانع «صابر» يوسعي أن أدير له

فرصة أخرى.

تناول رشمة من كعوب الماء. نظر إلى الراقصين في «البيت» قال

- فكرة طريفة .. وأمس لعن وعملك محصور « الزمان الذي جعل

مطبخته تيداً باليد السوداء وتنتهي برجوع الشيخ

اشحت برجوى ثم تردد. تظاهرت أنها لم تفهم. أستاذ «حلمى»

وقاماً يرقصان. تأملت جسدها النارع ملتصقا بجسده. قلت إن مقاومة ذلك

كله ليست مستحيلة. ولكن أين القوة ؟ قال «صابر» ساخراً

- أفتلك بالوطنية الجديدة .. متدوق أموال الاختكارات الأمريكية

قبل أن يموت !

في رحام القاعة تبدو الحياة أكثر مرحاً . وتأمل هذه الكوكبة من

المسكان. غابت عن العين كثير من المسرات. وهنا العطر الفركاح كيف غاب

عن معطسك. ولا تلمع العين إلا عبداً قليلاً من زملاء الزمان الماضي. فهن

تجاهل «حلمى» دعوتهم أم أعدتهم رغبة المكان. ولو كان هنا. أكان

يدعوه؟ أه كنا ضحكنا حتى طفرت الدموع.

أويوم اختفى كان يوماً كابوسياً فعنى نزول مرارته. بلا مقدمات على

الإطلاق. هبب النسي وأجعت الشراهد بعد ذلك مايفت أننى كنت غيباً إلى

درجة الحماقة. أين اختفى جدر الزمان الماضي. كنا نشم الخطر على بعد

أهبال. ولكننا تعيش عصر «القالهوم» قلعة الله على كل شيء. ضغطت

على الجرس متأملاً للآلة التى تحصل أسده. باهتة لظول ما عر عليها من

أرمان. وضعت لأول مرة في عهد الطلب بالجامعة. وبعد كتاب أشقة مقرا

لطيعة شرعية برقت في حايها عيونا ونحن نقرأ ما نطبع فيتفجر حماسنا

طال الضمط. وب من يفتح أجيرا أطل وجه الجارة. قالت

- أستاذ عمر .. الحمد لله . هاك المفتاح ..

قلت :

- ألم يقل معنى يعود ؟

بروجه كاسب قالت

الله أعلم .. جابوا فجر أول أمس وأخذوه .. أسراً قبل أن يمضى

على إبقاها وبرك لك المفتاح معنى

جلست قليلاً في صالة شقتها. دحنت بجماعة. سألتنى.

- ماذا حدث يا أستاذ ؟ ألم تقولوا أن هذا المعهد قد انقضى ؟

ابتسمت محزوناً ولم أود. سألت حرائط الشعة الناحلة أن تحدثنى

فاستعصى عليها الكلام فيها للقسوة. فتشت الأوراق بدقة. حرقت بعضها.

قبل أن أمسى تذكرت درجا سرياً في الدولاب. طقت إليه. يا لى من غيبى .

كدت أنساه. قرأت النورق بانتباه. مرقت كل شيء. قالت الجارة :

لا مزاحمة يا «سى عمر» . كلمى الأستاذ عن الإيجار.

- سبيلك في موعده..

ها قد مضى أكثر من عام على غيابي.. ففى أى أرض يستقر الآن. ومدا تعبر من صور الماضى؟ فى أى سجون هذا العالم يستقر والشاربش متولى؟ وعبر ٣ من يسكنه الآن؟ لصوص أم قوادى؟ وما نحن بى ليلة هيلترية فاحرة. ما أطرف أن تصرخ الآن بما حدث. تلقى «علمى» الخبر بثبات غير عادى. قال :

- نصحتك فلم يتصنع. الظروف تغيرت .

تأملت الكلام الذى قاله بذهول. أهى نفس شفاء الرمان الماسى ؟

قلت :

- لم يكن يفعل ما بصر. والسالة أبسط مما بصورونها. وحتى لو لم تكن كذلك.. فهل تظن أنه كان.

نفع ضيق. قال .

- إنه معاصر ومتطرف.. وساربعه طفولية.

هذا عصر البحر والعفونة. غلقوا أنواركم قبل أن تقررنا النسيء. ويوما قبل أن يغيب قال : دلفن يحكموا علينا أن نظل كالأنعام والبهائم فى حالة حرب. أما يوم مائتم أمه فإن القرى. قرأ «ثم بدأ لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسبحنه حتى حين. ودخل معه السجن فتيب». قال أحدهما : إبنى أرائى أعصر خمرًا. وقال الآخر: إبنى أرائى أحمل ثوبًا رأسى خبزًا تأكل الطير منه. نيتنا يتأويله إنا نراك من المحسنين». ساعتهما قلت إن الحلم قديم وكذلك القهر. ففى برتاج القلب ؟ ها هى أفتاسا تتراق إلى مستنقع لا يدرى قراره. كذلك الحب الذى ألقى فيه يوسف. فمن لنا بمن ينجدنا. وهل عليك حقًا قوة ترد بها أغراء التى تقول لك : «حيث لك». حفل زفافهما شاهد على ما انتهينا إليه.

اقترب منى. فاح مصرها على الجسد. لمعت الأضواء على سستان الزفاف المرصع بأسلاك من الذهب :

- لماذا غابت حورية ؟

- اعتزلت بالمرض.. ولعل زهورها أعجبتك ؟

صحكت قائلة :

أرسلت لى زهورا صغراء. أنت تبهم لغة الأثوان طبعها. وأجل الموت. هذا رأيها فيها وأمن صاحت : بن أحضر.. فهى مشقتكم أنتم. قبلوها كما تشاؤون.. قلت مهوون

- لا تخصصن للأوهام. «حورية» تحترمك .

أشكرك على مجاملتك. الحقيقة أبها لا تحبسى. وكثيرون منكم كذلك.. دعونا الجميع.. وهالك النتيجة.

- مشاغل الحياة (ثم ضاحكا) ونحن مستعدون فى هذا العالم لهيلترنى

«علمى» مبتسما :

- البعض يقول إسى تبرزت. وهذه مجرد شعارات فارقة..

أصبح كل الكلام فارغا.. فلتقهقه كل شياطين الجحيم. ولم صدق ما يقول. إذن فحيات ضاعت فى لعبة هائلة. ومطعون أب من يصدق الأحلام بعد ذلك. تأمل الراقصة التى أمامك. ما أمتع جسدها. وقبل أعوام لم تكن العين ترى إلا «حورية». كان عناقها متعة القلب والروح. ثم أضعت العين تزوج أحيانا وراء ردف سارج أو بهد مطن. بيد أنها ظلت مرغبا الجسد اهرق. وما نحن نذكر فى الخيانة. وفى لحظات الحب كنت اندمج إلى حد لا أمير لتقى أعضاء. ومن طوارئ الزمن المجهد أن تشعر بكل شئ حولك. تحولت لحظات نشوتنا إلى عقابيد كالغياهب المقلقة أصبحت. حول رواجهما حلما. صاحت. سيئت. دافعت ما استطعت. قالت : عندما يبدأ الجبل فى الانهيار لا يتوقف. لاحظت أسبان أنها بدأت تهتم بتجميل نفسها. عرفت منقذة التسريحة أدبات التجميل. وأول مرة رأيتها «توال» قالت .

- زوجك جميلة ولكنها لا تعرف كيف تكون أنثى، دعها لي.

رفعت يديها سحرت بها «حرية» إلى حد التجريح، لكن الفلق بدأ يتناهى تدريجيا. تريد. قلت إن هذا طبيعي دبل شايها من سوات السجن الطويلة، ولعلها تظن أنني قد أطلتها، فهي حطر هذا على القلب، ما أقصاها من تصورات - صاحت:

- لم يعد هناك مستحيل.

- «حرية».. لا تحبلى حياتنا جميعا..

سحرت صيوتها الجميلة، مرح الكثر فيهما.. قالت:

- ذهب كل شيء فسادا أبلى أنا - أصبح شاعركم الوحيد :
أنكمروا ما طاب لكم من النساء،
صحت غاضبا :

هذا تجريح لا أقبله، وشخصي لا يهمي، لكنكلا تتعدين الحدود
إلى أشياء أخرى.

ضحكت ساعرة.. قالت :

- الله يرحم الجميع، ستعود من الكويت ببارة وتصبح فيلتوبيا
كصديقك الطبيب، بهل تبقى على 111

أصبحتا نقتات بالكثير، شكوكها تزداد.. وتقر بأنه رغم تأكيدك
بأن النقص لا يبرأ من الفرض ولا من المرض،

انصرفت «نوال» لضيقها. نظر «حلمي» إلى كوكبة صغيرة من
زملاء السجن يجلسون في دكن المكان قال :

- قاطع الزملاء حفل زفاني

هذه أوهام.. مجرد مشاغل..

تناوب كأسين من خادم كان يدير المكان، قال:

- لا تعزبي.. ياخذون موقفا مني وأنت تفهم (ثم بعد لحظة) ماذا
يريدون ؟ انتهى كل شيء، سأعيش حياتي كما أريد

- لا تشعني بالك.. أنت تفهم السبب

باجتهاد قال

- هذا تاريخ قديم وانتهى المسألة متعلقة بزوجه السابق. وهي
صحية وليست جانية. لقد اضطرها للعمل معه ضديا، ثم أننا قد ابتسمنا
في وجود الجميع وانتهى الأمر. هل هي وحدها التي ونعت من قعر القبة 111
أيمل هذا المنطق كن معايخ المسائل ؟ أعلقوا أفواهكم قبل أن تقولوا
الدية

انحنى يسلم على واحدة من اللدعات. قدمها لي تأملت اكتظاظ
أنوثتها مثبها. كانت جميلة كزهرة رغم شعوب وجهها تابعت جلالها
مشوقا لمحدثنا قليلا. أستاذت لتهمي «نوال». غمر بعيني في إثرها.
قال:

- لاحظت أنها تأملتك باهتمام، أنت مدين لي بالشكر. أثرت
اهتمامها بتاريخك العظيم !

آه - تأمل المهرلة - لتصحك حتى ابوت. المثل هذا كنا نصنع
التاريخ ؟

- أشكرك.. ولكن من هي ؟

ضربتني على كفي ضامكا، قال

- لا تحشي شيئا - وهي في ظروف تتعلم معها المقاومة.

بعض :

- أسر زوجها في عملية حربية مد عام. والوحدة مرار كما تعلم ؟

ماعت نفسي نفاص حجابي الحاجر. تغلب بالحسام بعدت عنه. قال
ملاحقا

- لا تشغل بالك.. يوسع «نوال» أن تسهل الطريق.

عند الباب انتحقت بكوكبة الرفاق. لم يقطع وصولي حديثهم. فر
البداية بدأ كأحداث الزمان الماضي ثم انتشرت العنونة. لحدث واحد من
وسام ٣» وغارات العمق وروى مطلع بعض الأسرار المكنتة وقد ثالث إنه
يكتب مسرحية عن بحر القفر وفيما من مصعب أبي رعبيل. تهنت أعمالي
بالخمر الزاعقة فيها. قلت . عال .. صفقة رابحة لا نقل عن ألفين من
جنبيات. عليه «فاليوم» كاملة لا تفيد. وفي الأسبوع الماضي قال «حلمي»
كطبيب وكصديق أحذرك من إدمان «الفانيوم». ستصاب بإنهيار عصبي
مفاجئ. فحذار مر شبح المرأة الفارعة الطول بجوارها أغضيت خجلها. هل
يشير «حلمي» يوما لتزوجتي ويقول إن الرحنة مرار:

سجنتي واحد إلى ركن . قال :

- أذلك أحبار عن «صابر» ؟

- مضي أكثر من عام على غيابه. في البداية صلتني عندما سألني

إلى حد التهديد ثم انتظمت الأحبار

- أخطرتي رسول منه أنه في ظروف سيئة.

سأنت ملهوا عن التفاصيل. قال .

- عاملوه بشراة فأضرب عن الطعام وعازده الباء القديم. بدت

التفاصيل مرعبة. حكى طويلا ثم قال :

- معلوماتي أن المسألة خطيرة فعلا. تثب في الرنة التي بمساحة

أربعة مستمترات مرعبة.

توقف الحديث . أفتتح البوقيه. أكلوا هيك وشربوا مرثا وصحكة

أكثر مما ينبغي. قلت إني مريض.. مريض.. عدت في الهزيع الأخير ..

الليل مرهقا فتحت «حورية» عينيها. غطت طفتنا. قالت :

- نحن في الفجر.. لماذا نغطنا ؟

- كنت في حفل زفاف..

ساحرة قالت .

- العقبى لك في الحشرات !

لم أرد.

عندما أخبرت «حلمي» قال :

- خير سيئ.

- لا بد من التصرف.

- آه.. طبعا ولكن ليس في بدنا شيء.

طالعته نظرتني المذمومة. قال :

- اسمع «توال» تعرف بعض الناس.. أصدقاء زوجها الأول.

صحت بهزج .

- هؤلاء ؟

نعم.

- ولكنهم ..

تفح ساخطا :

- لا تزجعتي.. ما فات مات. سنسافر فدا إلى بيروت. بعد عودتنا

من شهر العسل نرتب لذلك.

ضحكت. تهنت. نظر إلى دهشا. قال :

- عبر أعصابك مرهقة جدا . حذرتك من إدمان الفانيوم وأكرر

التحذير!

قالت حورية

لماذا لا تنام ؟

ذلك الحلم المستعصى متى يتحقق ؟

- آه . تأوليني المنوم. وأغلي كوب اللبن.

قامت برمة. احتفت في اتجاه المطبخ. فتحت الشرفة. كانت العتاة

تعهد من جولتها الليلية. تأملت قفرها من الشرفة كيهزان صغير أذن
الفجر من بعيد. قال لنشد بصوت مشلول بالدي. «ها نائما بين الأتنام.
فم وأذكر أغنى الذي لا ينال. مولاك يدعوك إلى ذكره. وأنت مشغول بطيب
النام». ما أتعب أن تكون بها ولا تنام. سرى الثورم في الأعصاب. ولكن
أين النوم؟ تبع القاري، في الثنت الأخير من رأس. قرأ «يا صاحبي
المجن. أم أحذكما غسقى ربه حمرا وأما الآخر فيصلب، عتاك الطير
من رأسه. قضى الأمر الذي فيه تستفتيان».

٣

المؤم

ما أطول الطريق. ما أحق رحامه برودة مطلع الليل وتساءل إلى
أين؟ وما من مجيب. هل تعود ليالى النوم حقا؟ ثلاث ليال كامة وأنت
يقظ تماما. الرعيق للماجن لأتعب سبب. الرجعة الطارئة. اهتزاز الشفاء
وتفوق «حورية» حينك معترحتن على الآخر. نظرائك مخيبة قبل أنت
بخير؟ نعم أعصابك مشدودة كجبل مركب بشدونه بأقصى ما فيهم من
قوة. المركب ثقيلة. وأجمل مشدود مشدود وتذكر يوم عرس عليك العمل
عجبت وتعللت بما تملكت. رفع أكثر من صديق كنفه بأكسما بصفت ألف
مرة على عتبة بورتهم. لحمس آخرون. وصدرت البرقيات ساخنة ومحتجة
إستدعك الرجل التي البرقيات في وجهك. صاحت ملامح المستغمة:

سبق أن حذرتك من التدخل فيما لا يعنك.

- لكن هنا يعنني.

زاعقا: لست بقية أهله.

- لا أهل له وأنا صديقه.

أجرت بكما الصداقة قديما... فاهتم بشؤونك.

- هدد شؤوسى. أخص شؤوسى.

اجسم لجنامة صفراء. قال.

- الظاهر أنني سأرسلك لمؤانسته

نظرت ليد بشراسة. ها هم زبائنه يتجهونك. كالظل يمشون وراءك.
مظاهرة مريبة يارسون عضلهم. كأنهم يقولون: نحن خلفك فلا تعمل شيئا
وقد لججوا. أصبحت أسيرا في أيديهم. لا تعمل شيئا. لا تتصل بأحد.

وأمس في الفجر. حبط الباب. فمت مدعورا وجذت وجهها عريبا
عائيت حتى تذكر. قال بهلغة

- أستاذ «هم» ألا تتذكرى؟ أنا «الشارب» مقولى»

- أهلا تفضل.

وهو يلتقط أنفاسه. قال

- لا تؤاخذنى. حاولت أن أجيء نهارا لكن الاحتياط واجب.

- حيريا «عم مقولى»

- الأستاذ «صاير» في خطر. وهم يصرون على إهمال علاجه.

استطرد يروي التفاصيل المرعبة. قام. طلبت منه أن ينتظر. عدت
بنقود دستتها في كفة. رفض بإباء. قال:

- الله يسامحك يا أستاذ. صحيح نحن بأحد أحيانا، لكن الآن.

عجب.

يكت «حورية» عندما سمعت التفاصيل. نبلة باكية حزينة بلا يوم.
عائيتى عند العصر فكرة شيطانية. سأقودهم في رحلة طويلة على الأقدام.
أطول رحلة في التاريخ. رجل بلا يوم يقود تابعيه في رحلة طويلة. طويته
وحزنته من الجيزة بدانا. وها نحن في مطلع شارع الأزهر كيف تأنى لك أن
تمشى كل هذا بلا يوم؟ ولدت أشرب كوب من عصير التفصيص أسرع الرجل
... قلت أنه لا يد وقد تعب ويريد بدلا تركت كوب

انصبر رجلاً. وخرجت مسرعة. لمحتة بجري خلفي ملهوقاً. قصرت خطواتي حتى يلحقني. الزحام يزداد. يتكاثف. أين كان كل هؤلاء الناس من الأيام الخوالي كيف غشيت العيون عنهم؟ الدنيا برد.. برد. لو سقطت أو حتى جازت قال صوت مولد الحسين كل سنة وأنتم طيبون. غيت وسط الزحام. تبعتي بمشقة. ثلاثة أيام بلا نوم. حبة «العاليوم» قدت صنعولها والقلق بعظم الأعصاب. لحظة ارتقاء واحدة. لحظة نوم. ترتخي جنوني ترتاح عيوني المرهقة التي تنزأ لا يطاق. أمشي أمشي. أمشي. أمشي. أمشي. رأسك عار مهمل تخطف عمامة أم طربوشاً؟ اللبنة هي أنسب الأشياء. جلابيب وبذلك وبلاطى. عساتين وجويلات وملابيات لعل. ناس. ناس. ناس. يزحفون فلم لا تزهق. يضحكون فلم لا تواجههم بالحقيقة المرة. رائحة العرق انتشوى حافتها لكنها دافئة أنا أمشي. الرجل يمشى أنا أمشي في هذا الشارع قال: لا بد أن يعود إلى العمل. أى عمل؟ لم يكن لنا عمل سواء. لا تجهل المختار طبعاً. ثم أكن أجعلها يوماً. أفكر ثم نتناقش. عند المناقشة جهنت. لدينا قدرة على الكلام لمحميل الباطل حقاً. ونحن باطلا. أمشي. يمشى. إلى أين؟ لا يهمنى ماذا يحدث بعد ذلك. سيعود لرئيسه متعب مبهوداً. ينفع بأكي: حطمت أقدامى يا بهبه.. دشتها. يا لها من نهاية مضحكة. إضحك عليها لماذا لا تضحك. تخجل؟ لا أحد يسمعك. وسط كل هذا الضجيج. فلتضحك مرة. نبتسم. البسمة بلهاء. لا أحد يلاحظ شيئاً. إضحك بصوت أعنى. ها. ها. ها. ها. يرافق قهقهة قهقهة لماذا ينظر إلى هذا الرجل. إساله. مشى معقول. ماذا حدث هل هو الانهيار الذي تنبأ به «جنى»؟. انهيار ماذا؟. «جنى» كلب برلوج ضخم وقاعد. انسان يبيع كل شيء. يفضلي امرأة. صفخص. إساله.

- يا سيد يا مواطن.. لماذا تبسم؟ أنا أكلتك. نعم أنت. أنا أكلتك؟ لا. إنتظر. قف. حلمتك بالحسين. سأقول لك سرا. هذا الرجل الذي يمشى ورائي مخبر. تعال هنا يا ابن الفظيمة قل لهم أنك مخبر؟ قموا يا عالم.. يا هوه. يا مواطنين. يا أهل القرية والترهبة والجبال

والحسين. قمر.. الذى يحب الجدعان يصفق. كمان تصفيقة. هذا الرجل مخبر. وأنا أسأله أمانكم لماذا نقش ورائي؟ أجب يا روح أمك.

واحد: هل أنت مخبر بعد؟ آخر: تكلم. الرجل خائف. إتركنى. إبعد عني. هذا رجل مجنون.

آخر: إسكت يا ابن الكلب.. بطاقتك.

- ليس معى بطاقة..

- هو مخبر أم أقل لكم؟

واحد: لماذا نقش وراى؟ آخر: محدرات؟ ثالث: وعرة؟

- لا جاسوس.

اسمعوا يا عالم. يا هوه. أنا جاسوس. يا نذل يا خادم الأتدال خذوا هذه الجاكته والكرافتة. والقميص والثانلة. هذه المذبة السوداء وهذه وهذه. أربع رصاصات أصابتني في بورسعيد سنة ١٩٥٦. إسالوا «ويليامز» ضبطت المخابرات الإنجليزى كم كيلو من لحمي نهشته كلابه إمسكه يا معلم قبل أن يهرب.

«تعال هنا يا ابن الزانية. ماشى وراى؟»

- «يا عالم مظلوم ليس لى به شأن دا راجل مجنون».

- سامع يا معلم.. أنا مجنون.. ثلاثة أيام بلا نوم أولاد الكلب..

- يا معلم لا تصدقه. هذا رجل كافر. من الذى ييشتموا رب

رائصى يمشى

- وأنت مالك. يمشى ربا حارقك قوى.. ولا يمشى تلاكيك.

- بذمتك يا معلم.. واحد صاحبك. أحرك. هيبك. أكلت معه هيش

وملح. غتوا سرى على الكرش. فى الندى والطل. فى المطر والحرق. وعبان. سل درجة تالفة اللهم إعتقنا وشعنى كل عيبان. فى صدره. هنا يا معلم. ثقب أربعة ستنى قد الريل العضة القدم. ومع ذلك يحبسوه كبرت الى

قلت حرام عبي، ما يصحش. قلت لهم يا لئول بالإنسانية.. رجيتهم.
سرحوا ورائي ميت كلب مسعور، ده واحد منهم..

هناك العيب يا أستاذ.. بطلوا اشرا بقى على العالم؟

- يا معلم أنا غلبان أكل عيش.

- أبحث لك عن شعنة نظيفة.. أرسخها شغلة أشرف من شغلتك.

سرح نسول. بيع محدرات. لكن أديت جديعان لأ

- يا معلم.. دول كفره.. دا رافضى وابن رافضى.

- برضه يقول لى رينا.. أنت هاتستغفلى.. هاتسرح بى.. طب

ودينى وما أعيد ما أنا سايبك إلا بضرب المركوب. يا جديعان. يا رجاله

إنلج يا جديع انت وهوه اللامراخدة اللى يحب رينا يضرب. اللى يحب النسي

يضرِب. اللى يحب الحسين يضرِب. كرامه لك يا سيدى يا حسين يا ميت

مظلوم فى بلاد العربية كرامة للحسين، اصبروا اصبروا المنفري ابن المنفري.

بالمركوب يا سيد إيدك لا ما توصفهاش.. بالمركوب.

اصبروا. صبرت. تبريد الزحام. فى قلبه رأيت كانت قامته انصبة قد

استقامت يرى جيلا بلا نظارة. يحمل حذاء القديم يضرِب بقوة كضاب

عمي. قلت:

- يا عم «محمر».. يا عم «محمر» يا مهدي.. أنا «عمر»

«عمر الدعشان».

نظر إلى برقت عشاء بنظرة قوية.

مش مهم. إضرِب.. اللى يحب «الحسين» يضرِب، كرامة لك يا

سيدى يا «حسين».. يا ميت مظلوم فى بلاد العربية.. اللى يحب الشعب

يضرِب.. اللى يحب مصر يضرِب.

تدافعت موجات الزحام. كُتِل كثيفة. كفاح نهر دافى.

فصلت بيسا. أين أنا؟ أين هو؟ أين أى إنسان؟ بلا حذاء. وعضى الأعلى

عار. أين برودة مقتيل الليل؟ وسط الزحام دافى. أجساد طرية وأخرى

خشنة. زمارد تساقط. أرذاف وأثنا... أذرج حشنة مفعونة.. كرامة لك يا

سيدى يا حسين يا ميت مظلوم فى بلاد العربية. دافى.. دافى... أريد أن
أنا.. أريد كثرة تريت على رأسى. وجه روجى.. أيتى تيتسم. تصع
بسمته. رائحة عرق شتوى دافى.. غملاً معطلى.. أخيراً سأنام.
وسط الزحام سأنام.

ضحكات من زمن

القتل غيلة...

١ - إلى ذكرى شهيد عطية الشافعي : المناضل
الشهيد الذي قتل غيلة مبي معتقل أوردى
أسير وعيل في ١٥ يونيو ١٩٦٦ هـ

١

البش في جراح قديمة.. ولكن طرية

احصنت قفها بين ذراعيّ.. ضعطتها بقسوة حائقة.. شمت في
ديموم الاحتضان عطرها.. استشفته في شهيق طويل كأول أنفاس العربي.
تطأرت في نفس اللحظة فكرة دامية كانت تطاردني بإحاح منذ أيام.. في
الشرقة انعكست ألوان اشفق على وجهها.. اختنبت الشمس هناك عند حد
الأفق.. ابتلعها النهر.. ودعاها معا صامتين.. أحاط ذراعي جهرها دمست
كفي في شعرها الطويل.. قذفت الشباك العنبي بعيداً.. انسدل شلاكي وأحاط
ملامحها.. صاحت محتجة.. قبلتها قبلة طرية

قالت.. تحلت الشقرة

أدوت «العراجلون».. تسللت شهر زاد كورساكوف.. جلست على
«كشبرلونغ».. أسندت رجلي إلى فخذي.. في خوت الضم.. امتصت نظراتها
المشوقة ملامحي.. انحنيت.. لثمت عيني.. بهرني عمق عينيها وسعازهما.
غدت في دسامة صدرها أكنار قديمة.

(فى تلك الظهيرة حكى عن حبيبته كئيباً حياءً بضرب الفؤوس فى أرض رملية. جاء صوت حلفت يقول سرور معاناً خضرة. حكى عن عبيها فقال إنهما حورتان كصدر الأم احتق صوتهن فى النهاية. كأنه يوشك على البكاء. كنت صغيراً لم أكاد مرة صعب الرجال الكبار. حلق للى حزناً. أنت تظهر الآن فى جنة الحيد فأين ذهب؟ لو بقى لك من الإيمان بالجنود ذرة لقلب انه ينهر الآن وسط بيت تجرى من تحتها الأنهار. وكان ذلك عزاء القلب المحزون)

أشعلت سيجارة. فذهب بعداتها بعيداً.

[كذلك اليوم فى أنتريس رأس البر وك غريبين تماماً سألبها عما إذا كان التدخين يمايقها. ابتسمت. أخرجت سيجارة من حبيبته. خلعت منظارها الأسود]

تناولت السيجارة سألتنى عما فعلته فى غيبته:

لا شئ. قرأت، ومرت قصة كتبته.

- أنت تمزق كثيراً

- قرعان.

عدت بالبيرة والأكواب.

- بن أشرب.

باح حساسي

- ألا تستطيع أن تجلس معى صابحاً؟

- لا أتعهد هذا.

راحت خرجت إلى شرفة العراصة. غط الليل ثقلاً. معاقاً كان القمر وسوت ضحكة فى قارب يعبر النهر. استندت برفقيها الى حافة الشرفة تأملت وجهها فى الضوء المتسرب من أسافل

- فى الليالى المحافية بكثرت الحب فى النهر

ثم ترد. قلت إن الظلام كالخمر يبعث على طلب العراء. فى الأسبوع الذى مانت فيه شقيقتها جاءت بسواد الخداد. بكيت على صبرى. حكيت عن شقيقتها طويلاً عندما مسحت دموعها بشعتي. أرتجفت شدتها السفلى كان العزاء ليلتها ضرباً من الجنون الكامل. بيد أن شيئاً كان يدفعنا للنقاء. لشترك عرفت ليلتها إن رأسى المثقل بحزين الذكريات هو صليبي الذى أحمله

- هل تحبى حقيقة؟

- لا أدري.

نبحت سيجارتها فى الهواء. دندنت لحناً كم دندنت به فوق لسان رأس البر. ضربت موجة عاصفة مقدمة اللسان. نطقت إلى رقاد متطير. ها هو صوتها حزين القرار. مشروح البحة. أما شعرها فأسود غميق. تطاير مع نسيم الخريف قلبه بيدها خضراء كصبيها كانت بلورتها. انشقت عن مجرى يهدين متعاسكين. أشم على البعد عبيها كما شممت أول مرة ليله العراء تلك.

بدأت شفتائى جوعتهما من وجنتيهما. انحدرتا إلى رقبتهما وصدرها عندما وصلتا إلى البهد دارنا حول كل مساحة فيه. استقرت فوق قمتها. لحظتها فقدتا رفتهم العذبة. كان المرید قد ثبتل فى محراب إله ساعة ساكنة كالصمت كان مره الوجد فجأة مائل مشوان كفنل أبهجه ظهور أساه صرحت صرخة خفيفة. بين الألم والنشوة كانت ليله عراة.

توقفت عن الدندنة.

- لماذا لا تخرج؟

- أهى أنسى كبرت.

صحكت استدارت إلى:

- بوسعى أن أشهد بكفادتك.

نهر لغرا مستمعاً على المهم ككل شئ حولنا. هذا النهر انظم كم

ابتلع من آمل يائسة. ووسوسة الأصوات على سطحه تبعث على الحيرة
وأمس كان «سليم» يجلس على هذا المقعد الأسبوطي يحكى عن الخطر
- ألم تفكر أبداً عن الزواج منى ؟

نفيت. سألت بكلمات مدغمة عن السبب.

- لا يمكن أن أتزوج لمرأ

- ولكنك تعرفنى منذ سنوات.

(ذلك الصباح المشحون بالقلق كم مضى عليه. وكنا يومها غريبين
التبا عن أرتوبيس. وما هى أقرب ما تكون. لا تجعل أن تفعل أى شئ
أمامها. تفكر وتصحك. تصح ملايسك. قش عاريا إن أردت).

أعرف أن لك «زيرى». وهذه معلومات راقية جد

عادت إلى التندبة.

- . . . وربما كان اسما مستعارا وهو على أى الأحوال اسم تدبيل.

عادت من الهجرة الداخلية فى روب بتسجى شفاف :

- من تام أحد عندك ؟

دقيقة الملاحظة. وذاؤها خطر :

- «سليم» ابن عمى. كان فى إجمار.. وعاد اليوم إلى

والإساعيلية.

- والأحوال هنالك.. ؟

- كالعادة. غارات واعتباكات وقبلى

شابت عن المكان بفكرها لحظات.

- شئ مزعج .

- نعم.. ولكن لابد منه.

تبث عشيها فى عيسى. قال :

- أعرف فيما تفكر .

- يعجبنى ذكاؤك أحيانا

أنت تلوم نفسك لأنك تخلص معى. فى حين أنه يجب أن تكون

هنا.

- ولكنه، أعنى ذكاؤك. يخونك فى أحيان كثيرة

- لا تنكر. أنا أحفظك. وهذا هو سبب كرهك لى .

... (وكان يتحدث لى الصغراء عن الحب ليلة. ووصف حبيبته
فتعزّل فيها شعرا دقيفا، فاستعدته مبهورا، وطالبته بإطلاقى على رسائله.
معصب. ولفتى درسا فى احترام ذلك الجزء الخاص من حياتنا. وأثرت
مشكلة أيعنى لثقتنا أن يجب. قال بل يجب أن تفعل. قلت : أفى حاجة
نحن لمزيد من المشاق؟.. أقدمنا مثقة بالقبول. وأنصاع الطريق أكثر من
أن نحصى صحك وقال: أنت ككل مراقق تحمل كبرا. قلت: السجن
يتروصنا وربما الموت.

سألتى : لماذا أنت سوداوي؟ وكان السوط الذى قتله يخرج من
مدبغة مجهولة فى تلك اللحظة. فيها للمهرلة.)

احتسبت البيرة تست سابق رقصها

- ضحيت بالكثير قبلا. ومن حقلك أن تستريح.

- مجرد كلام.

يخرج متكلف قالت :

- يوما مستحق أحلامك.. وستأمن آنذاك تماما..

- سأوصى ورضى بالملأى أنبا فى قرافة الفقير .

.. (ذكر العمر حقا، والأقارب رجفة لإحساس بالشرية عند ذكر
أحلام الزمان الذى مضى. قتلها التكرار.. كما قتله السوط. ولم يكن
كمثله أحد فى الطراف بالأحلام فى كتيبات الليالى..

رمى اليوم التالى لمعتها فى كازينو يطل على النهر حيث رأسى

مُجيباً من بعد، انتهت بشدمة داعية، وحيدة كانت كنيسة برية جميلة،
وتحدثنا عن الرحمة في العالم.

فقلت : أشع شيء أن يكون حولك زحام لكنه بلا قلب. هذاب. قلت
أن أشع شيء هو أن تفارذك الوحدة في حقل درة كثيف في ليلة صافية.
قلت: الاستسلام موقف ثوري أحيانا. قلت : أكره أن أدير ظهرى للحياة
ولرقيب. انتهت. قلت إنها درست الفلسفة ثلاثة أعوام في الجامعة، ثم
نسيتهما في شهرين فصنعهما في المطبخ تطهو المكرونة «باليشامل» وتتفان
في صمغ «البسترا». ضحكك بصوت عال، سمع النيد حديثا الطويل فيما له
من مستودع أحزان بلا قرار. وفي المساء ركبت المفعية عائدا إلى «عربة
البرج»، فتح «سليم» الباب. لعن جدي السابع عشر - وكان يكرهه دون كل
أسرتا - وقال:

- بام عمك الحاج منذ زمن وإيقاظه في هذه الساعة جريمة كفيفة
يراعدتك إلى المعتقل لتتربى بما فيه الكفاية.

ضحكت نصف ضحكة. لم يكن في القلب منع لكوامل
الضحكات.

- من تندم لأتلك عرقنى ؟

قدغت بالسبجارة إلى عسق النهر

- أكره علامات الاستفهام.

- ولكنى لست نادمة.

- معرفتك على حقيقتك مشكلة ولن أرهق نفسي بعد الآن
بالمشاكل.

- أنت تخلق مشاكل وهمية. وهذا رأى «سليم» أيضا.

(ماذا يفعل الآن وسط البيران والبارود والموت، وفي أى لحظة من

الزمن يترصده قضاؤه)

- «سليم» يكره جنفا السابع عشر، وكنت قد عثرت بتاريخه في

مخطوطة قديمة. تصدى غفر الله له للسلطان العثماني سليم أيام العزو،
وأثر عليه «دمياط» كلها، غضب عليه السلطان، وشنقه على باب زويلة
وصادر أمواله، ولولا هذا لكت من كبار الأغنياء.

أنت مشاكس كجذك السابع عشر وأبا أهلك. وهذا يكفى.

(يبدو هنا كافيًا على الأقل من وجهة نظرها، وهي مثلى تبحث عن
عزاء. وبعل خيبة الأمل ترصدتها كما ترصدتني. ذهب كل شيء بأخص
الانسان السجن والعذاب والموت والمستقبل المهدر، وبالمرتب أثنا هذه
العومة. واشترينا بدلا ونفهم أحيانا بسيارة مهمل هذا تمن مجز حياة الرجل
الذي قتلته السياط ذات يوم؟. ولحظة النساء المشترك لا يبدو شيئا مهما
على الإطلاق حتى مشهدهم وهم يحملونه إلى المشرحة، تحرق الجسد دامية،
على وجهه لحظة قهر مات به. وكان المأمور قصي الشارب، لزرق العينين،
يبد أن أحمرار وجهه أصفر تماما)

- ولكن لا بد أن أعرف شيئا عنك !

- أنت تعرف كل شيء.

- كذب.

بهضت واقفة. قلت إن المدينة مظلمة وكثيفة فمتى يعود الضوء.
وصوت «عم عبده» - بواب عوامتنا - يأتي مع هراء الليل. ذلك المعجود
الغريب، حزين غناؤه. ضاحك وجهه. أدركت الذبذبة إلى الداخل لأقلل الضوء
المترسب.

قلت .

- ثمة رجال الدعاج الكذبي «عم عبده» أمس إلى الالتزام بقيود
الإضياء.

بدلًا أنها لم تسمح . بعد لحظة :

- تعرف. أحيانا أخجل من بعض ما أقوله في طراش. بيد أنني
أنسى خجلتي في المرة التالية.

تهدج صورتها مع الكلمات الأخيرة قلت إن حزينات الليالي تتطلب
العزاء وسوت ضحكك عبر ظلام النهر.

.....
.....
.....

في صمت الظلام، أحاطت ذراعها العارية رأسي قلت أناملها
قالت بصوت ينظر براحة عميقة

- تذكرتك وأنا بالبحر.. وسألت نفسي عما تفعل

- نعم.

- ولا أحد المحيطون بي أنى سأهمة فحاصروني بالسؤال

- مشكلة

- تعالت بالخرن على احتي، واعتصب أظفانها، فهاج ذلك أحزاني

وبكيت.

- قلت أنها مانت متحرة

- نعم من عوامة كنكك. وتذكرت صديقك الذي حكيت عنه

- «سليم» ؟

لا الآخر.

- «لويس» ؟

لا. الذي قتل في السجن.

أشعلت سيجارة فتناولتها مني

- كثيرون ماتوا في السجن، وماب الآخرون في الزحام

في وهج السجارة المشتعلة بدت صورتها في المرأة شعرها مذي

على الوساد حولها

(أعرف ممن تريد أن أتحدث. ولكن قلنطلب ذلك بنفسها).

- لا أذكر.. حكيت لك كثيراً

- «شريف».

آه. «شريف عطية».

كررت الاسم. قلت إنها تتفق به في لغة، فما السبب يا ترى؟ وكنت
أحب اسمه دائماً كان شارب غريفا كشارب فلاح لم يعاد احقل أبدا لكنه
كان رقيق القلب. ومن المأسف أني لا أعرف أين حبيبته في هذا العالم
انوسع الزحام. فمن يسمع مختزن الذكريات؟ ومن يهده سواها حين
عاشق سجين ؟

- أحلك لي عهد

- حكيت لك كل شيء ونحى في «رأس لبر».

في كل مرة تحكي... تذكر جديدا

- نهمين به كثيراً.

قتلوه ؟

- نعم.. ضرباً بالمبائط.

- كان صغيراً ؟

- في حدود الثلاثين.

كلاب.

- نعم.. ولكن الزمن تغير..

- أحلك لي من هنالك.

تسللت أنغام كورساكوف عبر الصلاة. كان حفيف النسيم يداعب

سطح النهر. كحة «عم هيلدا» تتصاعد من بعيد

أقلقاً كان لصباح. شمس يوليو قانطة جاءت جلستى بجوارها
في الأوتريوس «صخيم» في معس حاد وهو يعاد بنا حدود المدينة،
أفترت. سدتها. اعتذرت. شكرت. لم يكن معنى سوى حقبة صغيرة بها
بعض الملايس. مجموعة الكتب في يدي. سألتني مرة أن أسدل الستار

على الدقة، وأخرى أن فتح وجعها العذرى خلفه مجرد بسمة هو جسدها كان وشيقاً وليلاً كدسامة أنهر كان صدرها، سألتها عما إذا كان التدخين يزعجها، نفتت بالتمسامة أخرجت علبة سجاثرها قالت: جيشي المرح، كنت أخشى أن أفعها وحدي، أستاذت في تصفيو المكتب، تركت لها قالت بعد لحظة

- أتعلم الفلسفة ؟

- مجرد اهتمام.

- ولكنه لا يناسب بوليه ولا «رأس البر».

ابتسمت، لم أعلق.

٢

كل شيء مجموع... حتى حزين الغداء

أعلق الشاويش «عبيد» باب العرفة في أول المساء، ارتقت على حشيتي مرهقا، كنت قد عرفت ثلاثة قرايط، وقلت أنها ستغير غدا، استلقى بجرازي على فراشه، أشعل نصف سيجارة ناولس إياها أحدث نفسها طويلا وأعتتها إليه، قلت:

- تعبا اليوم، تمجول ومال صغراء إلى مزودة يهدو مستحيلا.

- ولكنه سيحدث.

هدت بسمته رقيقة، كانت جزءاً من وجهه الطمولى المرح، وقلت أنه يهدو وسيماء، نوى بهذا تنعزل فيه حبيبته ادهولة، وهذا الرجاء حول دونه المياه في نهاية العرفة يوحى بأن الزملا، يخططون للعد، أنوما تعطش للعطر متى تنتهي المهلة من العالم؟ انتهت للسيجارة لم أكن قد أرتويت بعد، قلت

- يلهني تفاؤلك،

هو رأسه وتأمل سبكه الكهها، المتدلى من السقف، تحدث طويلا

د، هدد كلامه بحامي راسي، تدكرت جدي السابع عشر قبل أن «م تصاعد صوت من العرفة المتدلة يفتى بصوت عجيبي، صعد من فوق حائط الدرة صاح طالبا من المص أن يرفع صوته مر سجان المساء في المبر صاح:

نام أنت وهو عتير ٣ - مخروخ العتاء.

قلت إننا نعلم كثيرا بالمد شتاق أنوت للعطر وهذا هو كل شيء،

مخرج، حتى حزين المساء،

في صف الشمس الطويل تاهت «فترات عيرى» زحام البشر لا، وعابت كساء البحر، ها هي العشة فأين الشخصية الخضر، تصاعد صوت من خلفي صاها

«طارق» أستاذ «طارق»

كانت ميللة بما البحر في مابوه مشجر بأوراق ثوت وأهية، جنفت جسده مشرب شمس الأصيل دفتها عليها، قالت إنها تحب مياه الأصيل، يكون البحر دافئا وحاليا، قلت إن ذلك كله جميل، مكى أكره الغروب، يتعسى رحيل الشمس، ينقبض قلبي عندما ينقبض الظلام على الحركة والحياة والنضوج.

- شاعرك غريبة، الفلسفة مجرد وداء تلتف به، أظن أن العلاسة

يادرد العقول

ضجعت قدلا

- لا تهافنى، لبي كل قارىء لكتاب في الفلسفة ميلسوما.

- أظن أنك شاعر، ألم تكتب الشعر أبدا؟

ذلك النيش من طوى الجراح، متى يكف؟

- أعمل بالصحافة، كان لي يوما صديق من أرق الشعراء،

- وأين ذهب؟

- مات.

حادث منها التفاتة إلى وجهي غام في عينيها شيء. قالت.

- يا خسارة لعله كان عجوزاً

- نعم في الثلاثين.

تحدثت عن موت فصاحت لعمق سناجتها. سألت هل غدت به حبيبة ؟ قلت : بل غدر بهما معا الموت. كانت رفقي في النهر تقتات بأعصر عينيها بذلك الحين المرفف في ملامحها. تحدثت يومها هن الصحراء طويلا تلك السرات المهدية كيف مرت. رغي أي مستقر بالقلب والنفس ترقد الآن بقاياها، أليس من واجب الوفاء أن نرود يوما ضريحها تنلر الصلوات وتدعو بالرحمة لسنوات العذاب.

- أنت منهم ؟

- نعم.

- حدثت هذا من البداية عاوين ما كنت تحصله من كتب فصاح..
(ثم بعد لحظة صمت) عرفت بعضكم أيام الجامعة.

- من ؟

- نسيث الأسماء. أذكر أن بعضهم غاب في أواسط الشتاء. وعاب

الباقى في مقبيل الربيع

ارتجف جبلها. كانت الشمس تمطس هناك عند حد الأفق.

في ذلك المساء بكت. كنا لحظتها نحشى على اللسان شيه وحيدين. أمواج البحر تطع الصخر في جنون. تأملت سمينة هناك في عمق البحر حكيم عن انتظار السفن المجهولة كان متناها بلا شاطئ. مجرة مساحات مرهبة من الرمال والقبض لذلك لم يفكر في الهرب وما أتعمر ألا نجد ممرًا سوى وادي التبة. ورغم هذا فقد حللنا دائما بالسفائر المجهولة تأتي محملة بالطعام وبالملايين وأطنان من انسجائر ترسو علم

- ١٦٦ -

على المنفى. بعضى من داخلها بغنى. مسألة يا سلامة روحنا وجينا
سلامة يلعب ونضحك. بطمى. اشراقنا للمطر وتصلر توب توب.
ربيع عائدة إلى عالم الألوان.

- وكان صديقى الشاعر قد كتب مرة قصيدة كتبك.

تأبعت عيساه حركة السفينة. وكانت الشمس تعرب حلقها بما

قالت:

- ولم تأب طيبا !

كلا . وكان هذا قيل ان يقتل بأسبوع.

ططعت موجد صاحبة مقدمة اللسان. تلقاها صامدا. تصاعد رذاذها
فأدرك وجهها صعدت إلى حافة الكوريش مستندة إلى كفى. جلست.
أشعلت سيجارة.

قلت إنها كانت ليلة جمعة !؟

[نعم. وكان الشاوش «عبيد» سجان المساء. فتح القفزة وقال
الديب حر، جنهم. سأفتح لكم حلة لكي تشمو الهواء. ولكن لا أريد
ضجة. جلس على حافة الدياب. حكى عن أولاده. قال انه لم يره منذ خمسة
شهور دعا أن يرد الله غريبا. كل واحد يروح لحاله يشوف عياله. صاح
«شريف» ليس عندي أولاد يا شويش «عبيد». قال ترجع للعروسة إنشاء
«بله. صمت لحظة. كان وجهه الصحنى جامدا رفته تدهور الصبر والصحة.
دعا بعد لحظة رينا يسترها معكم. لكن لماذا لا تعيشون بكيفية خلق الله
في حانكم، مالكم أنتم والحكومة ووجع الفم؟ قال شريف والعلابة يا
شاوشنا ؟! حلك لرجل ففاء ولم يرد. قال هجاة عاوز التعشى. جناه بتليل
من الفصل ويقايا حيز. أكل ونجشأ. شارك شريف نصف سيجارته الأجير
عن صوت من لعرقة المقابلة «أنا في دموى أرتوت عزية بزيها». قال:
- يا عم يا بتاج عبر ٣ صرع لعنا. الضبط النوبتجي سهر بعد

شربة

كنت أجلس خلف «شريف» مباشرة. قلت:

- ٧ تكن حبيباً يا عم «عبيد». ألا تحب الماء ؟

غابت عيناه عند الباب الملهدي المفقن في آخر المحر. قال

- في بلدنا صبييت، إنما ولد، عندما بغض تقف الدمية كلها على

رجل واحدة.

تصاحك وحكي عن قريته جاء رميلان من مراحى سوهاج. هبت

نسمة هواء خفيفة. «هبت لأشرب فوجدت الماء في الدلو مشجاً على غير

العادة عندما عدت كان يتحدث عن قواريط ثلاثة بمنكها في البلد.

- أطلع على المعاش السنة القادمة إن أدن المولى ساذج لأرض.

- «شريف» بأشمهتس في الزراعة يستطيع أن يعيدك.

في تلك الليلة حفظ له «شريف» المزرعة على عتبة سيجائر فارغة.

هنا حفائر الدجاج وبينة الحمام هد.

سرح وعم عبيد مع الحلم.

- وحرض السمك يا شاربشا ؟

صحك يرح خجل.

- هيد.. وماذا حدث بعد ذلك ؟

كان فرائد أينا، وبكنى قلفت.

- رويته لك مراراً

- «طارق» لا تكن سخيها ؟

- أكره الفئس في طرى الجراح.

ولكنني أحبك وأنت تروى عن صديقك الشاعر.

- قلب أنهم قلبوه.

- ضربها بالسياط.. أليس كذلك ؟

- نعم

كلاب.

- طبعاً كلاب. ولكن تعير كل شيء.

أكمل.

- حكيت لك في ليلة «رأس البر» تلك كل شيء ؟

- ركنت حزناً.. وأحييت حزناً ليلتها.

- وبكيت.. فمسحت الدموع من وجهك بكفى.

فقيمت أمامك في لحظة لم أدركها.

- وقلبت شفتيك في عمق الليل. والبحر شاهداً الوحيد.

- وعند الأكل سقينة كتلك التي حلم بها

أحاطت عنقي بذراعها العذري.. كطفلة تأتي أن تنام قبل أن تسمع

حدوته المساء. بتوس قلت.

- طارق.. احبك.

أقوى الصباح فتح الباب بصجة هائلة. فتحت عيني على أقدام

غليظة تدق الأرض في غطرسة، قلت. تفتش. مددت يدي. أحسبت شفرة

حلاقة.. كنت أضعها تحت رأسي. قال الصابط.

- كل واحد أمام قرشته. فتش يا عسكري.

استبقت الزملاء مكثريين. ثاجب واحد أو اثنان. وقف «شريف»

بجوارى. همس

- حملة عسكرية في هذا الصباح المبكر

قلت هامساً :

- هذا جزاء الذين يعلمون دون إذن

وقف الصابط وقف عتريته. قلت لنفسي انه دخل كلية البوليس

بالواسطة. وما هو يحاول أن يظبل بوقفته المشدودة قائمته. ليثبت أنه لم

يلتحق بها زوراً يدرس علينا فحولته المكثرة في هذا المنفى. سيرى كثيراً

ويسمع كثيراً سيعود لزوجه في المساء. يروي لها قصة الحملة الشجاعة

التي قادها محمولت مراقبتنا إلى أشلاء موزقة في وسط العرقة. حاول واحد أو اثنين إعادة تنظيم مرشهما انتهى السجان من تعيثيى ابتسمت. لم يمش على شجرة خلقة. انتقل إلى «شريف». مر بيده على علابه. اصطدمتا بخروشة ورق. أخرج ورقة كان يحفيها في وسطه. تدولها الضابط. اضطقت يد «شريف» على الاثنين محاولا انتزاع الورقة منهما. جده سجان ثان للحلف. طوقه بدراعيه. التفتنا جميعا حولهما. قال انصابط وهو يفتح الورقة

- مشور أم محضر اجتماع ؟

قرأ فيها قليلا. ثم قال

شعر ؟ - عياها ؟ وتعلم بالسفائن المجهولة ؟

توترت شفقا «شريف». استمر يسممة سمية هائلة

ولن كتبت هذا لأن تخرج من هنا. والشبان كالأر بالخارج

رام أكثر من واحد محتجا. تصاعدت هبهات من هنا وهناك ولا داعي لكثرة الكلام». «حاسب على أفعالك».

قال «شريف» ساخرا .

أفنتك على انتصارك في هذه المعركة، ولكن لا داعي للكلام خارج الموصوع.

هو الآخر رأسه قنلا .

- خمسة أيام حبس لتفردى على الأقل.

وهو خارج قنلا .

- طالما دعوتكم لشيوعية النساء، وستحقق دعوتكم بسائكم.

اندفع الاحتجاجات من كل جانب. صاح «شريف» .

- إفرس يا كلبه. يا حقير

أطبق الصمت على المكان. نظر الضابط إلينا نظرة متعزمة. أمر

علاق الباب. لفنا صمت ثقيل و دقائق الأندية العسكرية تمكرك صمت عياح.

قادره إلى انباء. صعدنا إلى بواقد العرقة المطلة عليه. كان ميسر رغم ارتعاشة خفيفة كانت تعترى ساقيه. جاءت والعروسة صليب جلدي متجههم. مربع الشكل تثبوا في الأرض. وضعا رقبتهم في تجريفها. مدو دراغيه على الجانبيين. كبتوا الكليل. والقدمين وقف المأمور أمامه. اهتز شارب الأصر. إصبرت خدوده المنتفحة:

- نظن نفسك رجلا يا ابن لقمية ؟!

لم أر نظرت. لكن رأسه المعنى جاهد في الارتفاع رمض كلمات السباب في إنفه. قال :

- أنا رجل قصيا عتاك ومن أسفالك من الكلاب

ويصق في وجهه.

- الكرياح يا عسكري.

جاء السوط طويل. مجدول في نهايته بسلك صلب. عقد طوقه عدة مرات صغيرة هس صوت بهجوارى :

- عدد العقد محالب للآلة.

ابتسمت حزينا تهدل شعره الطويل على وجهه. كانت لحيته طويلة كنه - هبط السوط على ظهره الصف حول صدره جز على أسنانه راض أن

يخن. صاح المأمور

- لن أتركك حتى تقول أنك امرأة .

صمت ولم يرد. تتالت الضربات وهو ساكن. شافني أن أرى ملامح وجهه. تهدل شارب الريفي الكثر. جرت أسنانه على شفته السفلى. تعصد

عرق غريزا من كل ثانيا جسده. فك المأمور أزار سترته العسكرية. لهث

بشفة استند على عمود كهرباء في الفناء. ألقى بالسوط للشاريش
«عبيد». ضرب «عبيد» مرة ومرتين صاح

- اضرب جامد يا سجان

- الارتعاج القانوني نصف متر يا أقدم..

هجم عليه كوحش. خطف منه السوط. ضربه به :

- امش يا بن الشرموطه أمش.

تكرر الشاريش «عبيد» «عبيد» واستمر هو بضرب..

لن أدعك قبل أن تقول أنك امرأة. أسمع كل زملائك. لا بد أن
يسمع كل هؤلاء.

أشار إلى أشباح الواقعة خلف التواجد. كان زملائنا في كل لعرف
قد صعدوا إلى بوائد شناهرهم. تصاعد صوت في غرفة عبيد

- دعوه يا كلاب.

من الذي بدأ إذ ذاك يشد تشبينا. لا أذكر. ماذا كانت كلمات
التشيد تقول؟. تأملت من الذاكرة. كما تاه العذاب نفسه. هل سمع في خنق
العذاب أصواتنا البشدة؟. ذلك المصعب من أي أنحاء القلب تعجر. وسوط
يهبط ويصعد. كان الرجل قد توحش حقيقة. برقت عياء الزرقوان. امتدت
أدتاه. بدأ لي خطفتها كذب يرى من قناب قريباً لم ينته حتى إلى الزند
الذي أحاط بشفتيه. وهو يكرر بإيقاع كأه مضيط لمسافة بين كل جلد

- قل. قل. قل. قل..

حمر السوط أخاديد دم أحمر عميقة في كل أنحاء جسده. تفرقت
ملابس النصف الأسفل منه أصبح عارياً تماماً كوليده في سنوات مجاعة.
تهتك جسده إلى مزق صغيرة صوت الكبراج وهو يتر في الهواء. مرعب
كالخوف.. ونحن نشد. نشد

انكفاً رأسه.

مات.

اصطدمت الموجة باللسان طالتي رداها. غاب بصري السارح خلف
السبينة ألتانئة عند حد الأفق تعلقت دموعة متألقة بمرشها الطويلة.
مددت كفى. مسحت عبيها قلت:

- لم أشهد دموع عبيته عبيد.

رقمت وجهها إلى أعلى. واجهني مع خنوت آخر ضوء. في شمس
العروب وجهها المذهب. لحقتها بحث القصب عن العراء. ريت خدها. كم تحرق
التذكارات الحريئة من لحظات النرج. في قرار القلب حكمة هيهات أن
تنهي احتضنها غابت شفتي في دسامة شفتيها. كان البحر شامدا
الوحيد

٣

برمّل حمامة مكسورة الجناح

عند الظهر تحدث واحد بجواري عن قصاء الله كيف يرد؟ وشغلت
بالبحث في الموصوع. تحدث آخر عن الأمانة التي عرضت على الساعات
ولجبال والأرض فأبى أن يحملها وحملها الإنسان فكان ظلوما جهولا
جهاز «التبكر» يذق في المر دقاته الرثيبة المرعبة. نظرت إلى أنليمن،
ولدت لعله يحمل صوته. في أي مكان من هذا انعالم الخائق الرحام
تختفي؟. رمى واحد بشرط طويل من الأخبار أمامي. قرأته بسرعة. عامت
أعما. قتل. قتل. قتل. أشدت زميلتي إلى خير في يدها قالت:

- أداعت ألبويتلبرس برقية عن جريمة القتل التي حدثت أمس في
أسوب. سبعة قتلهم مجهرل كان يحتمي بين أعواء النمر.

في بعض الأحيان تمذهب الحاجة إلى «زيري». لو تحدث الآن. ربما
خف من القلب بعض أحزانه. كان «عم عبيد» - بواب هوامتا - يجلس
بجوار السلم. يذبح سيجارة هزيلة كجسده التحيل. قلت إنه صامت كاسهر

ولكن ما أبشع غصبه. هش أطفالا صغارا خاف عليهم خطر الماء. كان النساء حائقا برطوبة لرجله. استلقيت على مقعدى فى الشرفة. هتهد فلوج فتايطس العروامة. هتخدى معها مسح بعض إرفاق اليوم. جاء صوت «هم عيده» مقتيا بصوت حزين أسلمته إدى فى إعياء الفراغ. صبه فيها أحزان صوته العجوز. تسكنت مسحكات أطفال من الدور الأعلى فرقى. قلت إن الظلام الحائق يذهل الضحكات. لذلك تيدر قصيرة العمر. ويومها يكيث.

كنت أصغرهم عمرا وأقربهم دمعا. حملوا بشتة إلى المشرحة هناك حلف عير ٧. رأوه. من البواقد صاح واحد: «قتلوه الكلاب. اكفهر وجه المأمور حرقا. تعالت هتافاتنا. جاء الضابط مدعورا. فتح الباب. وجانا بصوت مرتعش أن يهدأ. زميلكم يغير ولم يحدث له شيء. كذاب وحقير وكلب كاسب! ذلك حملتموه إلى المشرحة. رفعا دلاء الماء والمياول وأوانى الطعام. حمل واحد يد فلكنسة تصاعد من الفصية. كنا حزاني إلى درجة الجنون. لم يكن موته حتى تلك اللحظة قد عسى شيئا يمكن أن يهيم. تراجع الرجل وأغلق الباب. خلفه!

سمعت خطوات ثقيلة على عشى العروامة. انشقق الظلام عن شبحه الصليل. كان التأمل الطويل فى رمال الصحراء قد صب المرثيات أمامى. وأنا غارق فى مقعدى متوحد مع الظلام. اختفى لعمان مطع النهر مع لون عشى العروامة لذلك لم أدر من أيهما جاء. بدا لى عجوزا قاتبا نحيف الجسم كسومها أسطورية. دعونه للجلوس. تبع. قلب:

- كان غاؤك شجيا يا «هم عيده» فلماذا توقفت عن الغناء؟

قال: إن حزين الغناء يرجع القلب. رجل عجوز أنا. قلبي ضعيف. أخاف أن أوجعه. ضحككت من كلماته تاولته سيجارة. قلت أننا جميعا موجهون قال:

- قلبك أخضر لم يزل (ثم بعد لحظة صمت) بعض الناس يسألون عنه!

- من؟

- رجال صغارا ويون.

- وعم يتسألون؟

كل شيء. الأثيون والداهبون. الكلام والصمت. النساء والرجال. وأيضا الصعكات.

- وكيف أجبت؟

«عوت الله أن يسهل لعيده واعتذرت بتقديم العمر وضعف السمع. جلس على حافة الشرفة. قلت إن جسده الصليل يمكن أن يقع فى الماء. اذا دقته هبة سيم. لكنه بدا راسغا فى جلسته.

- لماذا يسألون عنه؟

- حساب قديم.

تأملت ملامحه المنفضة. كانت عيناه واسعتين حادتين رغم تهديل الجنون.

- أنت عجوز جدا يا «هم عيده»

ضحك ضحكة طويلة أكثر مما لتحتمل أنقامه قال:

- ولدت أيام هوجة «غرابى باشا»

ما امتع أن تهدد سام الليلة... بذكرات محنطة.

- قابلته؟

- لا... قفوه وراء البحر. شعته مرة فى «الحسين». كان طويلا وضخما. ولا أهر يد فى عز شبابه. ولكنى قابلت «سعد باشا»

ما أسقف أن يكذب رجل عجوز

- كان فى أواخر أيامه.. جاء إلى «مسجد وصيف» مريضا مر واهور

البحر الذي ركب به بلدنا نحن من الأصل من القرشية، تواهى طنطا،
انتظروا الزاوية على شط الرياح، لما ظهر حوصت من الرياح يهدوى كانت
وزمير» جديدة ومقام السيد البوى، اخلق كلهم رموا أنفسهم من الرياح،
كنت أول واحد وصل، أطل على المرحوم «وصاوصف» قال : أبعد يا ابنى،
تعلمت بهال مركب، قال : يا ابنى تفرق، قلت : لا بد أقابل الباشا، قال :
الباشا مريض ولا يقدر أن يقابل أيها واحد، أصبرت متوا حبالا صمدت،
كانت هدوى قبلولة، عسروها لى، أدخلونى عليه، كان رقدا على سريره
يجلاية بيضاء مقلعة وطافية، رميت السلام، رفع يده إلى وجهه وقال
وعليكم السلام، اسمك أيه يا بنى؟ قلت : عبده القرشى، قال أقعد
يا «عبده»، قلب هدوى قبلولة وأنت عيب، شد حبلك يا باشا، قال
شدوا حبلكم أنتم، أنا حلاص، رغرت عيناى بالدموع، قلت القلب والعبد
والرب راصون عليك يا باشا»

.....

تحدث عيسى على ضجة فى الغرفة، كان سليم يخلق حلا «العسكرى
الضخم الحرس شديد، طاب فى الحمام، حاول فتح صلفه الدلاب الوسطى،
استمعته عليه، قلت :

استجلت «ربى» دلائها هدومك فى الصلابة الأخيرة مع
الاعتذار طيما.

ليس يتطلون البيجاما، سأل منها، رددت بتمتة .

- ألمهم كيف أمرك ؟

- اشكرت فى عملية عبور ناجحة هذا الاسبوع،

بحماس مريف قلت :

- عال أقبل دعوتى لسهرة بعمل فيها بهذا العمل العظيم .

- تشكر، سأقوم بجولة فى المدينة عصرًا، معى رسائل وطلبات

بعض الزملاء، وقد أساءوا البلد بالليل أوحشنى عليك الخناج وخالتك
لهاجة..

أخرج من الثلاجه بعض الطعام جلس بأكل على منصفه صغيرة فى
مواجهه الفراش،

- لم تكتب شيئا منذ وقت طويل.

- بعض لقرف.

إرمى الصباح كان جهاز السيكر يدق دقاته الاكية فى الممر خطيب
شرط، كن عن جريمة قتل فى أورجواي، قال الخبير إن الفاعل مجهول، رغم
أن جريمة تم فى وصح النهار وأمام المحكمة، لى تلك اللحظة قال صوت
خلفى : هد، لم بعد جرنالا أسبوع ولا روى تواليت بالدورة، سميت مقربين
من أجهزة، قلت : لدينا مصنع جاهز ضحكنا بصوت عالنا،

مصمم مقام الدجاجة، قال :

هنا بطر . صحتى مرموق ومرتب ضخم وجبهة معطاء .. ماذا

تريد ؟

- الحال من بعضه.. كيف أحوالكم هناك ؟

- قلت إنه عال، وأصحابك السوفيت شدوا حبلهم على الآخر

- أصحابى ؟

- لا تزعج يا سيدى، أصحابنا جميعا، على عينا وعلى رأينا

يعنى غنطنا فى البحارى، رأسك أبوسها

ضحك وأردف.

أنت مريض بالحساسية، أؤكد أن الحالة عال جينا

- هكذا قلت فى تلك الأيام..

لشعل ميجارته، قدد على الشيزلونج قال :

- لا تعبر الوصع حقاً.. لا يسكر الحقيقة إلا أعمى والشك مر

مدمر

ألوف الأرواح ليست لعبة.

مدح بصيق

- نعم، هي ليست كذلك، طارت نصف ذهني في نكتة، شبان كالورد لن يظل يهكي على ما حدث طول العمر. وسنحرب بيوتهم قريباً
ألا تحب الموت ؟

صمت طويلاً قال إنه يحال أحياناً ولكن الأمر يختلف.

تعرف. المسألة بسيطة. عندما تمر على حفل دوة كئيف في ليلة مظلمة فإن حميف السيم سوف يغيبك. ربما يكون هناك من يترصدك. وإذا قلت ستروح هدواً. إما إذا كانت معك بنقية على شجر بالخوف أبداً
هزأت رأسي وكان قد راح في صمت طويلاً. قلت إن عليّ أن أسأل محررين الجرائد عن عدد الجرائم المقيدة ضد مجهول. وحظر لي أن عددها بما لا يقاس. سأل :

- والأحوال عندك ؟

- لا شيء.. أصحابك يتلصصون عليّ.

قال باهتمام معاجي :

كيف ؟

سئل « هم هبده » بواب موافقاً. واختفى في الشهر الماضي بعض

الزملاء.

- ربما كانت مجرد إجراءات عادية. هل تفعل شيئاً.

- أصطاد اللهب وأحصى الجرائم المقيدة ضد مجهول.

- الحديقة واجبة.. هولك رجال غامضون.

- أين هم ؟

- لا تتعاقب.. ألفصد نساء غامضات أ.

جلست أمامي في الشرفة. بدأ ظلام النهر كغابة من الأذرة الكثيفة. بلا سابل كانت. ومن بعيد تتصاعد كحة «عم عبده» فتؤنس وحدتي، قالت.

- لا تهو هي أحسن أحوالك. ومطرتك لا تصبرني.

هررت رأسي. قلت إن الرصاص يطلق من الظلام. والفاعل مجهول. تصرخ الضحية. يصبح صوت من بعيد «جايك.. جايك يا واد» ولكن القاتل يهتم إلى الأبد. رتق شراك الطريق أفواهها الفاعرة كي تقتنص صاحب الصوت البعيد تحدثت عن مسرحية قالت إنها شاهدتها في التليفزيون فسألتها عن تفاصيل باهتمام مني. أحدثت تروى بيد أنني لم أسمع شيئاً تعلقت عباي بشئها. وأدهشني أنها تنفج بلا صوت. ابتسمت بهلاهة. قالت فجأة.

- أنت لا تسمعني.

- كنت أذكر في أنك لم تسألني عن «شريف».

ابتسمت وقالت :

- ربما سأسأل بعد لحظة.

قلت بيرة حاصة.

- ألا تريد اهتمامك به قريباً ؟

- يعني.. أحبه كل ما يتعلق بك.

- أحياناً أذكر في أنك قد تكون عرفتة يوماً ما

- لا .. لم يحدث.

- كان طالباً في الجامعة في بعض المنزه التي كنت طالبة بها

- لم أره

- وكانت به حبيبة مجهولة ، فهل هي أنت ؟

ضحكت ، قالت

شكركم تصحكني

- لماذا تحبطين نفسك بالعروض ؟

- أحطت اني مشاعري علا تكن طباعاً ،

عدت مضيقاً

- مع أناس مثلنا عين العروض بظرك ،

- لا أفهم .

- بعضهم يسأل عى وثقب ورائي

تحدث بعينيها ثابتتين فى مواجهتى ، فيهما حزن صامت متصل .

اعتذرت بكلمات سريعة ، جاءت كحبة «عم عبدة» من بعد قليل عرت

سقية صغيرة أمامنا مباشرة ، قال صوت داخلها

- السلام عليكم .

رددنا السلام فى عجب . قال :

«عطى سبجارة ، الله يكرمك

قدفت له ببقايا العلية ، أخذ يجذب بقوة حتى مضى . قالت :

- «سليم» سافر .

- نعم .. للبلد .. عبدة راحة ٧٢ ساعة .

- أكرموه هذه المرة .

- قام يهزول ، سأحتل به فى «موتر أمور» غداً ، أتأتين ؟

- عداً سوية أختى

مر عام بهذه السرعة .

تقريباً

قدمه . أدارت الراديو . تسلت موسيقى هادئة . بدأ الجو عكراً رغم

محاولات الإصحاحه شربت كثيراً دحنت طويلاً عادت بررب أحمر . طلقت

شعرها الطويل ، فنهقت بصوت عال . قلت ،

- أنت بخير ؟

- نعم ، ولكنى حزينة .

- حيراً

- أختى .. تعرف .. نذهب طويلاً ، كانت قد تزوجت حبيبها بعد قصة

غرام طويلة . تنقلت معه فى كل البلاد . كان تاجراً ورحالاً وقارساً . وسياً

أصغر الشعر أرق العينين . كان لها إبناً ولأولادها أنها ، حل رأيتهم . هذه

صورة لهم معى

أخرجت الصورة من حقيبتها . كانت لطيفين جميلين . تأملت طويتهما

البرنية فى عتدية

- جميلان . البت تشبهك كثيراً .

- أمهما ترأسى . الله يرحمها .. ماتت معنية . بعد سنوات ثملت

فيها باستعادة . لكن لا شيء يدوم . كله يتكشف عن مرار .

- تصور أنها بعد كل هذا الحيد .. اكتشفت أن زوجها قاتل معترف .

مهرب محدرات وقواد وقتل . جاء ليلة مذعوراً ملطخ الثياب بالدم .

تصاعدت صرخات النساء الجائزة فى منزل مجاور . دخل الحمام . خلع

ملابسه استحم . أشعل النيران فى الملابس . ارتدى أخرى نظيفة . تعطر

بالباسميد ضحك وقال ، لها قتلته . أنا أستاذ فى التصويب . طلقه واحدة

فى منتصف الطريق وينتهى كل شيء . ويستقر الدرة الباقى . وتحدد فى

القراش ، ودعاها إليه .

يا لها من مناجاة

ضحكت ضحكة طويلة عميقة

- صلحلة.. أليس كذلك ؟

- يمكن أن تحدث في فيلم من إخراج حسن الإمام؟

- أو تنشر في جريدة وحيدة فلا تؤثر عليك، بيد أنها حدثت.

تلوث شعناها أشمئززا وقرحا. قلت .

- وكيف واجهت الموقف ؟

راحت الحديث، كأنها لم تسمع شيئا

- كانت قليلة الكلام.. فقط امتلأ قلبها بالمحوب. أصبحت

مشاركته الفراش عبثا تقبلا. ألم تجرب مرة أن تشارك إنسانا تحتقره

الفراش. رائحة نتنة تثبت من عرقه. كالدم العقود. انعاسه يخراء كأنه

يأكل جبنة. يده التي تتحسس ظهرها مكبئية الملمس. قرائنها دموى لزج.

وفي عمق لحظات الحب كانت تصرخ مرتعبة وتقوم عارية من العراش تجري

في أنحاء الشقة. تحطمت أعصابها.

- هيه !

نقلوها إلى مصح للأعصاب. هناك قضت فترة وعندما تصورنا

أنها شقيت تماما أخرجناها. عاشت سنوات هزينة الأطوار. تسافر وحدها إلى

المصافي والمشاوي وأخيرا أُلقت بنفسها إلى عمق النهر من شرفة عوامة

كتلك.

ضحكت ضحكات طويلة طويلة. قلت :

- وكانت جميلة كزهرة شعرها أسود، وعيناها خضراوان.. رفيقة..

وفي الأيام. بهكت أسمى وناحت قائلة «يا طير مقصوص الريش. ومكسور

الجنح».

نقل رأسى نجاة. قلت إننى سأضيق هذه الجريمة إلى الإحصائية التي

سأقدمها لى محررنا الجنائي عن الجرائم المفيدة ضد مجهول. سألتها.

- قيدا الحادثتين ضد مجهول واحد

- الرجل لدى قتله زوجها. طبعا

سألت: نجاة

- ماذا كان اسمه ذلك «المأمور» انذى حدثني عنه؟

- آه.. حدثتك عن العديدين منهم.

لذى قتل «شريف عطية»؟

آه. عبد اللطيف «عبد اللطيف وحدي»

عبث نجاة طبهاك يا جرح ماتوا وأنت له حى». قالت

- هذه أضية «عم عبده» انفضله.. لم تسألنى عن اسم احتى

- ومدا بهم ؟

- يعنى أسما «رجاء».. أليس أسما جميلا ؟

٤

الكلمات

فى «دور أموره» حكى «سليم» طويلا عن «عزة الهرج». والحاج

والحاجة والشوارع والناس. استعنت بنصف أدن. رأسا كاسي :

- صحة العملية الناجحة التي قمت بها

صحتك.

صحتك. تسالط عن ذلك المجهول متى يأتي فيمن كل المعينات.

يستريح القلب الذى أختناه البحث عنه. فى الصباح قال محررنا الجنائي كل

الجرائم الكبرى مفيدة ضد مجهول. وفى توافه السرقات يضبط الجنائي

فقط. وتأمل هذا الرجل العائد من بطن الخطر يبدو مضرا كأن قصه لا

يجرى فى إثراء.

- لماذا لم تأت «رهى»؟

- اليوم سرية أختها

بمراح

البقية في حياته.

لم أرد - بعد لحظة قلب -

سألت كثيراً عن برنامج الاحتفال ودققت في التفاصيل حتى ظننت

أنها لا بد آتية

(وكانت حزية أنرج طلبت أن مشرب كأساً في صحة اختها... لأنها

كانت حاضرة منصرحة الريش، مكسورة الجراح)

- صحتها -

- وصحتها... واجهتها بشكوكك لعنه الله عليك فألتها أيها الوغد.

ومع هذا فقد قمت لك كل خير. وقالت لي أن أنصحك بالأ تعبر حقول النورة

بغير سلاح، وإذا مت فاحذر أن تقتل غيبة

- كلام طريف - تركت الفلسفة أثراً

- وأخال في البلد ؟

- عالة.. حدثت غارة قرب «دمياط» وقتل سبعة أو ثمانية

- وعشتا الحاج ؟

ضحك قال

الفلسفة ويا.. ينتشر إلى العزب والكنوز طلعت في دماغ عمك

الحاج اشترى يدقيه نصف عمر أحد يلعبها. قلب له ولكنها بدون

ترخيص. نادى الحاجة أمرها أن تدبج دجاجة استمر يلعب في البندقية ولا

كانى هنا.

جا، العشاء، صعد بعض الراقصين إلى البيت.

- قلت له ياها الحاج لا تعرض نفسك للمسئولية صاح آخر

أت لي أديع كالفرخة ستكون أول رصاصة من نصيب السائل من

الترخيص

تناول فخذ دجاجة وقال صاحكا

قلت في سرى إنه سيحرب يوشا كما فعل جدنا السابع عشر.

شربت بعض النبيذ قلت إنه أحمر كالدم وكانت أمسى غريبة.

صحكت كثيراً وشربت كثيراً تحدثت عن الحزن وسألت عن الكفارات ما

هي قلت إعطاهم مسكين وعتي ورتبه. ونقنت باسمي.

كانت أتذكر أول مرة ؟ كانت على هذا الفراش. ليلتها طرقت

شفتأي بنهدها. استقرنا فوق قمت. فقدنا رقتهم العبدية. كان أريد قد

تبل في محراب الإله ساعة. ساكنة كالصمت كان. هرة ألوجد فجأة مال

نشان كطعل أبهجه ظهور أسنانه. وصرخت صرخة خفيفة بين الألم ونسوة.

قالت ليلتها كنت طعل الصعير الشقي. لكن العذاب ترمد سمادتي..

إذا كانت أحتى قد انتحرت في نفس الليلة وربما في نفس اللحظة.

سرح بصري في شعر أسود طويل يتدلى من مقعد قريب. فارتعتي

بمسي أن أريت عليه. رفعت عيني. انقرمت في عيين تتهران في. لحظة

بها كل شيء. غريباً ومضحكاً عينا الزرقاران. شابه لنعني. زحف الصلع

قبلا إلى رأسه. لكنه هو هو نفسه. ضبطني عينا في حالة تلبس.

أعنيت رأسى بقوة العلاء ذلك الزمن. خمس سنوات طويلة. الشياط

والسباب والعمل الشاق والمسي والموت. هي هذا الرجل. قمت برغبة

حقيقية في المراجعة قدمت لسليم:

- العقيد «عيد اللطيف وجدي» النبيذ «سليم» أين عمي.

ضحك قائلا.

والعميد.. هذه زوجتي «رجاء». الأستاذ «طارق سعيد»

الصحفي المصروف. تمرأين له طيحا.

كانت هي نفسها. شعرها لأسود الطويل. عيناها المتضاربان. لم

يحتج وجهها بشيء. كأنها تدرت على الموقف طرأ أعرام. قال محدثاً

يها:

- الأستاذ «طارق» شاب وطني، لكنه مشاكس. شركنا بعض الوقت

في معتقل الواحات.

ها هو العذاب يُحتصر في كلمتين. أحت رأسها بجلال ظل

«سليم» ينظر إليها مذهولاً مبهوثاً. اسمر هو

- حينئذ جاداً كما توسى كتاباته.. تتنولا معاً كأساً.

جلست بدق غير راج. قال :

- هذه لرحمة سعيدة. أملت «رجاء» أن تتعشى هنا الليلة. ولولا هذا

ما رأيته.

- مرصه طيبة يا مدام.

- مرمى

تجرت في الصمت كلمات قالتها أمس وأختي. كان وسبما أصغر

الشعر أزرق العينين. «البيت تشبهك كثيراً ؟ أمه تراعى» «جاء

ليتها مدعوراً ملطخ الثياب بالدم» «ماذا كان اسمه ذلك المأمور ؟» عبد

اللطيف. عبد اللطيف وجدى. لم تسألني عن اسم أختي. اسمها «رجاء»

اليس اسماً جميلاً

عندما عدنا إلى مائدتنا قال «سليم» .

- غريبة هل كنت تتقم منه ؟

- رجا. ولكنها سألتني أمس عن الكمارات

وهما منصرفان حتى رأسه نحونا. بعد لحظات جاء التبادل. انحنى

قدم لي صينية أنيقة فقال :

- تركت لك السيدة هنا

«مناجيع العوامة. ودولاب الملابس»

٥

الضحكات

١

٥

كان الهواء حاصداً البحر بضرب اللسان بقموة أمواجه عالية. كأنني

من ظلام بعيد في عمق وادي التيه. في نهاية اللسان رأيته جالسا بقائه

القصور. يغنى.

«يا ليل . يا ليل . وأنا ما أعرفش أكذب

وانصفدة شايه المركب

وأبو فصاد. ريسها

والقط الأعمش حارسها

يا ليل ... يا ليل.. وأنا ما أعرفش أكذب».

صرحت يا «عم عبده». سينذرك الهوا. في البحر

سمر يضحك.. ويضحك. ويضحك

صرخت المرجة اللسان بقسوة فتفتت إلى رذاذ صغير قلت : «ارل يا

«عم عبده» ارل . ستقع.

فهبه ضاحكاً .

- أنت شاب خرج. رعبت نفسي في الرياح وقابلت وسعد يات

- لكن هذا ليس ربحاً.. إنه البحر

ضحك .. ضحك

- وماله. إنشا الله يكون المحيط قلت له شد حينك يا هانا قال

: شدوا حينكوا أنتو أنا خلاص.

- أنت عجوز مخرف

- وغرغت عياني بالدعوى. قال : خليك شديد يا عبده واتشكر

للقرشية كلهم. قل لهم واحد واحد سعد ممنون لكم كثير

هتز النسان. تصاعد صوت إيقاع خطوات. فتحت عيني. وجدت

شبحه القصور أمامي يسألني :

- هل ناديتني يا أستاذ ؟

وجدتني مائتاً على شيزاويج في شرفة العروامة

- أجلس يا «عم عبده»

صعد على حافة شرفة العروامة. جلس. قلت

- أحبك يا عم هبة .. أحبك ..

ورغم الظلام فقد لمعت في وجهه المعصوق عيار قويتان.

سنة ورد على

الضريح

و لمع لمعها وحده .. وكان في أصبح
تاريخها

دق جرس التليفون طويلا بدأ السكون في ضجة مفاجئة ارتفعت.
كنت سرحانا تماما استعنت بصري لدى كاي يشبك مع قصبي القنطرة في
عوار صامت وأزيز المروحة مرهق كأننا تدور في داخل رأسى قالت «سأ»
- لا بد أن أراك .. عتدي خبر سيء.

صوتها مقنط ومختنق .. وإنهالك اللينة الصابغة لم يفارق الجسد ..

- كنا معا أمس .. ولم تكن هناك برادو سود.

«هل هي حيلة أخرى لكى لجرلك إلى الفراش؟» أما نكتسي»

- عمالة هامة.

أعبر المشفى الموصل للياخزة .. استقياني الجرسى ببسمة عارقة.
والجياه ساكنة تحت شمس شتوية. رأيت ظهرها على قنطرة ضيق نهر الحمرة.
وعلى المنفذ كان الباطل الجلدى لأنيق. أمتص النهر بظرائها في استغراق
تأم.

دخلت بشراة وقلق، جاءت القهوة وعصير البرتقال كالعادة بد
الهالات القذمة تحت عيونها وأضحة وقشلت بشرتها السمراء في إحقاقها.
- ذهبت للطبيب، وقال اننى حامل في شهرين..

- هه !

ندت الصرخة منى بشكل معاجز. استندت أقرب الجو حولي. عدد
قليل متناثر في القذعة أعليه من العشاق مثلنا لم يتحضر صوته من حديثه
كلها

- كيف لم تدركي ذلك قبل الآن ؟

قرضت إبهامها دوى وعى :

ظننت الأمر تأخير عادي.

دارت رأسى دورة حادة جاء كأس البراندي سريعاً. لاهد من مواجهة
المفاجآت بطريقة تضمن ألا تفنك. وأى ليلة تلك التى صنعت هذه الاشكال
لمعقدة ؟ وكيف مشير الأمور ؟ كانت البداية ناس غير مقصود لى عمر
لمكتبة نظرت اليك لحظتها نظرة فيها عيث لائم واعتدوب. أحمرت
أديت وستطر الى الزعم بأنها وضعت وليداً ابن سبعة شهور. وهكذا
تزوج أوى معامراتك بمصيده من النوع الذى ينير لعاب صحافة الإثارة
والجنس.

قالت بفرحة :

أليس لديك حل ؟

بدت بغيبة جدا لو تثقب الياحرة الآن لفرقت وكان ذلك أفضل
الحلوى. لم تكن كذلك ليلة أمس. بالعكس كانت شهية ومنطلقة أقسمت
عليها أن ترقص فلم تقانع وكنت صابط إيقاع مبتدى. ولكنك انتشيت
انتشاءً طويلاً. ولستعت بكأس آخر مع استدارة العود، لمحت فنى
وصاة تشابت أصابعهم وتدنأت رأساهما وأحمرار ساحن في وجنتى العتاة
بعض ما يقولان

هل تنذرهما بالفصل الختامى للمهرلة التى يشتركون فيها ؟، سبهم
بالكارثة التى حلت بها وجهها أصغر الأسرار فأبن ذهبت حمرة حمرة
بالإلتهاام ؟ هل طالت الأتف قليلا وبررت عظام الوجنتين ؟ أم أن هذا كله
رعب غفلت أى شئ

- هر سين حقيقة.. لكن لا نخشى شيئاً.. سنجد حلاً

بقنبل من الارتياح الخائف .

صحيح ؟

رئتُ كنهها مطمئناً صبيت لها كأساً فتمصت قليلا ثم ازدردته
خبر حل محرى لكل شئ. سيدو الأمر أمامي بسيطاً الآن. وربما وجدنا
حلاً حقيقة وليس عسيرا أن يوجد نصت حول بيضع كلمات موازية
وصحكة اعتبار فيتمس كل شئ. بيد أن ملك أحلام المحصور بين فنى
الرحى وهناك احتمال يتصمم بأن تكون واحدة من الحيل النسائية اننى
يتحدثون عنها كل يوم، ولكن أستطيع حقا أن أثقل بذلك ابراعه ؟ لم
أنت نفسك ما كنت تتصور أنك تستطيع أن يؤلف كل هذا الكلام بدى
وكه لها في عشرات اللقاءات. والآن فلشرب في صفة عجرا عن فهم
شئ. سيضع أحاسا يده في يدك. يقول لك: زوجتك موكلتى البكر الرشيد
«سواء» عى سنة لله ورسوله. وعلى مذهب الامام أبى حنيفة النعمان
رضى الله عنه فيسود لكذب كل شئ. حتى الوثائق الشرعية. فلا هى بكر
ولا بهزنى. وعندها عرفتها كانت في حالة تحسدا عليها. لمعرفات.
وسنوج بعد ذلك زوجا لامرأة لم تثق يوم بأنك مجرد الرجل الثانى في
حياتها، رغم أنها أقسمت على ذلك بدموع صاحبة أكثر من مرة. قد أحلى
راسك بالقرون. وسؤل يقفر بين رشفة البراندي ورشال السجارة كيف
تضمن أن هذا الحبل من صنعك حقا ؟

- كل عقدة ولها حلال.

بيسة يائسة قالت :

- الإلهة

- بل وهذه على رأسها. صحتك.

وصحة الصلح والفرح الذي أدى بها إلى ما نحن فيه من بأس وشكوك. وكان الابداء بين روف الكتب والمراجع. رعت قمتها لتحضر لي كتابا طبية. وفي المشي الصبق مسست أعلى جسدها. واجهني بظرة تأدب عابثة. وتحدثنا عن الكتب كثيرا. كانت عيناها تترقان بشئ، احترت في تفسيره. وشاقى لسراها الداني. وأثارتني جسدها المتأرد. وكان الكحل في عينيها حالك السواد. لذلك بدأ بينهما شاحقا ومحددا. ولحدقتها البتار كعبون لظقة كانت عيونها. تفرست بهما بقاتي وأمامها سد الاستعارة ومساء صيفي صين برؤاد المكتبة يحيط. قالت:

- أنت مهندس؟.. غريبة

- ليس ضروريا أن يكون المهندس شديد الاناقة!

- عتدرب عيناها

- لا أقصد. ثم أن أنتك مربية. فنسك طالبا. إذ لا علاقة

بين الهندسة وما تستعيرة من كتب؟.

هذه كلمات داعية لزيد من الحديث. تعبت على حرصى. عطلت -

بقرار مبي - جهاز الحفر داخل عن العن:

- متبعثك لراجى فى القراءة يد على ذكاه ياملعوازيل «سنا».

بدلال:

- تعرف اسمي؟

- إمصاك مقروء.

ارتست عيناها. مال جفاتها لنصاء. خفت فتانها..

واكملت:

- ما تطلبه من كتب دى طابع خاص وطالوة قلّة ودائما بكود

ود زهمش:

ويبدو أن اهتمامها بمجاور شخصك إلى أشياء أخرى.. وادن قليلا

مهدر نحو إلى الصل.

- ماذا تصين؟!

- قالت ببساطة.

- هذه كتب لا يقرأها إلا المتطرفون.

بنفس البساطة

ليكن. اعترف أنى متطرف.

- اشتراكى يعنى؟

حتى الاشتراكى أصبح مدكم مشطفا. أنا شيوعى.

ثبتت عينيها في عيسى لحظه. لمحت فيها دهشة مزوجة ببعض

الارعاج وبدأ كأنها تريد أن تحتفظ في ذاكرتها بصورة كأن غريب ثم ثم

مثله من بل. قالت:

تعجبنى صراحتك. هذا ما حمته. ولكنى ظنت أن هذه الأمور

بعض أضرارا.

تنازلت الكتاب. ونعت على سد الاستعارة قلت

- ليس دائما.. وخاصة لمن كان مثلى غريق ولا خوف عليه من

البل.

أجبت على عينيها المستفهمتين قائلا.

- أعنى أثنى كنت في السجن حتى فترة قريبة. وغالب سأعود إليه.

ودعم سأعود إليه. ولكن هذه المرة متوجهاً بأكتيل من العار، وليس

كذلك كانت المرات السابقة. فأين ذهب الحماس الذى اشتعل له القلب. وأين

الرفاق؟ بل أين العصر الذى دفعه. وقيل أسابيح قال «جودت» أنه رسم

وطيفة عرّضت عليه أميرا:

- مات جنيد فقط. تصور أولاد الكلب. عبادة في الاسكندرية

- مانتا جنبه فقط تصور أولاد الكلب عبادة في الاسكندرية
وأخرى في القاهرة أغلقهما مقابل مانتى جنبه يا أخى هورء..

ما أصعب من بهيمة لنا كنية، وليس غريبا أن تلقيا في السجن من
جديد هو في قضية رشود - وأنت في قضية هتك عرض. ولكنها ليست
ناصرا لعلها تقودك الى الحكمة في قضية إثبات أبوة؟ وأمرحاه.
فلنشرّب في صحة عجريا عن فهم اى شئ هنا سقوط مشرف وتراجيدى
حقيقة وهو أمتع من السقوط السكشيرى بمراحل - ورواها فيما تعلم أخوة
ياكلون الحديد ومراكزهم حساسة وفي استطاعة اى منهم أن يعود بك إلى
المكان الذى قضيت فيه ربح عمرك لتقصى به ما بقى منه وهذا لباحرة
كانت مفتقى الحب أيام اليراة وفيها تاجبا دعت في عبيها، وأحسنت
بشوة حريفة، وأنا لأمس اناملها ومرة حركت ساقي فالتصت تحت المائدة
بساقيها فتحدثت كل حواسي بظرب غاصبة، أبعدت ساقي بسرعة
غشت ملائمتها سحابة صمت متجهمة. وبعد بأدل من شهر كانت تبيح لى
أدى أسرار جسدها، ولم ينته عجبك إلا بطرقان من الحمر. ولم تكن عندك
قد انتهكت بعد لذلك كنت مشوقا لقصة حب من العصر الرومانتيكى؟
وعنى قضى على حزام انعمة كظهرة تاريخية؟ منذ كثر لصوح المنازل،
وانشئت مصانع للماتج. ومرة سألتك
هل صحيح ما يقال عنكم؟

- وماذا يقال؟

ضحكت كذا نمر في شارع حلقى مظلم وقال،

- فيما يختص بالأخلاق.. لا تواحدنى

صعقت مني يدها.

- ليس في السجن ساء ولا خير ولا مخدرات. فلو كنا مهوى

الأشياء، فلماذا لا نحرص على ترقيه؟

أحطت كمنها بلراعى، ومع ضخمة خفيفة أكلت :

- مضى على تعارفا شهرين ولم أهلك بعد - وهى عفة لا يأخذ
بسه بها واحد من المتقولين عليها.

أغمضت عينيها قال حيزها :

- وهل منعك؟

آء... كنا نلعب بالنار - فمن الواعظ السخيف الذى قال أن معظم
النار من مستنصر الشر.. ليثا يصدق الحكيم التأهيه

..

- بيم تذكر.. أصدقنى القول

فلنمد من رحلتنا المرهقة، غريت الشمس وتناثر عدد جديد من
العشاق واحتب زجاجة البراندى مكانها بيتا.

- كنت أقول لنفسى أن حبك هو أحب شئ إلى.

- بدأت تُسكر كالعادة - أنت لا تتحمل الحمر..

- هذا صحيح. ولكن بعينيك سنكرت وليس بالبراندى

- تتكلم جدا؟

- لو حملنا تاكسى إلى حُشنا لتأكدت أنى لا أكذب.

قال لسانها الذى بدأ - هو الآخر - ينقل .

- شيطان

بدا الأمر كله بعد ذلك مهله تبعث على الصحك المروع. منظره

رايت تدفع الحساب للجوسون. تدب على نحش الباحرة فيعثر بك ربه

ببعت بعينيك الملهوفتين عن التاكسى. وهى تسير وراءك أسيرة رغبته

نفاغية، فلتعترف بلا مكابرة بأنك تقدمت في طريق القوامة شوطا يحسدك

عليه رواه الأوانل وقبيل معرب الشمس كما نلرم النفس.. فما أغرب ما

حملت الساعات القليلة التالية من تغيرات. وأول مرة أجبروك على أن تسير

عاريا جعلت حتى فتلك المحجل. رلى السجن رفض «جود» مرة أن يلبس
ببجاسته الجديدة لأنك لا تملك مثلها..

فكيف أصبحا هكذا؟.. و من استنول. فتحت حقيبتها لتخرج
مديلا وجدت بها كل معدات المضاجعة..

انتهيا من رحلة التوتر المشمود. وهما الجسد صاحب ولم يعد سوى
الفتور. لم تنصرف الآن لأحسث صنعا. رها هي المشكلة تظل براسها من
جديد وثمة سزال يعذبك. كيف طاعت قديمها وتبعك رغم ما كان؟.
لعله اليأس لذتل. وهذا الصوت الخافت لذي يتحلى الى ادبيك شبيها
لاشك. فما أسرع ما سسى يدعى يبدو الشيخ كموا. كلب جريح فى ليلة
صحراوية مظلمة والضوء الوحيد هو عود الثقاب الذى اشعلت به
سيجارتى:

- لماذا تبكين؟

لأرد. حين غمر الضوء الحجرة، عطلت جسدها وكان عاريا تثبت
بكفى واستمرت تيكى. ليس فى القلب شيء يقال. رها هى قصى كسيمة
اليال. تغسل وجهها وتقف أمام مرآتك الجديدة. تحشط شعرها بسرعة.
وبعيد حبط مكياجها. والغريب أنها لم بس معدات المضاجعة لابد من
قول أى كلام.

- لا محلى فها... ستصنع الأمر قبل أن يستعمل...

أشرفت بسمة أمل على ملامحها. جلست بجوارى على السرير.
وبدقة حثاى مفاجئه ربت على شعرى الموهتر. تناولت لسيجاره من
فمى.

- كنت واثقة أنك ستتحلى عنى..

أه. ها هى الأنشطة تلتص بك. ومطة بعد أخرى ستسحب الأرض
من تحت أقدامك وتتعلق بى الهواء. ولا مفر من التأجيل حتى ندير لأنفسنا
حلا.

- سأرتب أمورى... يومين على الأكثر وينتهى الأمر... تلتنى

بلائا..

هنا..

استعزتى ابتسامتها المستهتره بدعوة لم استطع التحكم فيها ملت.

- ها. لا. فى الباحة..

ثبتت عينها فى عيني مستعظمة فى عجب. قلت:

- قد يأتى أبى من أئيد غدا. أو بعد غد

هرت رأسها غير مصدئة مصب.

ما أمتع أن أجلس أمام أبى لأستشيرة عماده وقورة وغية أبيصت
من رامة الأرواد والتعاويد. لم يصدق أبدا «تاهمهم لك بأنه لا تؤمن بالله
وظل كلما وأرك فى السجن يسألك بسداحة إذا كنت تصلى أم لا؟ فكيف
توجهه بالقصة المحجلة؟ ومن يشير عليك فى مأرقك المنفون وفى المنهى
لمحدث الأصدقاء. عن أزمة الشرق الأوسط طويلا وأكثروا بحماس أن رقت
الوجه قد حان وتكرر الحديث عن الامبريالية الأمريكية ولكنك لم تسمع
التفاصيل. وشتوا صديقا أو صديقين من أصدقاء زمان. وتذكروا أكثر من
حادثة من حوادث السجن. وفهفها فى قلق وتساءلوا عما إذا كان ومن
السجون قد انتهى بالسبة لنا قاما أم عاذا؟ وأعلن واحد فى الجو حائق
ومشع بالطرية. وأنه يتحصر على هواة الصحراء الجبال الذى استشقاه
فى السجن. ضحك الأصدقاء. وقالوا أنه يوه أن يهرب من شى ما إلى
السجن. وألخوا عليه أن يتكلم هل تريد أن يهرب من زوجة. أم صديق؟.
لعله دأش سحيق؟ صديقة أم عشيق؟ أم لعل أبهم الفتوة ذهبت إلى غير
عود. ولم بعد هناك مقر من التعلل بالسجن للهروب من لواجبات
الزوجية؟ تأخذ الأصوات. ما رأيك يا «صعد»؟

فلنمتق من رحلتنا المرحقة ولنشارك في هذا كل يوم. هل تجد الشجاعة لكي تحدثهم بما يراجهبك من مشاكل أصدقاء أعزاء حقاً. واجهنا الخطر سوياً مرات. هذه الوجوه التي غيبتها الزمن قضيت بعض السوالف. وانتشرت التبعاعيد تحت العيون. وما يحلو جسد منها من مرض أو أمراض. وكله قاموس معروف. رومانيزم. أمما. متهنة. حصي لا حصر لها في الكلبي والمثانة. وبعض الرصاصات. حتى «جودت» أقرب اساس وأعراف. ترك السرط أندرد على ظهره ألا تبدو إثارة موصوعك وسط أحاديثهم مكتة! كلامهم هنر حقيقة. ولكنه غير هابط كهذوك. وما تحض جلسة إلا وتذكروا موقف من مراقبك القديمة. يبدأ الحديث بذكرى فككة. وينتهي بموقف تراجيدى عميق. وها هم يحرصون في الحديث المعاد - «سعد» طول عمره جاد. ولكنه الليلة مريض بدوستريا في الغالب.

«مريض حقاً. ولكن ما هو المرض بالضبط.؟»

- «أفترح أن تشترى له رجاغة بيعة على حسابنا

جابت الزجاغة. قال دم.

- هذه دعاية سيئة لنا في هذا المفه.

أكل واحد من لمة. وهو يأكل:

- أغيب. لناس يتصورون أنه لا يفيق من الخمر. في حين أن معانات

جميعاً متهنة.

- أصبح الماء يتعبني أوصاني الطبيب أخيراً بأن أدننه. وقد لاحظت

أباء من سري. ولكن لا فائدة.

«آء». وستوجه في شهر العسل بزوجه حامل جبل الزواج. تنقياً

لحظ. وتجميل حياتك إلى امرأة دافئة»

- أصبحنا كالمسلمين الذين يبحثون في دوائرهم القديمة. أليس

الأفضل أن ينسى أهراماً - كالمراعاة ليتفرج عنها السب

- ١٩٨ -

لعل المائدة صمت.. تحدث أكثر من لسان.. هذا كلام له معان متعددة

يا سيد «سعد» والقلب أن معدة حضرتك لم تعد تتحصل البيرة لذلك سرعدن ماتلظم وتعتكن علينا كلما شربت كوباً المطلوب من حضرتك أن تجيب على السؤال التالي: هل ما قلته سياسة أم شعرة؟ اقترح آخر أن يبحث عن وسيلة لتجديد أنفسنا. طوبى بأن يحدد اقتراحه. قال: يذهب للبيعة. تحس أكثر من لسان للاقتراح في صيغة هائلة. هذا اقتراحات. يا زميل. مضى رمي ولم نلتق بالكثيرين وهذه فرصة لكي نلتاقم في السجن مرة ثانية. لا داعي لإفلاق رجال الأمل. يذهب جميعاً في أتوبيس ويعود به إلى المعتقل فوراً كما حدث في عدوان ١٩٥٦. ليست البيرة هي انقاسد ولكن المزة كذلك. عندي اقتراح آخر. متطوع في الجيش الشعبي. ياله من مشروع عظيم. ولكنه قد يعطك عن الإنتاج كما تقول الصحب إسام ماداً. اغتصابات المصلحة والثروة المعبية. وأيضاً مشروعاً الإنتاج العظيم. الذي هو: إنتاج الأبطال. شرعياً؟ شرعياً أو غير شرعياً هذه مسألة شكية. أنتم لا تقرأون الصحف. إخصي على كلامك الفاسد. أنا أقرأ صحة انوفيات. وأنا أقرأ صحة الفن. وأنا أقرأ برنامج التلفزيون بصحي خير سيكولوجي بقراءة أخبار الجرائم لإراحة أعصابي. وماذا كانت النتيجة؟ شؤم كوجهه. وكيف كان ذلك. الهند الثابت في صحة الجريمة هو صور النشبات اللواتي تختفي. وكلهن صغيرات وحبيبات. أصبحت «حشى على امتى من الخروج إلى الطريق وحدها. والنوادة» أصبحت أكثر استروعات الرأسالية ربما في مجتمعنا الناس المتحرر حيناً هل يمكن اعتبار «الدعارة» عملاً له فائض قيمة؟ مسألة تحتاج لدورة. لكن من المستبعد من هذا البانصر؟ أسوأ شئ حقاً هو أبواب المشكلات العاطفية. فكلكم وحى خيال مريض. خيالك هو المريض. نحن لا نفهم في الحب فلا داعي للكلام فيه. أحييت ثلاث مرات. وكل مرة أخرج من السجن فأجد حبيبتى امرأة وقور. سمينة. ولديها طفلان على الأقل. وحامل في الثالث. وعادة ما تدبني مرة وحيدة لتطالبنى برسائلها وصورها إذا بعد عث شبح

لسجن فقد أفكر في الحب. يا راجل يا عجوز مثاهيرك قد الكوذ عسى
 .. عاما فقط... ولكنك مصاب بدسنة أمراض وشعرك يتحدى اعنى صبغة
 في العالم. الغريب في أبواب المشاكل العاطفية هو العلاقات الشدة بين الأم
 وابنتها ولأب وابنته والأخ والأخت. يا ساتر... هل ينشرون مثل هذا الكلام
 حقاً؟ وأسوأ منه نحن دعاة حرية المرأة حقاً ولكنى ألعن اليوم الذي رزقت
 فيه بنشد العلاقات الأوديبية ظاهرة عالمية جديدة بهت عليك الحبيب
 السيكولوجي الحضرة الرأسالية تهاور وتحتل حلقيا وهذه ظاهرة
 متوقعة وما موقعا من هذا العالم الأوديبى؟ لم يعد لنا موقف من شيء
 ولا فصل أن نكف عن الاهتمام بأي شيء. أفترح أن نطالب بقوة حادة لهذا
 الجرائم: الرجم أو الصوب بالسياط مثلا اقتراح رجعى ولا يعالين
 شيئا. السياط عقوبة عادية ومؤذية. ولكنها لم تزديب «سعد» مرة كلفية
 اللجبة المركزية أن يهتف بسقوط الديكتاتورية العسكرية في وجه نائب
 المعتقل فعلها وحللت مائة جلدة شرحوا جسدي الله يلعتهم. ومع ذلك لم
 تتأذّب كانت أبام. الدكتور «جودت» كاذ يقن وهو يشارك مع الشاويش
 «عبد سليمان» «دكرياتك مرعية» «عبد سليمان» كان مصابا بالساذن
 الحقيقة أنا نحن المصابين بالساذن لماذا تذكر أمجادنا؟ ألكى نتمتع
 بها الآن. البطولة موقف مطلق القيمة، لا نغير الأيام من قيمته. هذا مجرم
 كلام تعزى به أنفسنا فرحم الله أيام رمن قلوبا كانت عليه ونمرسا تقيف
 بأعيسى على الوعظ الخائب. ولكنه كلام حقيقي كنا نمر بمحنة البكارة. ومن
 انذى اقتض بكارنك؟ أنا لا أقول. ولكن «البيرة» التي تشربها هي التي
 تهزل. أؤكد لكم أن العالم فقد بكارته. انتشرت موانع الحمل... وكثر
 الأطفال غير الشرعيين. هذا فضلا عن تعدد الأزواج. هذه انكاسة إلى
 المجتمع المشاعى. هناك ألف جمعية لرعاية الأطفال غير الشرعيين حسب
 آخر إحصاء. ظاهرة مخجلة المنجل حقاً هو ما نقوله. هبط مسرى الجلدة
 كما هبط صمط دمي مرة قلت لرئيس المجلس العسكري الذى يعاكمني
 يحكم بقانون هبط ومرور محكم على خمسة سوات أشغال شاقة

وجوه أدلة. كفوا عن ذكر معاسن موتاكم. أكره التاريخ الفرعوس جنة
 الفرعاء غالبا تتباهى بشعر بنت أختها. سأفتح محل بقالة ولن استخدم فيه
 الدفاتر. العمل التقدمي الوحيد الذى سمح لنا به حكومتنا المعبدة
 للاسبرالية هو أن نريد إنتاج الأطفال في بلادنا. شرعيين أم غير شرعيين؟
 ليس هذا مهما فكله زيادة للاحتياج.

جريت أن أقول الكلمة. وكنت جلعا شأن القاتل غير المدرب جاءت
 في موعدها وبقة فتنتها لن تحدك هذه البراة الظاهرة في عينها
 والمالب أنها فسرت كلامي في المرة السابقة آلاف التفسيرات التي يوحى
 بها خيال مأرور يبعث عن خلاص. لا بد أن نسحب يهدوء ودون إزاحة دم
 ولكن كيف؟ وهل افترق العاشقون اللذان كانا ها قبل أيام أم مارالا
 يارسن حبهما. شربت عصير البرتقال وشربت قهوتي. ولم يعد هناك مهر
 من الكلام.. وها هي تدعك للحديث. على حد هذه السكين سيدع حينا
 - لا أستطيع أن أتاخر.. عاد «فؤاد» من السفر أمس.

«ها هي تذكر اسم الأخ الخطير.. فهل هو تهديد حقى؟»

«حمداً لله على سلامته

بسة غامضة.

«تساجر ممي وأنا خارجة... ثم تعجبه الجوزلة ضيقه وقصيرة

وأجبرني على استبدالها.

«عنده حق.

أحدث لنفسها سيجارة. وأخرجت ولاعتها من الحقيبة. بشكل تلقائي
 سئل بصري داخلها:

- يكون الحق عنده لو كان زوجي.

دخلنا في المنعطفات الخطرة. الصمت كالكذب مبهمة ولا طالع. بدأ على وجهها سهوم متعمد.

- يعترض على جريئة.. فمادا لو عرف بالياقي.

«بدأ الضغط على الجرح، فليخرج - إذن - صديقه».

- لن يعرف.

- هل فكرت في الأمر

بدفعة .. وقبل أن أتردد:

- نعم سنبعث عن طبيب. ومن السهل أن نتخلص من الجبين

«لا مفر قيلت الكلمة وانتهى الأمر. ونصف الآن إلى مهاراة المتعددة مهارة انتل بأكثر الطرق بدائية. وه هو الشحوب يتلج ملامحها ثم يتحول إلى احتشاق تنفر معه العروق.. ولا بديل لصعها سوى أن أتكلم»:

- اعلم انها عملية خطيرة. ولكني أنق في شجاعتك

«أنت معجب بنفسك حق. ولعلها تثق بنفس الدرجة أنك جبان»

- كنت أرد أن ينتهي الأمر بطريقة أفضل. ولكن يبدو أن الظروف. وسوف نتزوج طبعاً وبكى في ظروف أهدأ

ونمت قبةاً.. قالت بكيري.

- أن لي أن أعود أستطيع أن أدير أموري بمعي.

ضاعت عنها محاولات استعادتها. أغلقت التليفون في وجهها. كلما اتصلت فأصبح الرنين المتواصل هو الرد على أي محاولة لاستعادتها. ومع هذا أصبح شغلك شاغل أن تجد لها. والعريب أنك لم تكن تدرك

بالصيط لماذا؟. وهان للحظة كل شيء. مقابل أن تراها حتى لو كان هذا شيء. أن تتزوجها. ولكن صوتك كان كنيلاً يقطع الاتصال ليرد عليك الرنين المتصل. ومرة واجهت أذنك صوتاً خشنا يرد عليك في جفاء. فوضعت الساعة في رعب. وفي عملها قالوا إنها في إجازة ولا يعرفون متى تعود. وتأمر الصمت والوحدة عليك. أما رغبتك فيها فقد عاشت مرة أو مرتين وأثناء بحثك عن قميص تلبسه. وجدت أحد حمالات صدرها وسط الملابس. وما هو القميص على جسدك يدركك بها. وكان إصرارها على أن ترد هدايت بأخرى مساوية لها في القيمة مشار مناقشات لا تنتهي بيسكما. وقالت:

- أنا لا أبيع بمعي بك.. وأيضاً لا أشتري بك..

بدت المسألة معادلة رياضية صحيحة ألهم جداً. وحاولت أن تشيها عن فهماء. ولكنها أصرت بعناد صخري. وما كان أحلاها معانده. كم كانت ظفرتها تثيرك. وفي المرات الأولى بدت ساذجة. كأنها لم تعرف الرجل قبلك. ولرات قليلة مارست لذة أن يسلم إنسان نفسه لك لكي تكشف له اسراراً تتوهم أنه يحفلها بعد أنك استوعبت حقيقة بعد ذلك ببطء. فأسلمت نفسك لها تقودك بخبرتها التي لا تعد. وفي كل مرة كب نفع عيبك دهشاً لما كانت تفعله أو تقول. وتقدر ما كانت متعة. كانت معتبة. ظل الشك فيها يروادك عشرات المرات كل لحظة. أين تعلمت كل هذا؟ وكيف يمكن لرجل واحد. في لقاء واحد. أن يترك كل هذه البصمات على جسدها وروحها.

- ألف لعنة عليك يا سيد «جروت» أين احتجيت؟

انحن سميناً ومذكوراً:

- عبادة اسكندرية دجاجة تبيض ذهباً. والظاهر أنني سأعيش هناك

طويلاً

- ظننتهم اعتقلوك ١١

تفخ دخان الهيب في الهواء وقال .

فعلوا ذلك بما فيه الكفاية . بلعنا من اليأس .

وأجل وأصبحنا أبا لأرلا سباح .

وأية ذلك سمعتك التي لا مزيد بعدها أين رشاقة زمان

- أنت تنظر دائما للوراء . ولذلك أرجو أن تصاب بمعص كلوى .

كذلك الذي أصيبت به «مدموازيل سونيا» .

ومن «مدم سونيا» هذه ؟

- زبونة إغنا . جنان رسمي : مال وجمال وشباب ومعص كلوى . ثم

هي مدموازيل وليست مدام .

- نشرب كورقوازييه لنستطيع أن نعهم الموصوع ؟؟

عبرت الطول من عمري . رغم أن ظنك يجعل طابع استعلاها

وأضحى

جاء الكورقوازييه . هذه الجيبها الس حُيَّت من الكتوس .

على أننا قد انتهينا حقيقة . وانشكك أنه هو نفس الرجل الذي قاد أقدام

إني طريق الشواطئ العليا . لتقيا آلاف لمات ويرقت العين بالحصن

وكان صلب دوا . فمن الذي ضهرنا فحوك إلى كائنات بروتوبلازما

سانته وفي أي رواية قرأت أن الخمر مفتاح الفرج .

- صحة «سونيا هانم» .

- صحة المال والشباب والجمال والمعص الكلوى .

«صحة اليأس وعذريتها التي انتهكها الزمن . ما أسرع ما يسكر

الأحر . هذا الصمت المحيط بما يدعو بكشف النفس . وخارجنا بارد وليح

كذلك الداخل . فهو يعني . ولا بد من فرجه يمتد منها اليحار سرى الح

من الأطراف إلى مراكز الرعى . ولر لم يحدث هنا المرقف لظروف

لاستدعيته وعاود ديان الحب معا . أد ما كان أمتع لياليا

- لم أعد أجد وقتا للمتعة . ثلاثة أيام في الإسكندرية . وثلاثة أيام

في القاهرة . . . حتى السبعا لا أراها .

- حظك حسن . . السبعا روثية . رأيت أخيرا قبلما تأخها جدا

«امرأة من إياهن تحوم حولنا . أخيرا أصبحت معط أنظار السافطات .

حجبا للبكاء وللدموع» .

- نعم . حياتنا في الواقع تفاعد مركزة . ولكن هل تصدق أن تحمل

فتاة من شاب ويغترق . وتجنب منه ابنة . وتدور الأيام ويلتقي الرجل بإبنته

وهي شابة جميلة . فيحبها وتحميه . ويهم بها ويهم به لولا أن يأتيهما برهان

ربك متمثلا في آذان البحر المعاجز ؟

- حيايل مريض . والواقع أن الدنيا قد تغيرت . سأقول لك سرا . نقدم

لعبادتي في العام الأخير أكثر من عشرين «أنسة» تظنن إجراء عملات

إجهاض .

«كيف يدفع الحديث . ومن لدى يتحكم فيه ؟ وهل تنقل الأفكار

حقا كما رعم بعض أفعسا» .

وماذا فعلت ؟

- في البداية رفضت . .

- أتعنى ؟

أردف دون توقف :

ألقيت عليهن درسا قاسيا عن شرف المهنة . صحتك . انكورقوازييه

جميل ولكن عيسى «سونيا» . أجل . لو ريتهم . هما اللتان أجبرتني على

إجهاضها . . أقصد على إجراج لخصوة من الكلوى . والثمن بسيط . . علاقة

حب مستمرة ومستمرة ووعد بأن استخدم مهارتي فأعيدها عذراء بيلة

الرفاق .

«فلمنر الدنيا ألف دورة - هذه الخوارق المذهلة كيف تحدث ؟ تقترب

الرمال المتحركة من كل الأقدام والنوامة تبتلع الجميع وحنا بعد الآخر . فوا

حسرتنا على أيامنا التي لن تعود . سيشتت الأعداء . ولكن أليس من العدل

أن مال نصيبنا من الدنيا، تعلبنا كثيرا وأن أن نستريح. هذه الأفكار الخبيثة متى تسلمت إلى القلب؟ والمدهل حقا أن راحة شعيتك من قمة رأسك إلى إخمص قدميك. وما هو يبدو الآن قريبا منك جدا كما لم يكن في يوم من الأيام. حتى أيام الحماس المشتعل ولنشوات العليا وحتى يوم وقف بمحارك في قصص الاتهام بتحدث بشجاعة تهر القلب وتقوى أكثر الرجال صفاء. فيعمل كل المسؤولية عن الأوراق التي ضبطت في شقتكما المشتركة.

صباح نفسه كأنها أخرى. وقال :

- وأصبح على أن أسأجرتهم شقة خاصة.. والمشكلة أنها في كل فترة يجيئني بصديقة مصابة بحصرة في الكلى - نمشرب أمراض الخصوة في البلاد.. صحتك .

ضحكت وأنا أقول

- يبدو أن الطبقة الجديدة تنزل لنا عن بعض امتيازاتها، مقابل مهادنتنا لها

إلتهم خياوة مدمجة .

سرعان ما يحرك السياسة. ملعون أبو الذي احمرعها ثم أن النساء لن امتيازات.

- أقتر بندمي لأتس لم أدخل كليه لطب.

- لا يحرك الخيال جيدا.. واخقيقه أنس في سن لا تسمح لي بأن أرمى أكثر من امرأة، فوق التصاب الشرعى ولهذا لم يعد هناك مفر من استبدال المفائل العتيق بمقابل تقدي.

ومن الذي يفسر هذه البدهيات الحيرة. وتظن نفسك قد سقطت عمادا تقول في هذا السقوط العظيم إدركنا يا مولانا «الشيخ كورقوازييه» يا قطب الرجال. ونائع موصد الأبواب، انتشرت عفوتنا في كل مكان، فوا حشرناه على أيام اليكارة

- ولكنك لن تأخذ مقابلا تقديا من صديق عزيز مثل سعد،

ضحك بعريدة لغت إلينا الأنظار. قال :

هل لديك معص كلوى أنت الآخر؟... ولكنك لست هاتنا .

جأرتة في الضحك :

- بالطبع لست أنا، ولكنها «سأ». صديقتي

أكمل كأنه الأخير وضعه على المائدة قاف

- هذه حكاية تدعوني لاستصافتك لشرب زجاجة أخرى في صحة

الأسنة «سأ».

استقبلتني في صالون العيادة. قال

- احضرن. تم كل شيء على ما يرام . سحتاج راحة في تريد عن يومين تنهدت أتراح الكابوس ستعود إلى أهدنا في الموعد الذي حددته لانه. رحله الإسكندرية.

أنهل سبجارة وقال

- حرمت نفسك من لأهوه . (ثم بضحك شاحبه) ومن يفدى لعله لو ظل حيا لأصبح ثوريا عظيما كأبيه. والحقيقة أن الأولاد كائنات مرعجة ومن ضبطت أهن يتحدث عن مظاهرات الطلاب بحماس مريب.

وهل تعود أيام انتع حقا؟ وكيف أمكن بهذه البساطة حل المعصلة التي هيرتك. والعجيب في أنها اننى استأنفت الانتصاب بك بعد انقطعية. وحين عرست عليها الحل لم قانع. وعند اللقاء ابتسمت ابتسامة ذكرتك بلباليها اناصيات. فكيف يقرودا البأس دون إرادة صا؟ وإلى أين؟ وهذا الحديث المتصل عن ابنه. ليس مهما الآن. ألا يدعوني لرؤيتها ؟

- أنت مدين لي بخمسين جيبها. كن حذرا في المرات القادمة مل

في منذ متى وأنت تعرفها ؟

- أقل من العام.

صمت لحظة. ثم قال :

- ليست هذه أول مرة أرى فيها صديقك. سبق أن أجريت لها عملية إجهاض، وأعدت لها عذريتها. والحقيقة أنها لم تكن تحمل الإسم الذى تحمله الآن. فهل ليسها «سنا» حقاً ؟
- ماذا تقول ؟؟

«صراخ، صراخ، صراخ».

- اهدأ قليلاً. رجيتى «سنا» ألا أخطرك. وهى لا تعلم بالعلاقة بيننا. لكنى أفضل أن تعرف، لكى لا تتشدد فى لوم نفسك. فلا تجعلنى أدم لأننى راعيت صداقتنا

...

«إسكندرية انشأ متعة ولكن السير الطويل فوق الارتفاعات أهكنا.. ففى وكيف ينتهى. كنا نحمل القرون طوال الوقت، لكن الآن قد آن لنسب الضعب كله.. لديك بركة العبادة هاربا. وفشل «جروت» فى إعادتك. أنت فى حاجة حقاً لسكين تشر بها خلايا أسرطن، التى انتشرت فى جسدك. ولكن ما حدث دوماً بها. فهل كانت تأتىك رغبة فىك أم لأن قرائشها كان يعلو أحياناً من ضجيج؟ والدواء الحقيقى للألم أن نبتل مصدره.. كم مضى علينا فى هذا السير المرهق ؟.. لم طاعت نفسك ليصقت على وجوه النساء اللواتى مورن بك.. بيد أن فكرة اندست فى تلاعب العقل فجأة. لماذا غضيب هكذا؟ لماذا تلومها وحدها؟ وكل شيء أصبح تاريخاً. وهى جميلة وفى النفس رغبة لجها. فلماذا نكبتها؟ هل جلدنا مواعداً من كل شيء ولم يبق سواها. متى تنتهى بلاهتها؟

واجهتُ محلاً للزهور دعنتى البائسة ببسمة تجارية. خرجت حاملاً باقة من الورد. عدت إدراجى إلى العبادة

(١٩٩١)

نصف كروب حسن وهووع الصميص

« .. أظفيرة الذيل أنت يا حبيبى .. »
أرى إذن ذلك الذيل الطاهر ؟ ..

١

بعت اسمها وحكمت مسعود الصعدي،

عندما فتحت عيسى فى الصباح، قررت أن أقول لصديقى «حسن» رأى الحقيقى فى سلوكه، بيد أسى عدلت عن قرارى تحت الدش. رأيت من الأفضل أن يكبح الإنسان جماحه المتطرفة. وأنا لشرب كروب اللب، انتهيت إلى تشخيص عيى لحالة «حكمت مسعود الصعدي». قررت أن أكتبه وأصه إلى ملفه بمجرد وصولى إلى المستشفى وأنتهيت فى تلك اللحظة إلى الاقتناع بأن رجلاً مثل «غونار يارنغ»، هو شخص سعيد بلاشك، لأنه يتجول فى العالم، راداً فإنه لا يعرف الملل. وأنا أخلق ذقتى فكرت فى أن جارنى تتبع المذهب الحنفى، بدليل أنها استعصت لتزبل جنابها فى الصباح وليس فى القصر. وقلت، ربما كانت مالكية أيضاً. أهل أنهم أيضاً يبيعون هذا قطع وصول «حسين» المناقشة بينى وبين نفسى اضطرت للاهتمام فى وجهه. تركت يدي التى امتدت للبحث عن كتاب

«الفقه على المذاهب الأربعة» معلقة في الهواء. قلت: في الظهر سأبحث في الكتاب عن رأى المسألة في إزالة الجنابة. تاهت كلمات الترحيب على لساني، ذلك أن الشيخ «رمعت» كان يترجع في الثالث الأخير من رأسى ويرى «أبنا تكبروا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة». فتفتت «اللهم» أحسستم يا مولانا. قد «حسين» أن زوجته سبقتنا إلى السيارة. وأن علياً أن يلحق بها فوراً تصاعد نغير السيارة واشيا بضيق صدر متعجرف. وقلت أن صدرها صغير كالنبته.

استقبلتني بابتسامة تليفزيونية مدربة. فقلت أن ابتسامتها تتناسب مع شعرها المستعار. كانت «هلرند» في ذلك الصباح الشتوى، وهذا يعنى أنك في يوم «الإثنين». وشت البلورة النابلون بها. فقالت أن الكومبين الذى تلبسه أسود أصبحت أعرف الأيام بلون شعرها فهي شقراء في يومى السبت والإثنين. وسراء في يومى الأحد والثلاثاء. أما بقية أيام الأسبوع، فحسرها كستنائى غالباً. كنت أفكر في أن احتمال رأس السنة هذا العام، ينهى أن يكون مهولاً كما يجب لسنة تودع عقد. كملاً من القرن. لذلك يجب أن تكون كرنفالاً هائلاً، ولما لا تكون جعله تذكيراً. ففكر في القناع الذى تلبسه. أمامك بضعة أيام. لم نتحدث إلا بعد أن قدنا بها أمام مبنى التليفزيون. تنصت لحظتها براحة. فتحت صدرى. شممت نسمات النهار الندية.

انتقلت إلى المقعد الأمامى بجوارى. اهتزت عروسة قوقارية معلقة عن دجاج السيارة أماماً. ملابسها زاهية الاحضرار. ملامحها دقيقة وعيناها جميلتان داعبت وجنتيها ضحككت. قلت: لو كانت امرأة حقا لتدللت بها حبا. خيل إلى أنها تنضم لى فكوت في أن الحكيمه التي تعمل معنا في القسم تبدو مستجيبة. ولكن لأنها تحمل الاسم نفسه الذي يحمل زوجة صديقى. فأنتى أتودد كثيراً في مغارلتها. وأمس انحنيت «ضحى» - وهذا هو اسم زوجة «حسين» أبصا - تعرض على أوراقا، عجائبا

ساعداً، سرى إلى عيبرها داعياً وجاداً. وللحظة كدت أحضن خصرها إلى. ولكن اسمها - «ضحى» - طفا فجأة على سطح الوعي. باخت رعيتى أبطأت السيارة وهي تدخل زحام مينار التحرير. تحدث «حسين» عن يرباع زوجته. قال أنها ستسجل حلقة جديدة سه اليوم. أردف: من الصعب أن تكون زوجاً لامرأة في شهرة «ضحى» أنت غير مشهور.

ضحكت دون أن أنتج شعتى. غمرت للعروس انقوازيه. نظرت إلى بديين صاحكتين. قلت:

ولكنك تاجر ناجح ومعروف في السوق.

قال بلهجة معابدة:

- بشيرون إليها دائماً كلما شوهنا معا. وفي الأسبوع الماضى عرض عليها مخرج سينمائى أن تعمل معه.

أوقفنا إشارة مرور. قدف ليانع بصحف الصباح. ألقى نظرة سريعة على الماشيت الرئيسى للجريدة. قال:

- متصيح لسويس أكوام حجارة، بعد قليل.

«سبحت بقوة. كان البحر هادئاً. عدت مبلاً الى «لكابانوى». طليت رجاجة كوكا كولا شربتها وألقيت بها فارعة على الأرض».

أردف:

- حسارة

لهجته بحاسية. شارع القصر العيسى هادئ. أما الفيلا فإن «جبل عتاقة» كان يحتضنها. قلت أما لا نتكلم نفس اللغة. فمن يترجم.

- أظن أنهم عوضوك بما فيه الكفاية.

قال ساخراً:

- ملائيم وشرقك وفي التجارة ليس المهم رأس المال، ولكن : السرق والإسهم التجاري وحجم التعامل.

ها هي النهرم تغلي برأسها من جديد، وأحياناً يبدو كأن الدنيا قد حُلقب منه مسحا يدعو للاشمئزاز وأين ذهبت فكرة الصباح قبل اندش، لولا صداقة الطموحة والصبا لعانيها كثيراً من سعادة ما يقرئ. وربما وضع سيارته تحت تصرفها وتعرض لخطر حقيقي.

قلت .

- ولكن الوطن في خطر، وكل شيء يهون .

ضحك مذهقها . قال :

- لن أكرر حلقى الدائم معك . عيبك أنك تصدق كلام الجرائد وأنا المحدث أي إن كل من الذين يكتبون في الصحافة، أن يصحى حتى بمجرد موعد مع موسى بلدية من أجل الوطن الذي يكتبون عنه بدلاً ونهاراً تصاعد إحتجاجي صاع في موجة ضحك صاحبه أنهى به كلامه.

قلت معاتياً

- كثيرون ضحوا، وكثيرون سيضحون، والحقيقة أنك لم تهتم أبداً بأشياء من هذه.

فجح ضائعا . قال

- ماذا أخذت من الحرب؟ دمر فرع السويس وفرع بور صعيد وحسرت الرهائن والاسم التجاري نظير ملائيم.

ثم أعن بالرد عليه، قلت أن شيئاً ما يجذبني إليه، فما هو؟ فكرت في أن أبحث ذلك مع خطيبتي «كوثر» في المساء . ولكني لم أقرر ذلك نهائياً، إذ لا بد أن سؤالا أو أكثر سيقتزان لي ذهنها، يرى هل فكرت يوماً أن تلتقي بيت مثلها؟ وهي أي منطقة بالنصيط من كيانها المتعرج بالحياة تكمن قوتها وجاهديتها؟ في الابتسام؟ أم في وثرة العين لعلها في الشمس الرقيق. قال :

- هل زعلت؟ حلقك على . أعلم أنك صحت بالكثير، ولكن لعلك تواقى على أن خسارة مجهود العمر شيء مزعج.

وأفنته. أردت أن اتخلص من إلحاحه، أعود لاستيطان فكرة ما كانت تشعني، صمت طويلاً، سألتني فجأة عن «كوثر». قلت

- ليست على ما يرام . تشاجرت أمس شجاراً مفرعاً

استمع لي التفاصيل بأنباء . توقفت العروسة القرقازية عن الإهترار، وأنا أروي تذكرت أنها قالت أشياء سيئة. حذفها من القصة. ضحك.

- لنساء مشاكل معقدة، «كوثر» لا تشرق كثيراً عن روجتي. وهما ابتسا حالة، وأرى أنكما في حاجة إلى تغيير الجو

يمس؟

- أظن أنكما تشكوان الملل . إسمع . لماذا لا تسافرا؟

- إلى أين؟

- إلى أي مكان . أو حتى لا تسافرا، ولكن لا بد أن توهم «كوثر» بذلك.

لا أفهم..

انتهاز فرصة الإشارة ليشعل سيجارة. قال -

- أنتما في حاجة إلى موقف تراجمي.. تصور لو قلت لها مثلاً أنك مريض بالسرطان وأن انطبيب أكد أنك لن تعيش أكثر من ثلاثة شهور

ستدب الحرارة في عواطفكما الباردة وتستعيدان أيام الحب السعيدة. أو تزعم أنك ستسافر إلى أي مكان وتدعوها لوداعك في المحطة..

ضحكت..

- ولكن هذه فكرة سينمائية مبتذلة

لو سمعتك «صبي» لأشبعتك سباً هذه فكرة حلقة التيلك في

- لر سمعتك «ضعي» لأثيمتك سيك. هذه فكرة حلقة أثيلة في برنامجها «دروس في السعادة الزوجية».

ابتسمت. قلت أن الله سلم. وعليه في المستقبل أن يشهد إلى ذلك حفظاً للسلام العام. كاد وهو مستغرق في الحديث أن يرم بالمستشفى دون أن يشرف. ودعمته دخلت.

روائع الفقر تهبط. نساء متهدلات أكلهن الرزق ذهب الجوع بتضارة العسرية. أعمال مهرولون هذا المرض شاطئهم. جلس بعضهم يلهمه رائحة الفرورمالين اللطيفة. موظف الاستقبال يصرف تذاكر الحمراء. قمرجية تمسح البلاط في نشاط حيواني واحد وآخر من يعبد يدت حجرة الأظياء خالية. مريضة من عنبر ٣ تصحب طفلتها إلى دورة المياه. بحث لي خيرا. ابتسمت. لو كانت أمنياتها تتحقق أليس من الأفضل أن تحتفظ بها نفسها؟ كانت حجرة مكسي نظيفة. بدليل أن المقعد كان فوق المكتب. ارتبكت التمدد. جنة.

لا مزاحمة يا أستاذ

ببسمه أراثة إرتباكها :

- لا عليك، أظن لي القهرة لو سمعت.

بدأت تنظف المكان على عجل. تعثرت في سجادة الأرض. كادت تقع فتحت باب الشرية. رفعت أنامل ما حولي في انتظار أن تنتهي من عملها. أظلت من مكاني على زحام المنتظرات في «الاستقبال» أطفال. وأمهات ولا أكثر بعضهم يلبس المدرسة. مرايل من النيل الرحير متبلدة بالمرق والنرايب وأثار الخلويات الرخيصة في جيوبها. رقع من الحبر الأمهات : ملاكات سوداء مليئة بالرتوق. وجوه ساهمه مثقله بما تحمل من هموم. تأير نظرة الصعاء. في حذقات الأعين؟ يسحب الذكر نفسه على

أصبحنا من متفرجى الشرابات. ك يوم سباحى بحر العرق المنسج. وكم حنت الجيوب: طلقات. قنبلة «ميز» تحمها الكف في الجيب. والأصابع تمسك مصدر الأمان. عدت إلى المكتب. الأوراق ملقاة بأصايل هنا وهناك. تعال تسبح في بحر الكلمات بلا معنى. نعترق بشوة مريضة بين أحضان «كرثر» نثرثر بين الحين والآخر بكلام لا معنى له. ما أجدر أن تصبح يوما أنشط التيار بالخط الكرى تكتب على باب المجل «رأفت المشلاوى» ماصل سابق. (الأدلة رصاصة في الفراغ اليسى. ندبة فوق الحادح. وطعنة سوكي في الفخذ الأيسر). مسعد لتوريد جميع الشعارات لزوم الاحتفالات والمواكب والمقالات وشعر المناسبات الركيك. مؤلف كتب «الطلقات في مقاومة الآفات بأحسن الكلمات».

تأرت ملقا كان يرقد متزويا في ركن المكتب. عسى غلامه «سرى جنة» المعلومات الواردة به تستخدم لأغراض مهية ولا يعنى لأى جهة الاطلاع عليها أو إستخدامها» ابتسمت ساخر. كان عمرانه «بعث اجتماعى لحالة المريضة حكمت مسعود الصعدي» قرأت تشخيص الطبيب لحالتها. «روماتيزم بالقلب. ضيق بصمام الميرال. درجة الاصابة - ٤» رتبت الأوراق انقلبية هي الملف تبدو كالزهرة. وكيف يكمن الموت في قلب الرهور كالخديعة النكراء؟ يومها كان صبح كهذا الصبح. جلسة كهذه الجلسة. وترتيب أوراق كاندى أفعله. أول ما رأته معها أصابعها الرقيقة أمام الكتلة الخشبية التي تحمل إسمى في مقدمة المكتب. خيل إلى أن يصري يخذعنى إذ كيف يتأتى أن تثبت هذه الأصابع في لوح الزجاج الذى يعطى سطحه؟ رعت رأسى في فراغ اعرفة البارد رأيتها. أطول من المكتب قليلا شعرها أشقر يشع شمساً عيناها خضروان بلون الحلم بشرتها رائنة. نقية. ملامحها دقيقة. دقيقة. قالت بدمعة.

- أيا وحكمت مسعود الصعدي».

كدت أضحك. تقدم بمها يرقار لا يتناسب مع سها الصعيرة تسكن سنووات بالكاد. ملابسها فقيرة بطورة مشجرة وجوبلة صوفية قديمة

شعرها مصفر بشرائط بلون البلورة.

قلت :

- تشرفنا بأست «حكمت» لكن كيف دخلت هنا ؟

قالت بصوت حميض وهي تحيط قمها براحة كفها :

- أقول لله يشرف لا تقول لأحد

فلكنسى حالة نكوص طفليته قلت وأنا أحصى صوتي مثلها

- لن أقول لأحد هيه، كيف دخلت ؟

قالت بابتسامة شيطان وليد :

ضحكت على «عالمه منيره» ودخلت .

نظرت إلى مقعد بجوارها كأنها تستأدى لتجلس . قلت .

- «حكى لي»

نظرت إلى مقعد بجوارها كأنها تستأدى لتجلس . قلت

- «أعندى»

- متشكرة . أصلي تعبانة شوية ..

أتاح جلوسها فرصة لتأملها عن قرب . تبدو جميلة كرهرة غسليها ند

الديجر .

قلت أستعئها :

- هه .. كيف ضحكت على النمرجية ؟

ضحكت ضحكة طفلة أسرة

- قلت لها الدكتور «وداد» تريدلله جرت مسرعة فتمتحت الياب

ودخلت .

إبصمت كأنها تشهدني على ذكائها قلت .

- نت شاطرة

- متشكرة

تبدو شديدة الأدب . قلب

- جنت وحدك 11

- لم يرض أبى بالمجرى معى شعل . جنت مع جارتنا . ونفى «سعيد

أعندى» أن يعطينا التذكيرة قال : إنا تأخرنا ، ركبت الأتوبيس وحيلة ربا .

ومع ذلك تأخرنا

تبدو عارفة بكل شئ . إسم النمرجية ، و «الدكتورة وداد» ، وأهله

«صحي» الحكيمه أيضا وسعيد أعندى كاتب الاستقبال .

- أنت عارفة المستشفى جيدا

- أصلي عيانت من زمان . جنت هنا كثير وأنا صمير . ثم انقطعت .

عازرة أكشف الله يحليك .

لهتس .. يوقص عن الكلام برحة .. طليت لها شبا . ترددت قليلا ثم

شرته . كان الجو بارد . الحجره رطبة كأنها ثلاجة عاسلة الموتور ثارت

«صيره» أرعت . أرعدت . جرت هي في الحجره . احتصب بالمقعد الذي كنت

أجلس عليه . قالت «دميرة» .

- هذه قلعة أدب ، لا مؤاحدة يا أستاذ . قد ضحكت على هذه

الشيظانة

قاطعتها :

وعبها «بأست منيرة» ، إذا ما جات بعد ذلك إدخليني فوراً

نظرت «دميرة» بهجيب . قالت :

نفد أرسلتني للدكتورة «وداد» . وأرسلت الت «صحي» الحكيمه

إلى عنبر ٣ ثم دخلت الحجره .

بحسم :

- أنتهيأ أين الدكتور «وداد» ؟

- تمر على عنبر ٣ .

- بمجرد عودتها أخطرني ..

مضت التصورية. هادت هي إلى جلستها لاهثة. في عيبيها
الجماليين نظرة أسب. ربما لأنها لم تزد لى ما فعلته بالحكيمة قالت بعد
لحظة:

- ألى تكشف على أنت. هل رعلت مس؟

رمت على كتمبيها .

- لا. لم أرعل. ولكنى لسب طبييا. أنا اخصائى اجتماعى

بحيرة .

- مشرب اجتماعى يعنى. كآبله «محاس» هل تعرفها؟

الصمان الاجتماعى بالساحل.

وبصوت خرس :

- رحت إليها كثيرا. طردي العرائش قلت لها يا أهدى معن والدة
العظيم غلابة وأبرى عجوز. وحالى شغل. وأحس «ليرا» عيانة بعقلها .
كيب الكلام. وقدت عودي بعد شهر ولكنى لم تصرف لى شيئا مع أنهم
صرفوا لأم محمودة جارتنا اتقيى جيبه مره واحدة.

إستقبلنى الطبيبة بشطرة متسائلة. كانت تقمص عددا من رسوم
القلب بعدية ويكتب قراءتها. شرحت لها الأمر دعته إلى منصة المحمص.
ترددت قليلا قبل أن تستجيب لأمر الطبيبة بتعريه صدرها ابتست أدون
لها ظهرى. وقمت على ميرن صغير بركن العرصة أن يعنى استفرقت
الطبيبة وقتا طويلا فى الفحص. بعد الإنتهاء منه. قالت بالانكليزية :

- حالة موهجة لو ظهر رسم القلب كما أتوقع. «ضحى». «ضحى».

جاءت الحكيمة تتمايل. دست نظراتها بين عيني قالت الطبيبة .

إضبطى جهاز رسم القلب. سأجرى لها أشعة نظرية

دعته إلى جهاز الأشعة. بصرى الهك يحادر أن يصطدم بأرداف
«ضحى». كانت تتحرك بحيث تصطاد أردافها بصرى. وهى صمكة فى
إبراء رسم القلب. تابعت ريشة الجهاز الصغير وهو يرسم النبضات. قلت أن
ذلك كله يعنى أشياء. قد يكون بعضها مرغيا. كما يعنى الرسم الياسى
لإزدباد ورنى. فهل هنا دليل على الراحة أم النبلد؟ رؤية صرورة قديمه
لتعنى تعنى أشياء كثيرة. صحت «كوز» طويلا عندما رأتها قالت
كنت رغبيا كبوصة. وحلقا. فما أحسن شريك الدوغلاس. ويلف ك
بببى لإتسان ضائع لا يجد من تلمه. أما الآن فها أنت تبدو مرتحا. وإد
ما تروجها. إرداد ورك. سيكون هذا شهادة لى بأسى زوجة ناجحة. فما
مدنى هذا كله؟ تعمل الطبيبة فى انهساك. «ضحى» تسلف أردافها
إسائه. فأين قوات الدع التى تستطيع أن تصد هجومها بوجهه عقل
اليكترونى. كذلك العقل الذى وجه غارات حلوان وإذى حوب؟
فى الاجتماع الأسبوعى للقسم. قالت «الدكتورة وداد» .

- حوكل إلى الأستاذ «رأت» حالة جديدة تدعى تدعى «حكمت»
مسعود الصميدى». وقد أجريت لها الفحوص الضرورية. وتكشف ألسانج
عن أنها حالة صاخة جدا نضم إلى عبة البحث الذى لجره.

تراكمت هي وعدد من الأطباء. وأستاذ القسم بالعديد من
اصطلاحات الطبيبة كنت قد حفظت لمصطلحات. أتقتت ترددها دور أن
أهم معصها بالتحديد. لكن ذلك لا يبدو مهما كما لا تبدو «حكمت»
نفسها مهمة بالسبة لهؤلاء جميعا يتحدثون عنها كما يتحدثون عن شران
التجارب وكلاهما ولكن من يعانى حقا ما تعانيد؟ من يلهث كفى تلهث.
يصاب بالدوار. تتقطع أعاسه تضيق بصعر وجهه تهرب الدماء منه
تقلنى بالأورام كل مساحة من جسده. الاجتماعات تبدو جميلة. رجاء صمقون
يردوى أدورا فى مسرحية بلا مص. يكررون ألباظ يحفظونها عن ظهر
قلب. فلماذا لا يصغون أفضة عرق وجوههم؟ متى تخمين هذا المظف
اللاكى الأبيض يا دكتورة «وداد»؟ مشوق أن لدء اللحم الذى يعطيه

مطبخك الشهي هذا بدت لمكرة يومها سرداوية ومتشائمة، كمكرة محل
التجارة التي تعاليت يومك وأرقك، فتس يذهب هذا الليل الساجي وبأيتنا
الضحى؟ لا تنقص أحدهم الجديدة حتى «وداد» يذهب، يبدل كل شيء
عندها وقود لأبحاثها لا ألوان ولا أصابع، في أحسن متعددة تسمى بهائيا
أنها أنشئ، رغم جمالها الذي يبدو صارحا ولتقر بأن هذا جميل وعظيم.
لكي شيئا ينقصه حتما، بما هو؟ آه، ها قد تذكرنا القط فجاء ينظ.

رفع رأسى عن الناف. أغلقت. كانت قد وصلت إلى منتصف
الحجرة قالت:

صباح الخير يا أسند «رأفت». سأشرب قهوتي عندك. احتل
الأستاذ وأطباء الإيماء العيادة والمكتب ولدى عمل هام

سحبت مقعدا جلست خلف مقعد مرسطة الطول بهتها «صحى»
يبدو من النفاذ جلست على مقعد أمامها. تحولت المقعد إلى سوق.
أشجعت أوراق رسم القلب. ملفات. مقص. زجاجة صمغ. دباسة. اهتمكا
في العمل. اصطادات عين «صحى» عيني أكثر من مر. يرتب عنهما
نظرات عروى وتشجيع. أصبحا حبيبين فيما بين بلعة العيون. النظرة
داعية مما الذي يصعدنا؟ أهر الانتمراة من كل شيء؟. تحمى «وداد»
جسدها بمعطفها الأبيض ونظراتها الطبية. شمره مكرم فوق رأسها قلت أن
البحث عن الأنش في هذا انكياا الرقور المشبل في معبد العلم يحتاج إلى
مجهود ها هي العين تضطاد ما لم يستقر المعطف من ساقها يشير الجراء
الأخير من الساق بأن الفخدين ممتلئتان ودسمتان. القاعدة في رأسى تقول إذا
كانت المنطقة من الزكية الى القدم كالتهم المقلوب فهذا يعنى أن الأفعاد
وسمة وليتة الجلد أبيض والاعم. وكيف تلف هذه اعفته المتعجرة بهذا
الاهتمام الرنور بالأشياء؟ ها أنت متليس بمكرة إقطاعية رجعية تنتمى إلى
العصر الوسيط.. فهل هي كذلك حقا؟ أم أنك مشرق للبحث عن الإنسان
داخل هذا الكيان الذي لا يرى البشر سوى موضوع لبحث دون أن يخلق قلبه
بخطاب الذي يفأسويه. لو قدر لك يوما أن تعريها من كل هذه الأقنعة،

فماذا أنت فاعل؟ أقسم بين شاحات مقاديره أو يحبل ثورعى إلى المعاش
قبل الأوان لأضربنها بالسوط قبل اضاجعة. هي وحدها التي تعرف حقيقة
المرمى وحظوظه. إرتفع اهتمامها بحكمت إلى الدروة. بيد أنه كان في
الحدود التي ترسمها لكل شيء.

- إنها حالة عودجية كما قلب لك. فتفجر بدلالات خطيرة وهامة.
وآه صبح ما أفترسه فإنها تصلح موضوعا لمقالى الدس للمجلة الطبية
الأميركية.

آه، أين السوط يا أولاد الكلب؟. رحية قمع السكر المقلوب الذي
يتم عن جماله الفخدين، لأضربك بالسوط وأعلمك العذاب الحقيقي،
وليكن ذلك آخر أعمالى لثورية

رفعت رأسها فوحت بملف في يدها. قالت
- يا أستاذ رأفت فحما منا طيبا لحكمت لسميدى. وقد تضخم
كما ترى، فهل تضخم الملف الإجتماعى أيضا؟.

آه «الملف». سرعان ما تحول إلى أراى فكيف تتحول نظرا العي
للساجية إلى ورقة؟. والبسمة والعمازتان الرقيقتان فوق الوجنتين؟
أذكر كوى بأدوية «الصحة» و«المرارة». قلت

- أنت نشطة جدا يا دكتورة وهذا طبيعى، أما بالسبة فى فقد
أجريت مقابلة مع الفاة نفسها وحصفت على بعض المعلومات القليلة، ولكن
لفسة فى الرقت نفسه.

أو مات برأسها. قالت:
- هذا جميل... وبالطبع ستزور أسرتها فى المنزل..

نعم. وصحتها فى خط سيرى هذا الشهر، بعد حوالى عشرة أيام.
مارلى الحكمة بإشارة منها بعض صور الأشعة قالت:

- هذه صور الأشعة الثابتة. وتقارير عن آخر سرعة ترسيب للدم
أجرينه لها، وهو مرتفع جدا

تتكلم بعصم تنسى أنسى لست طيبيا. أخذت أنامل صورة الأشعة
وقد روعتها أمام عيني. ها هو قلب «حكمت» مجرد صورة، لا تتكلم معي
لأن عيني لا تحسان لغة الكلام على اللبائن البلاستيكية الشفافة. أين
الضحكات والبسات التي تملأ؟ أين الحروف والجوع وصراخ «ليرا»، أحتمل
إصابة النمل؟ وأين أقدام «عم مسعود الصعدي» المشتقة من الحماة
طول العمر؟ وأنا أمرك وجهي لا تظهر برؤية الصورة، فقدت نظرتي عبر
سطحها الشفاف في منطقة معبرة، رمادية، لتلتقي بعيني «ضحى». لا
هذا هو الكلام واضح فيها وبلا تردد هذه النظرة - كما يقول قاموس
النظرات الذي أعرفه - تسمى دعة للرقد مرفها فتت أعيشوني يا شرطة
الآداب، ها هو تحريض عني على الفسق، ويسا قلب عريض تعطيني
بسمته، ومحارب العلم أمامنا يرتدي معطفا تلجيا، فليتمظ أولاد الكليج
وتتصفي في عبيك الصاكين صورة بلح، فإنني حزير وملون، مفتون
وقاتلي علامات استفهام لا تنتهي.

كانت الذكورة بلهجة بحاسية :

- القلب متضخم جدا - هل تعطيس فكرة عن شروعي
لاجماعية؟

نارلتها الصورة، قلب :

- التناهيل التي عندي قليلة جدا، تعيش مع أخت كبرى من عصر
عقليا فيما يبدو، الأم متولفة، الأب شبه عاطل، ويعمل أعمالا مشرقة
وسكنية، «عزة الورد».

كانت تكتبه، قالت :

- «عزة الورد»؟ إسم جميل.

أجل «عزة الورد». والآن بدأت هكذا مزهرة ونقية، ظهورا كحبات
الندى الموزلق في صوم العجر
دن جرس التليغور، كانت «كوثر» قالت بلهجة تقلد فيها محمدا
سيمانة.

- أنت غاصب مني!!

توشحنا بالصبر - ألهم طورك بدروح

- لا أبدا.. تعرفين أنني لا أقدر على إغصابك.

لاحظنا أني خففت صرختي تظاهرتا بالانتمالك فيما بين أيديهما

ألفت «ضحى» نظرة أريكني. أعطيتهما نظري بحركة غير
ملحوظة. قالت هي :

- ولكنك كنت المخفي.

طرأت المفكرة على رأسي فجأة. قلت بلهجة عاطفية

- ليس هذا هو المهم الآن، لا أريد أن أسافر وبيتنا غضب

قالت.

- تسافر؟ إلى أين؟

- واحد قريبي مات في الجبهة سأحضر تشييع الجبارة. وسأبقى
هناك أسبوعين تقريبا.

صاحت على الطرف الآخر :

- غير محقول، هل أحرم من وقتك أسبوعين كاملين؟

أبهجني كلامها. هل أن أنقر أن برنامج «دروس في السعادة
الزوجية» هو ألميح الترامع على الإطلاق؟ هل تسري الحرارة في أماننا
الوطية؟ لنذع الله ألا ترى الحلقة التي أعدتها بنت حائلها، وإلا إنتضعا
وانقلب عينا قصدا. قلت :

- تعلمين أنني لا أطيق البعد عنك. ولكنها الظروف

قالت في إستسلام اليأس :

- ومتى تسافر؟

- الليلة - نطار الكمنة والنصف.

قالت فجأة

- هذا يعني أنك لن تحضر احتفال رأس السنة.

- للأسماء

- هل تأتي لتودعني قبل السفر؟

طائتي على التمثيل تنهد، نالهم إمدون بعورك. قلت :

- لن أستطيع ولكن سأكون في المحطة في الساعة الصابرة والنصف، هل تأتيين؟

قالت :

- نعم... سأتي ..

وضعت الساعة. في نهاية المعادلة، كان صوتها متهدجا كالمرشدة على الهكاه. فهل هو جزء من التمثيلية أم أنه صاذق؟ فكرت كغير متهدجا. ها قد نجحت لحظة محباني لك أينما التليفزيونية الشترا، السمر، وضم الكراهية المتبادلة ولولا أنك زوجة صديقي، وأسمك مطابق لاسم تلك المرحضة الدائمة لتعرض على المسح العلني، لكان لنا معك في آخر.

في المكتبة المقابل، كانت الطليبية تنظر بتمعن إلى رسم القلب.

قالت

- اشك في أن هناك شيئا ما في «الأورطي» أيضا

باحث فرحتي.

٢

المشهور

في القاعة والنصف محرك القطار ولم تأت «كثرة». أوشكت على الانتحار كمدا لتخلفني عن وداعي ففرت من القطار قبل أن يغادر الرصيف قائما قلت أن الطغرس التي رستها لحققتا الرثية لن تمارس. يا للأسماء ضاح جهد اليوم هيرا. كانت ستأتي فتجدي قلعا «دخى بشراقة. ألق معها قليلا. تسألني لماذا أسافر فأقول : واحد قريبي، مات فقلته إحدى العارات

على السويس تنزعج. كيف؟... لا تسافر الصحف تزعم بأن أحسان الفابل تلقى على المدينة. هل أنت مجنون؟. أصر على السفر. لا بد...
الواجب يحتم هذا. والخطر؟ ليس مهما في سبيل الواجب. أنت أعز شيء عدي. أرحمك

إذ ذلك يتمم بسمة غامضة. أقول :

- لا نحاض على يا حبيبتى .

أقبلها على وعلى هذا الرصيف. تلمس جسدها الشهى بجسدي. تدرب في قرع وجهها كالقطة في صدرى، تشرق عيناها بالدموع، أقبلها. أنقر إلى القطار وهو يضى. تنفح في على رصيف المحطة، تصرخ . أكتب لى. أقول ببسمة من ٧ يومه لخطر: كل يوم، إطمئنى .. سأعود بمضى القطار يغادر الرصيف، يعتمد شبحها الرلوي، يقيب في ظلمة البعد والليل. تلوح بتدليها الصغير. ألوح بيدي. عند قلبوب، أغادر القطار. أعود بالانوييس إلى بيئى، بعد يومين أتصل بها، لا بعد ثلاثة أو أربعة. أقول: عدت يا حبيبتى. لم ألق البعد هناك. طرقتى شطارتك أينما التليفزيونية المتعجرفة. هل يستطيع حيالك انقاصر أن يرسم هذا «الإسكربت» المتفن؟ صحيح أنك صاحبة الفكرة. ولكن مطورها ومنعدها، وعدنا سأبيعها في محلى التجارى ذاك الذي سأفتحه.

ها هو كل شيء قد فشل سقطت حلقنا سقوطا درعا. فهل تشتت بي «صحى» التليفزيونية؟. يا به من يوم «بلوندي» مظلم. فكرت أن أنتظر القطار التالي. ساعة أخرى لا تصر. وبها تأتي. آنذاك تضر قليلا في الحكاية. ما رأيك لو زعمت أن قريلك هذا قد ترك أرملة شابة تحتاج رعاية. ولندس في الحديث ما يفهم منه أنها أرملة جميلة. وبه كان يهكم ود قديم، حب أم رد؟ تتركها عاندة هكذا وتترك حيالها الشكاك يؤلف ما شاء. هذه فكرة أطرب.. سيريد قلننا عليك ولهقتها ثم أنه عتاب

تستحقه على إخلاصها للوعد. أدت قرص التليفون بوقم صرلها قالت أنها خرجت قبل ساعتين ولم تعد.

فى شباك التذاكر، نظر إلى والتذكير دهنا سألنى لماذا أسافر

- فأتنى القطار.

مقرته عجز، كلامه مجهذ كوجهه، طاقم أساتنه قد بلى...

- ولكنك أول من وصل إلى هنا، زاحمت، تشاجرت حتى تنفك تذكرة، القيت على معاصرة حول مصالحك التى ستتعتل إذا تسافر

إبتسمت. ناولته التذكرة لكي يجعلها صالحة للقطار التالى

- قطار التاسعة غير ممكن، إنه قطار حرمي، محصن لنجيش هناك قطار آخر بعد نصف ساعة.

- لا مانع.

تابعت حركة يده المرتعشة وهو ينتزع جرما من الآلة، ليحبر القطار. قريبا من عيه جدا.

- أنت فى حاجة إلى نظارة طبية

ضعك كان ما يزال يعالج الآلة. قال :

- لا شائدة. أرى بسوبها خيرا بما أرى بها. أكثك الرمن، انتهينا صحتك.

- لا تهو عجزا جدا..

- مجاملة طبية ولكن لا تغير الواقع.

- صحتك جيدة فيما أرى

- لم أحاول أن أحسن نفسى أخشى أن يقول الطبيب كفى

العمل. وهى كلمة لا تكلفه شيئا سوى ثانيتين من وقته. ولكنها تكلف من كان مثلى فى رقبته كوم من اللحم، أنشأه لا حصر لها.

إنهك فى إعادة الجزء الذى انتزعه. قلت أقسم أن قلبه مريض، وأن هناك جلطة فى الشريان التاجي. وسيرة ممد صفر. قال :

- لم يفتك القطار.. فلماذا لم تصاعرا

فكرت لحظة، قلت :

- كنت أنتظر من يردعنى، لكن لم يأت أحد..

أخنى رأسه ليرى جيد المكان الذى سيميد فيه الجزء المنتزع من جسم الآلة تحسسه بأصابعه. قال

- عملت فى هذه المصلحة أربعين عاما.. بدأت عطشجيا ثم كمساريا. سمرت آلاف المرات، لم يكن من ردا على أحد على الاطلاق. واستقرت فى الحال ها بعد أن غدوت فى الصحة.

أحيرا استقر الجزء المنتزع بمكانه من الآلة. كان يخفى صلته من اليد «بيبريه» بأهل اللون، متسخ. وضع التذكرة على طاولته الزجاجية. لهث بشدة أخرج علبة دخان صفيحية وورقة رقيقة وأخذ يلق نفسه سيجارة. أروى :

- لم يكن يودعنى سوى صوت أمى الله يرحمها. كانت سيده طيبة. كان صوتها يتصاعد بالدعاء لى فى أى وقت أخرج فيه. فى الصباح، فى الظهيرة. وحتى فى الفجر كانت كفيفة. ولكن قدرتها على اكتشاف أقدامى كانت قلدة غريبة. غريبة..

إنتهى من لف سيجارته، أشعها تتارل التذكرة وضعها فى الآلة.

قلت

- وكيف كانت تدعو..

إزدره نفسا من سيجارته الهشة. كاه بأقى عليها. قال :

- أه كانت تقول : روح الله يكتيك شر سكتك يا سي..

ابنست. ساذج هو الرجل كأمة. عجزوز ومغرف مثلها. وكنت أنتظر
أن يقول حكمة بلعبة، فمحص الجبس فولد إبتذالا وتكرارا.

قلت

- هذا دعاء معروف كل الأمهات. تفلنه. ولا أدري أى شر
يقصدن. فهد...

- إسكت يا أستاذ.. أنت شاب ولا تدري شر السكتك، الله لا يربط
ولا يحكم لا على عدو ولا على حبيب. أمثالنا هي رقتهم كوم لحم، عيال
كالغراخ والحمام لصغير لو سقط الواحد منا تمرى لحمة، جاع، استجنى
شرب الفل حتى أطراف الأصابع.

فمر لهجة العجزوز أحسست برعب غريب خفت :

- التذكرة من مصلك ..

وهو يناولني التذكرة..

- أه.. لساعة الآن التاسعة وصل ٩.٨ وهو الحرى.. أ
المواعيد دون نظر إلى ساعة.

ما كدت أخطو خطواتي، حتى سمعت صوته، ساديا

- يا أستاذ.. يا أستاذ..

رفعت وأمسى إليه :

- إسع . قطار التاسعة والنصف هو آخر قطار حتى المساء. إذا
نأت . ساهر وتوكل، الله يكتيك شر سكتك.

هذأت خطواتي على الرصيف، كأن الجهود يغفلون في سرور
طارقة يتسمون تأملت وجوههم. قلت أنهم صغار جدا، ومتسمرون. ألف
واحد على السلام ولم أكن أعرفه. رائحة غريبة في أجسادهم لا تدري ما هي
بالضبط لكنها تشيع الدفء في هذه الليلة الباردة. ضحك واحد من بعيد
قال الآخر أجازتي ٤٨ «س» قبلك «سحت» ١٣ يكرر مصطلحا

عسكرية. أعرفها جيدا. لغتهم غريبة. ملابسهم صوفية حسنة. فهل يمكن أن
تدق؟ هذه المخطط التاسعة؟ أحذيتهم خشبة تدق الأرض في صلابة. قال
حنال عجزوز من الرصيف البعيد «عاملين أه يا ولاد؟» واحد . يجب. آخر :
مولاد ثالث : الحديد يلى وأحنا لم يئنا. الحمال جدعان. واحد إزيك يا
وعم بدوى. كما تركضوى في الشهر الماضي. أنتم من أى سرية؟. الله
سيت يا عم بدوى. ذاكرتك ضمنت. عجزوت وراحت عليك جاء يلهت من
الرصيف الثالث، قفر وصعد بالأحصى. كيف حالكم يا ولاد؟ بلنا عال.
عملنا إيه الجمعة دي؟ ألم تسمع الاداعة؟ سمعت، الضرب كان جامعا
جدا ولا بهمك، أجدد، كله في الحجارة وشرفك يا «عم بدوى». فدموا
السويس أولاد الكلب، بركانك يا سيدى الأربعين. قلنا لا بهتم. كله في
الحجر نحن الذين يئنا ونحن مسبي غير. يا عيال أنتم لا تمزقن غلاوة
السويس عتدي. أخذت من لحمي طبقات. الشباب. والرجولة. والكهولة
أجدع رجاءه. وامتع النساء. أطيب الأمهات، إلهي وأنت جاهي، بحق محمد
حبيبك. لا تخشى بيل ما أشرفك يا السويس منصورة، ورأسك مرفوعة هل
سحطيك. يابى الكلب أنت وهو، همكوا «بدوى» لا يخطب شئنى، أنت
وهو هات ما بيدك. وأنت. وأنت. وأنت.

أنا

- ليه؟

- أنت يا عم بدوى ترفض أن تأخذ نقودا مقبيل المشال.

- سبحانه الله. هذه هي الشيل. يا جدعان يا عالم. يا هوه. أنت
مستجد؟ إئت كركي ١١ قلت ألف مليون مرة. على يدو لسيدي الأربعين
ومتى الظاهرة لا اعد يدى وأخذ قرشا من العسكرية أنا يا ولد أنت بايع
نفسى للجهادية.

إسأل قائدك أنت في سرية من؟ اسم الملازم يتدعك أه؟. كل
عساكر وصباط خط القتال عارفين أن «بدوى» لا يأخذ نقودا من العسكرية.

الضباط من ملازم لواء عازقين. المرحوم «عبد المنعم رياض» بنفسه كان عازق. أنت تهرأني. تهين شيبتي أنت كركي يارولد. مستبعد. من أجل قمرشك الماسع أسرع شرف العائلة في التراب. إسأل كل خط «الكنال». «بدوي أبو مصطفى» يبقى بين أبوه، بين جده، ياروله دأب جدى لم والبيض. لمرابي، نال القمح والفرا، وحتى التبن والفراخ والبيض، ووصلهم لحد المعسكر في التل الكبير. إحنا بعنا بعضا من جنود الجنود للجهادية، صعبا ما قلنا هاتوا حاربوا إنتوا. إحنا كتفكم. رصاصة البندقية. ومقام المصطفى لولا أنك كركي لاشتكتك للقائد أمام ذاته.

الله اهدأ يا عم بدوي. على مهلك. بالراحة. المجدد لم يقل شيئا الذي لا يعريك يا سيدى يجهل مقامك. حقلك علينا وأدى رأسك.

- طبيب. خلاص. تعالى يا «دفعه» لا تزعل من علك بدوي هات ما معك من أحمال. أقولك نصيحة. إذا كنت متزوج أطلع إلى الجماعة معتدله مارش. مارشهم. عازشهم. كلمة في حدوتة. الليلة ليلة الجمعة فاهم يا قفل. لا تكن «كركيا» في العسكرية وهي السرير. الست تنتظر رجلها العائب يشوق. لا تكن خائبا. معتدله مارش على طول. المرحوم «عبد المنعم رياض» بعسه وعذني أن يسمى إبنه «بدوي». مرة قلت له يا أبو رياض إيه أحرثها قال اصبر يا بدوي. قبل ما يموت بجمعة كان هنا؟ جريت. شلت لحد الشنطة. قال لي: إيه رأيك يا بدوي؟ قلت عال شدرا حيلكم. سألني. يصر ميسوط. شرفت عيسى بالدموع: ألا ميسوط. ميسوط موى. سينا. دى عالية علينا قوى يا «أبو رياض». دى أكلت لحمه ياما، الواحد مننا يعيش ويموت ياكل بالكاد عشرة كيلو لحمه ويمكن أقل، دى واكله بيحيى نص مليون كيلو لحمه، دا غير الدم. بعد ده كله نفرط فيها. قال: لا تحب يا بدوي يومها عزم على سبيجارة رعلب قلت له يا «أبو رياض» دانت كلك نظرك أنت تعرف أن «بدوي» لا يأخذ شيئا من العسكرية طبط على كتفي وقال أنا عازق. دى مش أجره. دى تحبة يصح أحبيك بسبيجارة وترفضني تحبني مقبول يا جدد. سألته: أنا قرأت في الجورنال إنك عازبه ليه؟

تيسم. قال. ما خلاص بيني يا «بدوي». قلت له: لا.. كله إلا ده يا «أبو رياض». الرجال لازم تخلف رجاله. قال: بعد ما نخلف يادن الله تبقى شوق. قلت له حلفتك بالحسين تسمى إبتك «بدوي» قال: على عيني. لله يرحمه. كان ذكر. يا سلام يا ولاد. ودينى وما أعبد السبيجارة معى حتى الآن، ما دختها. شايها حرز.. ده.. معتدله مارش يا ولد على الجماعة طوالي. غدا مساء «عد كذا كنت» احكى لعمك «بدوي» ما حصل. ولحق السويوس.

التفطت عيني المباشرة خلفهم شبح «كوثر». عند مدخل الرصيف. شفتنا حبيبتى كالكريز في أوان التضيخ. شهيتمان مضومتان، فإذا امرجنا بلا كلام. حركتا في القلب أشواق الاحتضان والنوب والموت حي. فإذا ما تكلمت باخت الأشراف، وأغثيتك الأحسان، وآر لنا أن تموت قرقا قالت بي تأخرت عن رداعى لأنها كانت عند لكواغير زمعها. أردقت.

- أنت لا تعرف «ميمي». كان اليوم مشغولا جدا. بعد لتسريحات رأس السنة وقد رجوته أن يقدمنى على ربوة بحري، وتطلب ذلك وقت. «ميمي» لا يحب هذا. ألحمت. كدت أقبل بذهبه. وأحيرا وافق. مدش جنا «ميمي»، لذلك تأخرت.

لم أكن قد وضعت ذلك المشهد في طفوس حلفتنا الوثنية. وأيضا فإن عبارة «روح الله يكفبك شر سكتك» كانت تنظن في رأسى كذباية ووقد ملوحة ريشة ومتنى يصل الجندي الصغير إلى منزل زوجته؟ قلت أتو نص الجمعة كما وصحته:

- كدت أسافر دون أن أودعك..

أهيو كمشتل ردى الحفظ:

- لم يكن من الممكن أن أتى لأودعك وشعري ليس في «الثورمة». ما رأيك في هذه التسريحة؟

آه، جميلة. جميلة جدا.

لنفس معطعمها ذو الباقة الطرائية نظرمعد من الناس. وكيف غفلت
روائح الجنود عطرها النفاذ.

- لماذا تسأقر؟

- قريب، استشهد في الحرب، أريد أن أشيعه.

ألفت نظرة على نفسها في مرآة موضوعة على الرصيف لشعبها.

قالت -

ألم يجد وقتنا يموت فيه إلا هذا. حبل رأس السنة في الطريق لماذا

لا مكتفى بإرسال بوقبه؟

كنت أذكر لحقتها في أن هناك أنواعا من أنثى الحيوان تغرد رائحة

لاجتذاب الذكر، تضجعه وتأكله بعد المضاجعة.. قلت فجأة.

هذا أفضل

خرجت معا ونحن نهبط السلام إلى القاء :

يجتذب بحاله الأنظار.

بنظرة مباحية

- هذا طبيعي

بدفعة قلت :

- لتفرض أن ميمي كان قد رفض.. فهل كنت تتحلمين عن وداعي؟

- لا أدري، لا يمكن أن أدعوك تراني وأنا لست في «الفورمة»!

كنت كمها في كلتي. لاحظت فجأة أنها تلبس قفارا صوفيا. لتحت

قبضة يدي سقطت كلها من بهمتي

- ماذا حدث؟

- لا شيء.. خشيت أن تعرق يدي فيعصخ قفارك.

- ٢٢٢ -

قلت أن علي أن أبحث عن قناع يصلح لحفلة رأس السنة. وفي الحاء
كانت وضحي، تشرف على تطبيق الرسات ونحن في الصالون. ذهبت
رجعت وأصدرت ألب أمر. سلحت علي يقتور. تحدثت عن حلقة جديدة من
برنامجهم. كانت سمراء في تلك الليلة. وهذا يعني أنه يوم الأحد. أخذت
أتابع نتيجة لعام في رأسي لأعرف ما ستكون عليه ليلة رأس السنة. كنت
أنها لا يد متفاجئا بشئ جديد. وغالبا ستكون حصراء الشعر، وربما حمراء.
ضحكت لحاظري. أنهى «حسين» مكالمة حول ماكينات رى سيثريه.
والأرقام بالآلاف. وضع السماعة. قال بارتياح :

- خمسة آلاف جنيه بمكالمة تليفونية

بهرت إليه. ظن نظراتي إنبهارا في العالب. قال موضعا:

لا شيء. منذ ساعة كلسى عميل يطلب مئة مائكة رى سأل هن
عندك. قبت عندي. بصراحة وأنت لست غريبا لا يوجد عندي شئ. ولكنى
أعرف الذين عندهم. وهذه المعرفة في عرف التجار رأس ماله. اتفقت معه
على السعر. بتليفون آخر اتصلت بمن عنده الماكينات اشترتها وأمرت
بشعبها إلى طاليلها. الرق خمسون جنيتها في الماكينة الواحدة. مكسب
صاف أربعة آلاف جنيه وتسعمائة وتسع وتسعون جنيتها، وستة وتسعون
قرشا، بعد خصم قيمة المكالمتين التليفونيتين بالسعر التجاري.

هناك بلذكانه. قال وهو ينظر إلى النبل عبر رجراج الشرقة

- أرجو أن تعقل وتترك عمالك السخيف هذا وتأتى للعمل معي.
سأعيبك مديرا لمعرض شارع عدلى مرتب خمسون جنيتها وعمولة ٥ /
كبدية.

قلت وأنا استعد للخروج معه

- أشكرك على هذا العرض الذي لا أوافق عليه.

قبل أن يقف المصعد أمامنا قال

- مناقش المرضع. ولكن لا تقل أنك ستعرد إلى «شقاوة» أيام

زمان.

إبتسمت ولم أرد. حياء الباب باحترام يليق بصاحب العبارة قلت
أن صداقة صاحب عمارة شيء مفيد جداً. وإلا ما حللت يوماً بالسكن في هذا
أرضي الراقي، فضلاً عن الدعوات المتعددة للبقاء وللغشاء. وأيام زمان لم
تكن هناك فروق. مقعد واحد في مدرسة ابتدائية ثم ثانوية بالسويس. فهل
تظن أن مجهودك في كتابة مواضيع الإثث. له تساوى هذه التسهيلات
التي يقدمها؟. وحذار أن تتزلق أقدامك فتراك التلفزيونية للامعة مجرد
واحد من «محاسيب» العائلة» تخلع عليه ثياب زوجها القديمة بيني وبينها
ود مفقود. ومرة شكاً «حسين» من أنه يعتقد متعته معها في الفراش. لأنها
تأريس الحب «بالباروكية». وهو يعلم بالبحث في شعرها. بأن يقبله. بحسنه
توترات شوقه ولهفته. ويرغم الود المفقود فقد أهدتك بت حالتها. وشجعت
إرتباطها بك. علماداً؟ تهركت السيارة بما أحدثت أتابع العروسة القرقارية
المترافقة قال:

- ماذا قلت في إدارة معرض عدلى؟

- يفتح الله.

- أشعلت له السيارة:

- لا أهزل. أنت أقدم المعرض باسمي ويسم «ضحى».

- هل هو عرض تلهزيوني؟

- لا افهم..

- أن رجل تاجر. وأحب الكلام المباشر ونحن قبل هذا أصدقاء.
فد.. رآدن غلادخل في الموضوع مباشرة
- أعلم وتعلم أن بيني وبين ضحى وداً مفقوداً. فما شأنها
بالموضوع؟

- ابتسم. دخل زحام شارع ٢٦ يوليو:

- ٢٣٤-

- هذا طبيعي. أنت صديق. وهي تخشى أن تهرني إلى ما تسميه

هي «شقاوة» زمان. فهي تعتبرك متطرفاً وهداماً. وأحكاكك تخرب البهوت
المامرة وهي تعلم أن صداقتنا قديمة. وليس من السهل قصمها. وقد ظلت
أنها وقد أهدتك وكوثره ضمنت أن تعتل. ولكن يبدو أنها غير واثقة تماماً
ثم هي تريد أن تهين لكما دحلاً مناسباً ومن ناحية أخرى فانا أبحث عن
إسم أقدم عطايات عقارلاتي متصتراً به. فالصرايب أصبحت جزارة.
والحكومة بدون ملاحظة ولا زعل. وبدون التعرض لمواطنيك بحرهما. بت
كلب. وما أسرع ما تصدر قرارات التأميم

صبت. قلت أدركوس يا عالم. ما آخره هذا والضحى المظلم. في
الاستشعي مخبرين على الفسق. وفي المنزل معرض على الخيانة
الوطنية؟ فحتى يتركنا الليل إذا سجي. - سرحت في العروسة القوقازية:

- ذكر. جيداً ورد على...

بعد لحظة:

- تهتم بهذه العروسة كثيراً.. لأنها من بلاد أصبح بك!

- أنها طبيعية جداً. وهذا كل شيء.. إنظر. أنها «ميتة» ومع ذلك
فهي لا تلبس باروكية..

شدت شعرها.. لأؤكد له قولي. شعرت بضيق مفاجئ.

وهو يمر عبر شارع رمسيس فذكرتهم..

- اتلنى هنا.

- إلى أين؟

- تذكرت أن لدى موعداً..

مضى.. تركني وحيداً على الطوار.

- ٢٣٥-

في المقهى كانوا متجمعين كما توقعت شادي. شيشة قهوة على الرصعة عذرة حلوان الأخيرة، زفت، لا تصدق ما يقال عن أن المدنيين لم يصابوا هناك مئات القتلى. أشاعات فلا تصدقها وتعرض أنها حدثت لا بهم. لا حرب بلا قتلى يقتلون المدنيين في فيتنام بالكت كل يوم ولا أحد يبول. ملعون أبو «بيكون» الكبير وعمة التي سنكسر رجله ورجل الذين وصعروا تقاويه. يقال أن عذرة «حلوان» الأخيرة قتل فيها عشرون كتيب. إشعة. يا أولاد الأنعامي كلاكم يتخرج تحت بند تخريب الروح المصوية. قبل تحفظوني بصرعي قارئ الطولي أم تُحكم تحروني والسلام. أنت عكسة رسمية يا أستاذ «رأفت» معاداً أنتي بك. اليوم ونحن لم نرك من زمن؟ أوحشتني مقاهي انوسيس رقلت ألقاكم ها أجعلها أن نسمى هذا المقهى قهوة أبطال الشعب. اقترح أن نسميها إيسا حديثاً سودرن. معلاً نسميها «السويس ٥٦». ليكن أبطال السويس ٥٦ سابقاً كن أبطالاً حقاً يا أولاد الكلب لم تتشر جريرة سوريا. ولكننا مع ذلك أبطال. شيش بالك. جهاردو. ماروس يروح أمك. يا أستاذ «رأفت» من ينظر إليك يحمده المهاجرين. أنت دعاية سيئة قد تمرى للحكومة بإنقاص الاعانات. هل تعرف إحصائياً اجتماعياً بوزارة الشؤون إسمه «حليل عطية»؟ نعم دهنتي. لا يمي على ورقة وقلم أكتب توصية. جعيت قدامي. دفعتكم. لا مواظدة وقت. قطران. البنت حيلت هي وأمها في شهر واحد. فأبشركم بخراب بيتي. هذا دليل على نشاطك الزند أنت وزوج بنتك. فتهنئتي للمرائين في حباهما الله من حظ لمحسهما عنيه الكثيرات. ولكن هذا الحظ ينتج عنه نتائج سيئة لا حلاوة بدون تار وهذا عقاب من المولى لكم على إغراقكم في اللذات. كنا أبطالاً سنة ١٩٥٦ وأحلنا الآن على المعاش. إسمعوا فصل الخطاب. لا أحد بيع أحد أن يكون بطلا ولكنهم هجروا حبه النساء.

والأطفال ليست لعبة. ولكننا نلنا نساء. ولا أطفال بدليل أن زوجتي وبنتي حيك في وقت واحد. الطابئة في حفر فاحذر النصر طيب. ستكش الملك حالا لم يعد لديك ولا عسكري كنت أحسن مؤجرة الولد الذي ألقى القنبلة على «ويليامز» يومها رقصت. في المرة الماضية خدمتهم الظروف قدم بتقدموا إلى السويس. والا كانت نهايتهم. بساسة أن زوجتك وإبتك قد حيك أنصحبها برؤية برنامج «دروس في السعادة الزوجية» على القناة حسة. تقدمت الست «حسي» بيت السويس. شجعوا منتجات السويس شئ ظريف أن تلقى السويس بقية البلاد «دروس في السعادة الزوجية» آيه سعادتنا الزوجية أن البت وأمها حيك في وقت واحد. قل لي هل تتفق الأم والبت على مواعيد الحفوة الشرعية؟ عيه ما على أهل السويس. رجائه وعده الله. بيوتا صارت أحجاراً ونحن يلعب الطاولة أذكركم بقانون الطوارئ رقم ١٥٨ سنة ١٩٥٨. أنت عكسة رسمية يا أستاذ رأفت. المصن في حفر وهذا يعني أن الدور على الملك. وبو ساهزملك ولو كنت انزمتي حليمة. كيف حال «حسين بيك». ما رأيكم لو بحث لنا عن عمل. أو تبحث لك الست «حسي» عن دور فثله في التلفزيون. هم يمثلون أما نحن فنموت «حسين» سعدنا في سنة ١٩٥٦. اشترى لنا سلاحاً وهرماً في غربته فعل ذلك لأنه صديق الأستاذ «رأفت» على فكرة ينتهي مريضه وسأليك بها المنشئ قريباً نشر «حسين» بيك إعلاناً في أهرام اليوم يزيد ويهين يضع أمواله في خدمة الحركة. لماذا لا يقتلونني وزوج ابنتي ممثلين في التلفزيون؟ أهديك مثلاً ندبي تعلمته من جدتي. وقد يعيد في حالتك. وما هو؟ آه لما أنت أمير وأنا أمير من الذي يسرح بالمحيرة؟ لا أهم. ولا أن الملك في خطر قدقدود. واحد شادي. اللعبة القادمة هي آخر لعبة لو ذهبنا لهم وقتنا نريد أن نحارب على بسنا أحد. بل سيرجون بنا في المعتقل. لذلك في حفر. اصمتوا حتى نسمع شره الأحيار

غادرت «الارتوبيس» كما وصفت أمام مزلقان «عابدة». لماذا سموه هكذا؟ لا - أحد يعرف. عبرت شريط السكة الحديدية. سألت مارا أليست العربية هنا؟ قال: «عزبة بلال».. أم عزبة الورد؟

قلت: عزبة الورد. نظر بعينين عمساورين إلى البيوت القريبة. قال: أغير الشريط واتجه مبتا. شكرا. الشكر لك. تبدو البيوت طينية فما مدى ما تحمل العربة من أسهاء. ومتى تهب روائح الورد. وتكتمل العربة مرة؟ هذه منطقة غريبة، كيف يوجد مثلها في المدينة الضخمة ولا أعرفها. يا للفقارة! بيوت طينية كالحمد. طافحة بالهم فأين الورد؟ متى تفك على هنا التدهور الباهر. تأتي بلالدا كالسباح. فأين القبة و «الهابيب»؟ يرافو خواجه وأنت. هاو آرو How are You تأتي زيارة الورد يا خواجه؟ إليك إذن هنا المستقيم البشري من الفاذورات. طلبات مياه للشوارع كما لو كنا في قرية نائية لمبات جاز تنظف. وإذا فلا كهرباء. كهرباء يا خواجه؟ أين المرأة لأبصر على رجلى لعله ينظف. نساء محصورات كأن الحكيمات قد أكلن لحومهن؟ تأمل هذه النكرة. هل كانت أرداف «ضعى» بهذه الدسامة عندما دخلت المستشفى؟ ولماذا هزلت أرداف المريضات في غير ٣؟ أكلت بنت الكلب أردافهن. شوتهن. سلقتهن. صمعت منها «إسكالوب». أكلته. لمت أردافها. تقدمت. سلطنها على. فمتى يدعون قوات الدفاع ضد الحرب الاليكترونية؟ إتسخ الخلاء بروت اليهانم. تقصصك الميون كأنها لم تر أفنديا بدلة طول العمر. فصلتها بالتفريط فلا يهولنكم أنها صرف المجلبرى. باق على لسطان. ورباط العنق؟ هدية من صديقي روج الصيقونية. لايد من ثقل البشت إلى المستشفى اليوم مهما حدث؟ أين الورد يا عزبة الورد؟ هنا ما قائته الذكورة «وداد». رفعت مظارها الطبي بها لجمال العيون. ولكن لماذا تبدو العيون كما لو كانت زجاجيا ملونة بإتقان ولا أكثر؟ قالت:

- تدهورن الحالة جفا يا أسعاد «رأحت». وقد تصاب بنكسة معاجت تقضى عليها. لذلك أرى أن تنفع الأسرة بنقلها إلى المستشفى لكي ليجر

أبحاثنا في هدوء. هناك صبر حال بعنبر ٧. حاولت إقناع ولدها اليوم ولكنه صمدي صلب الرأس. أرسلته إليك فلم يجده. أرجو أن تغبر خط سيرك وترونها غدا..

ظهرت إلى ما ظهر من ساقها عبر المعطف الأبيض. أعلنت لنفسى شجعة آخر معاينة: المحدثان ٩ على ١٠ أما وباطن الركبة بهذا اللون فلا بد أن معاينة النهد سنسر عن ١٥ إلى ١٠.

قلب: ر ر

- وهذا يعطى فرصة لعلاجها. أليس كذلك؟

بلهجة معاينة:

- أرجو هذا

- هل هناك أمل في ذلك؟

- لا مستحيل أمام العلم. ولكننا في حاجة إلى نهاية طويلة.

كنت قد حققت العوان، حاولت أن أستدل على لاقطة الشارع بنفسى «ون سؤال. ولكن يبدو ألا فائدة. مظاهرات فضولية تندد إلى رأسى مع رائحة بول نفاذة. محاط ويصاق. نعايات حضرات. ققط تجرى وكلاب. ذهاب أسود. أروق. وأخضر أين الورد يا عربة الورد؟ شم يا خواجه. منع معطسك بالروائح تعمدت على «بارغان» «كوثر» البارسى. شم الآن رائحة عرقها. الصديد والبراز. جروح ملوثة بأشرطة قنرة. الدياب بأكل عيون الأطفال. أم تضع طفلها الصغير في المثلث بين قدميها المتركة على الأرض ونصبة ساقيها. تهز. ليتجر تسلس سائل أصفر لزج. نزلة معوية مشقضى عليه خلال أيام. ما أجمل وردك يا عزبة الورد. كيف حاله يا خواجه. هاو آرو؟ كمونات آلي نو صبور رأيت؟

صمن تسأل. هم مسعود الصمدي؟ أه انصرائى؟ هناك عند الدكان في آخر هذا الشارع. شكرا. بركة مياه آسنة. إسبح يا خواجه. إحسن الندود وأنواعه: البلهارسيا والانكلستوما وكل طفيليات العالم. يحلم بجياه

«فيشي» «وكان لوهارد». هاني الميكروسكوب يا «دكتورة واده»
 إجلسي على هذا الشاطئ الأسن. إجلسي المطبخ الثلجي والمستار
 والسوتيان وكل شن. إحصي هذا العالم الوردي الجميل بميكروسكوبك.
 زدعي لحم أردافك الزائد يا «صحي» على تلك الهوام البشرية. يرمزك
 بهتف بحياة العم والعلماء. وتشرب الويسكي ليلة رأس السنة من هذه
 البحيرة المتجمدة. معتقة وحق كبر أردي التصبغ في شفتيك يا كوترني، أنت
 نهر من أنهار الجنة. ولكن صيدها. تعالوا نصبح يا أولاد الكلب
 «الخوارج راعت» يسأل الترجمان عن التلمس في نهر النيل. ورأس الخوارج
 ضخم، وفيه مثلث طلعت نصف متر وزاويته حادة وغدا سيحتل ليلة رأس
 السنة. يطلع كؤوس الويسكي. الكأس الواحدة بأربعين قرشا. ويهتف عند
 السكر بسقوط الفقر. ويتحدث عن العدل والحرية.

طرفت الباب فافتحوا. جاءكم الخوارج بأرواقه. إيسروا أصبح لكم
 ملف. هنا شرف لكم. تكتب أيدينا المرفقة أسماكم السخيفة الملوثة
 بالقمار على ورق كوشبه. أجم. نظرة الينت التي فتحت مذعورة آء ما
 أجعل العيون لولا الخوف من شر السكك. أنا «راعت» من التعشي.
 عشان حكمت. أجل. إنفصل. هلام وعفونة. فلن تشرق هذه الشمس
 الساطعة في الخارج. نلح الباروكه اشترى. في الشمس فتصوى. أين
 «الورد» في الندى المزلتق بوز الفجر؟ «حكمت» نائمة في الداخل. إخفض
 الرأس رالا أضطدم. فهذا جحر فتران وجراء صغيرة. يرتفع الصدر ويهبط.
 وشعرها الأشقر مشدد على الوسادة. أعيون ممضية. لوجتات شاحبتان.
 إنتماخ أسفل العينين. إفتحى العيون فإني شين للتطهر يا طمعي كلس
 الخوارج الذي جاءك «بالملف» من بلاد الويسكي والبيروك والبوستيش
 والشارب الدوجلاسي. جنتك «بماء المحايضة». لأرد إليك الحبة. كما فعلت
 المفريت في ألب ليلة. من أنت؟ «أهرا».. «أه» أحتها الذاهية العتلة؟
 إحترس وإلا طالك جون الورد. وتأمل هذا الدرس من دروس السعادة
 الزوجية. طفلة بتبحة بين الحياة والموت. مغطاة بغطاء صوفى مكدش ومزقة

بسمونه في لريتنا «حملا». قطع آلاف الكيلو مترات. ولعلهم وجدوه يوما
 ملقى في الطريق. أو سرقوه. تفكر في أن تكون ستائر شفتك أوجيصال.
 ومرة فكرت في أن هذا النسيج الصوفي الذي ينسجونه على أنوال بدوية
 ويصغفونه بأنفسهم. يصلح للستائر ما وأهلك الآن يا خوارجة. يتركون قطعة
 مريضة في رعاية مجنونة! أين «عم مسعود»! «خرج»! أين ذهب؟ يركب
 حدود لحمار الورد شلبي. هل سيغيب؟ لا. زمانه في الطريق. تفضل.
 إفتحى العيون الوندسية فإني ظاني للخصا يا طمعي. لا تردى عملك
 الخوارجا حان. وأين ذهب الدم من شفتيك يا كبراً قارب التضرع فمن
 أغتاله؟

عيناك يا «ليزا» واسعتان بالجنون. لا ينقص الجنون فعوليهما
 عسى. تأخر «العم مسعود» زمانه جاي.

- أنت كنت هناك.

هناك أين؟

- أنا شفتك هناك؟ هناك أين؟ عبد العبدرا. أنا شفتها كنت أفت
 هكذا ليلة بطول الليل. رست مع المرحلين دعوت مع الداعين. تلوت
 المزامير. قلت يا عادره. كراماتك الدنيا كانت برد. أنت كنت جسي. مشيت
 كده تنططت. وسمت الصليب. الناس مشيت. فصلت لوحدي. «حكمت»
 كانت معها نامت. غطتها بديل الجلابية. في نفس الليل طلعت هناك عند
 قبة الكنيسة. أنا شفتها. أنت شفتها. صحيت «حكمت». قلت بهزم صوتي
 يا عادره. أنا عيانة. حكمت عيانة. بركاتك يا أم العبدرا وحيات «سانت
 تريزا». رجعي لي عفتي. إشتي أبوي. إرزقيه يا عادره. داحنا غلاية يا
 عادره. غلاية وحيات رينا يسرع. صوتك معانا يا أبرنا غيبرال. مغطت.
 دموعي نزلت مع. أنت كمان عيطت. قلت يا عادره. قالت أنت حافية.
 زعقت. غصبا عسى يا أمنا. وحيات الرب غصبا عني. ضحك هلى. قال لي
 بابت جيت لك متديل بأوبه. قلت له أنت بتضحك علي. عاوز تعمل قباحة.

قال لي المندبل حلو قلت له أنت فاكرا أنسى عيرطة. فاكركنى مجنونة. بركه
خوقى يا عدرا. وقصى فى الخطا. ومقام الرب غصبا عنى. قطعت الخندبل
وزمينه فى الشرعة. كنى أحمر. والمسيح الحى ما أخذت منه شئ زود
يومينى قرشين. كنا فى ورشة طوب فى أبر قرقاص. يا حسارة. غابت
العدر وراء القبة. كنت لسه بتكلم. لم تسمع كلامى.. بكيت. بكيت
«حكيت».. أنت أيضا بكيت. قلت لحكمت. ستاتى مرة أخرى. صاحكنى
لها مرة أخرى. وغلاوتك يا سنت تير كان غصبا عنى مرة واحدة فقط. لم
أفعلها مرة أخرى. يا حرايى أنا أسد بين مفدى بالطين ولا أفعل هذا.

وولوت. ولولى يا «ليرا». عمك الخواجا بكى. ولولى. هاتى طائلك
أضرب به نفسى. لا حياء لديك. ذهبت إلى الريتون ماشية. إصرخى.
أسمى هذا اللحن الطروب. أدنى بسكنها «الجازند» وبخش فيها
كالهوى فى الخرائب. تجمع الناس. ضجيجهم فى الخارج. المجنونة جانتها
الحالة يارله. تادى «عمك مسعود» من هناك.

جارة جانت تعالى فى حضى يا حبيبتى. معلش. العدرا زعلانة
عنى يا خاله. معلش. بكرك ترضى. قالت ببنى خاطية. حسى يا أخى.
صلى بسم الله الرحمن الرحيم أنت من يا أخريا. أنا من المستشفى. أهلا
وسهلا يا أخريا. لا مؤاخدة. هنيها باسم الله الرحمن الرحيم أسيا. أجل
عليه «أسيا». كله من «الأسيا».

«عم مسعود». أهلا وسهلا. «رأفت البشلاوى». أخصائى إجتماعى
بالمشعى. أهلا وسهلا جرى إليه هابت. جتها الحالة. العصا موجودة. يا
مقدس مش كده. دى غلبانة. إرحمى يا عالم. يارب كفاية بقى. أيرب
كان بى. أنا بنى آدم. أيرب حيا فى الآخر. مش كفاية بقى يارب. إتفضل
يا أقدى برة. إسك التلاتى لى سمحت. «مسعود ميتخايل الصميدى»
الحمل يا بنت. إتفضل عنى المصطبة. جاء الحمل انذى كانت تتعشى به
البيت أخصت به يذعى فى مؤخرتى صميدى جنا ولكن رأسه لا يمكن
أن تكون صلبة فهى لا تحتمل ضربة واحدة بالكب لتفتت إلى ذرات مر

الرمال. غنى مواويلك يا «عم مسعود». أسبح الخواجا «رأفت البشلاوى»
أغانيلك الفولكلورية. ليغود بها إلى شقته ويثدثر بالقطا. يحطها ويدوسها.
هات الفراع من رأسك. وقطب «حكيت» المتضخم. وصمام الميثرال التالف.
ويكارة «ليرا» التى ضاعت بمبدل رأس. لأقدمهم هدية رأس البسة
للدكتور وداد. لتدرس وتحلل وتكتب مقالها السادس للمجلة الطبية
الأميركية. ذى أمير كان ميديكال مجازين. لاثرو شيئا. هات أقدامك
فقط أضعها فى ملقى. أقدمها لهم جاءكم الخواجا بأثر تاريخى.
تحمه والله العظيم وكلمة العذرا محبة. تأملنى يا رداى وأنت يا
«ضحى» يا حكيمة. يا رغبة النظرات. هذه أقدام «مسعود الصميدى»
مشفقة. مشفقة. مشفقة. أحاديث باعنى القمم طويطة. عميقة. واسعة.
هاتوا المساطر وأدوات القياس. بحسب مساحة الأحاديث وتنوعاتها. سلك
لطيفة السودا. الميتة. كمية ما غربت من تراب وعرق وأضواء وحصى.
طبق كل قوانين الرياضيات. لتصل إلى المسافة التى سارها الفصول التى
هاجر خلالها من «جهينة» فى أنصى الجنوب.. إلى هنا فى «عزبة الورد»
المزوى بالصعيد والبصاق والمخاط.

الخواجا مرهق ويستأذن. بمثلا الملف كتابة فهل تأخذ لهم عينة من
الدروع المجمعة. قال :
- هل ستأخذها منك يا أستاذ ؟

لا. طبعاً. أنت لا تدري شيئا عن «العلاقة المهمة». لستنا أصدقاء.
أنت «عميل» وأنا أخصائى اجتماعى. مهمتى أن أساعدك لتتمكن من
مساعدة نفسك. وحل مشاكلك معتمدا على نفسك فقط. لقد بصرتك
بالخطر. وعليك أنت أن تأخذ القرار. هكذا ينص العلم. وبهذا تقول
قوانينه

منهرياً

- تعال بها فى أى وقت. هناك جبر على الاستقبال بأن لها سريراً

وإذن دخول جاهر، سيرتفعه الطبيب الثوبجي مجرد وصولها. إسأل على التمرجية «منيرة». وستجد لديها كل الورق.

قال:

- ولكن... أصل...

تردد ولم يكمل. نهذهل شاربه في دلة. قلت أنه يمنع نفسه من التسول مصى الخواجا وصح العيون لي فيه والتبعة فوق رأسه. تشار سنير رأفت. جود باي، أوريوار.

أشار الخواجة.

- ناكسي.

٤

صحيفة المواقف لمواظن طاهر الليل

كورت «منيرة» ورقة اليوم الثلاثين من الشهر بقيت ورقة آخر أيام العام. تحدثت «كوثر» بالتليفون. قالت

كل سنة رأيت طبيب. هل تم لتأخذي في الدسمة؟

وعدها بذلك. فلتها باستقبال العام الجديد في جنة الكريز، سبها في نهر الكوثر. في تليفون آخر، طلب صديق آخر أن أشرف على عمله. اعتذرت بأنني مرتبطة بعملية أخرى. جاءت الدكتورة «وداد» في يدها أوراق. قالت:

- هل تؤدي لي خدمة؟

تحت أمرك

وضعت الأوراق على سطح المكتب الزجاجي. قالت

- هذه مقالة سأرسلها للأميركان مبيدكال مجازين. وقد رجعتها مرارا، ولكن أحشى أن تكون هناك خطأ مطبعية قد فانت على. هل تلقى عليها نظرة؟

أرمأت مواظنا شكرتني تركت المقال على مكتبي. استدارت في

طريق الخروج الأرداف مبعة على عشرة. نسبة لا بأس بها. متى ترى بسمة حفيفة لهذا الكائن المتهو؟ ما جذري كل هذه الأفكار، أيسنك هذا اهتمامه بالعلم؟ ليست هذه هي المشكلة. ولكنها لا تهتم بشئ آخر غير نعم. وهذا مرجح وهي عند الباب:

- على فكرة، هل زرت «حكمت مسعود الصعدي»؟

قلت وأنا أقيس تكرور صدره، مزيج الشيا

- نعم، ووجدتها بالذات بأحصارها اليوم.

- هل أطلع أن تزودني بالبحث الاجتماعي لحالتها؟

- أرجو هذا.

ها هي الأقدام المشقة في الملف ولا شئ آخر فكعل على عيوبك ليكروسكوبية بها ولتراجع المقالة. يرهم الخبرة المحدودة، فانها تتوصل إلى نتائج باهرة. لا تستطيع أن تشكر إهتمامها بعملها. فليس تكمن ثاجيتها الحقيقية؟ انتهيت. أين ملف حكمت لكتيب؟ سطور سطور حبر أزرق كثير، صعدة هابط، متلو. حروف، ألف وياء وتون مصطلحات قدم حقيقة تنقأ أهلا «ضحى». يا صباح الأرداف الثرية.

قالت.

- الدكتورة «وداد» في العيادة تسأل عنك.

وحيدار في لخرة، التوتو يشحبها الملف على الكتيب. راديو ترانزستور في يدها

قلت

- حدثت غارة على دهنور اليوم.

نظرت إليها مستفهمة. يا بنت الكلب غصى البصر. وقري نظرات النجور، وإلا غضب معينها الا تعلمين فوائد الإحجار؟ قلت لنفسى ما المانع؟ سألتها:

- هل مات أحد؟

- قال الراديو : ثلاثة قتلى وعشرة جرحى.

أغلقت الملف. كان الجو مشحوناً بمنفجرات خفية قلت مرة أخرى. ما

المانح؟

قلت لها

- غارتان في يوم واحد. هنا كثير.

نظرت وحشة. قالت :

- ولكنها غارة واحدة فقط. متى وقعت الثانية وأين؟

وسمت يدي فوق يدها المستندة على المكتب قلت :

- إنها تحدث الآن. هناك عيبك تسيان تاراً حارقة. نابالم، قليل.

الله.

بتهمك معانح. قالت

ولكن دفاعك ثرى جيد بهدو.

فرمتها في حلقة التدي الأيسر. تأوهت. جرت مسرعة. قالت بصوت

ذائب:

- أنت وحش..

وصلت إلى باب الغرفة. قالت باهتسامة مرحية :

- الدكتوراً تنتظرك في العيادة.

عرفته بشاربه العنقى. أقدامه. المتشققة العارية. على باب العيادة

كان يجلس. قام. سلم على. قلت :

- هل جئت بحكمت؟

لهث بشدة. وجهه مرهق. قال بصوت حفيض :

- نعم يا أندي.

- لماذا لم تأت أمس؟

هو كتفه كأنه لا يحد إجابة. قال بعد لحظة :

- ليشي جئت بها أمس. كانت ليلة الله لا يعيدها بصوت من النوم

على صوت «لورا». وهي تصرخ. قالت : قومي يا بنت ثروح للعدرا العدرا

جاءتني في المنام دلوقتي. وجدتها ترقد فوق البيت المريضة. تكاه تخنقها.

والبيت تصرح بصوت مشيم. قامت من غرقها وأخذت تقذفها بالطوب

وكيزان الصفيح ومقشة قديمة. وكل ما وجدته تحت بصرها. قصت. أمسكت

«ليزا» قيديها بالحبل. شربتها بالخيررانة حسي كنت يداي ألقبها في ركن

بعيد في باحة الفلار. لكن «حكمت» حالتها تأخرت جداً. بقيت طول الليل

سهران. خشيت أن يفتكرها الرب دون أن يكون أحد بجوارها. في الصباح

جئت بها

صمت. عاد يلهث. دخلت إلى العيادة. كانت راقدة مقطوعة

الأنفاس. السماعاة الباردة تتحرك فوق صدرها الطنلي الأملس. صلوها

بارزة وصدرها يرتفع وينخفض كمرج البحر في يوم عاصف. وهذا الفحيح

صوت تنفسها آخذ يلهث الهواء الذي أتعبه. قلبى المذهب يا يحمل. ولكن

كني عن هذا الزحير المزلّم. الهواء ملء العالم فكيف يعجز فلبك الطفل عن

استنشاقه يا وودتي؟ ومن ذا سوف يهشم كالشمس كل صباح؟ جاءت

«ضحى» بجهاز رسم القلب. نقلوها على عربة إلى حجرة الأشعة. عاد هو

مضى إلى مكتبى. جلس على المقعد متردداً.

دخلت الطيبة بعد ساعة. ملامحها جامدة. قالت بصوتها النحاسي .

- كيف جئت بها؟

وقف. قال بصوت مرتعش :

- راكبة والمسيح الحى راكبة على عربة كارو أكرمتنا الراد شلبي بها

لم يأخذ سوى خمسة تعريفة ثمن أكلة الحصان.

قالت مقاطعة، ويبدو.

- أنت رجل غيبى، جاهل. كيف تترصها لكل هذه الاحتراقات وهي تعاني من بكسة خطيرة، لماذا لم تحضرها في تاكسى؟
قال بدهشة -

- تاكسى، هاريت باست هانم - أصل .. أصل.

بتأفف قالت -

- الهنت ماتت..

لم يقل شيئاً، نظرت فقط صامت، إبيعت حينئذ.. إنقلبنا إلى رماد.

رماد تخم

- ماتت، تاكسى.

كان صوت مكانه بأذى من خارج الحجرة. مهنات عجزت متتابعة تاكسى يا عم مسعود تى. إيه. إكس. آى. T.A.X.I. رأسى خال من كل شئ. فكرت لى أى الهكاه قد يكون مناسباً. وتشيج الرجل مزيج. جلست فى خلف المنضدة تكتب شيئاً دخلت ضحى بالأوراق هاجمتى بنظرة متفضة. لم أكن مستعد، كانت نظرائى تأبى لى الفرع لم استطع أن أهرلها. أعتزمت نظراتها طريق عيني المركزة على المراع. شبكت نظرتها بنظرتى. كنت متوقفاً أو مدهولاً. تكلمت عيناها طويلاً. صاع العلم والقاموس الذى يحمل غلاسم النظرات T.A.X.I. تى. إيه. إكس. آى. فتحت الزرار الأول من معطفا الأبيض. فستان محبوبك. ضيق. يقسو على نهدين مترعبي، وصعتهما أمام بصرى.

رفعت العبيبة رأسها من على الأوراق.. قالت

- ما هذا؟ إذن لدخول. لا داعى له. بلى كلية لا تريد ريادة فى إحصائيات الموتى فى القسم. إكتبرها حالة استقبال فقط.

مضت الحكيمة فكرت فى أن التماسيح قلاً نهر النيل برغم كل التكديزات. وما رأيتك فى قصيدة رثاء من النوع الجزل؟ وأنت يا طبييتى؟

إليك موضوعاً للبحث لن يكلف مجهوداً. «التركيب الكيميائى للمروج التماسيح». قالت -

- من حسن الحظ أنتى تمكنت من تصوير قلبها قبل الوفاة وأجريت لها رسم قلب وكل التحاليل. أسفت لوفاتها. كل من اسكن أن تزودنا بمعلومات نافذة.

بعد لحظة -

- الجهل مصيبة كبرى. رجل كاللور. أرجو أن تزودنى بالبحث الاجتماعى. ساكب المقال هذا الأسبوع. وسأذكر بالطبع مجهودك العلمى.

«هزئت رأسى، أين السوط؟»

إعلمى ملائمتك يا بنت الكلب. إبنى مرز واحدة يدمع حقيقى. ساصريك حتى تظفر الدموع من عيبك فأشربها. أشرب ملحقها أدركه أنذاك بهذا القلب وتهبط كل الرغبات الشريرة.

- هل تسمعى يا أستاذ «رأمت؟»

بال تأكيد يا أقدم سأنهيه اليوم

أصبوا أنوار العام الجديد. استقبلت لحظة الميلاد بين حتى انكسر. مكيف نيت فيها الشوب. طعم الروسكى شرب. حليط من الليزول واليورمالين بعد الكأسى الشبعة كان مالحاً. مركز الملوحة كدموج التماسيح. قات حيات الكريز.

- ما هذا، الأفكار العربية يا حبيبى هل دقت دموع التماسيح حتى تعرف طعمها؟

هاهى بيوبير هاى بيرث دأى. فى اسكر تزغنى الأصوات. والعام القادم تكوبى أما يا «ضحى». أريد دوشاً لهذه الثمرة الطائفة. والا اتمتها حكومتها ولديها أفكار بلشوية كصديقا رأفت. «سيسيج فى نهر الكوثر

ويسى كل هنا «موهبة أنت وأيم الله، تليغ يوتية وأنت بوطن أمك»
واقترح أن ترشح نفسك لمجلس الأمة في أقرب فرصة. «موافق». «سيسم»
إلى حسن الامام دورا في قبلمه الجديد. «مبروك». «وفد أغسى». (أد
بايع نيسى للجهادية يا جدمان) (يا عدرا لحقيا يا عدرا) نهر النيل على
بالتماييح. «شرب كاسا يا ضحى في صحة صديقتنا راعت». «وفي
صحتك». (ألا فتر) حجرت صحة لى الأهرام. مستدر ملحقا إعلانا
عن منظمة فتح. أريدك أن تكتب لى موضوعا إشتاب من ذلك النوع الذى
كنت تكتبه فى أيام «السوس الثانوية». «يا عدرا.. إنا غلاية»
(عصبا عسى ما كان يا عدرا) «حيالك سر يالزم هذه البيلة».

«كأس أخرى من دمرع التماييح»

- «حيالك سر يالزم يا حبيبى.. تعال أقدمك لصديقتى دليلى». أنها
تظن أن شارب هير بوى فوند أجعل من شاربك «عصبا عسى ما كان»
يا عادره. متديل بأويه وغلاوتك يارنا يسوع».
- «أريد أن أسألك سؤال يا حبيبتى»

نعم

جسدها بارد ولكن مسورة البدنية ساحبة. «الصعراء دى غلا
قوى يا أهر رياضى دى كلت لحمه ياما».

- «لماذا لم تسأل سزالك».

- تذكرت. «هل لديك يا كوثرنى قيش وتشبيبه».

«يسى إيه؟»

- صفة لحدلة الجمانية .. السوابق.

- أوه .. لا .. لا .. لا .. سى ثرو

- أطاهرة الدين أنت يا حبيبتى؟ أرى ذلك الدهل الطاهر

«وجعى من عقلى.. إشلى أبوى.. إشلى حكمت..» «حنا غلاية يا عدرا..
ملاية حالى. غلاية رحاية ربا يسوع»

- «أوه.. لا تكن وقحا. هل تريد أن تعزنى فى الحفلة؟»

- الويسكى مقشوش بدموع التماييح.

«أوه. أنت سكران»

- «لا تريدن أن أعريك فى الحفلة فأين إذن أعريك؟»

- «تصرف بأدب».

- أرىنى ديلك الطاهر.

- «صوتك معانا يا أبونا غبريال..»

- رأفت هل جئت؟

- «صوتك معانا يا أبونا غبريال. صوتك معانا يا أبونا راعت. يا

أبونا رأفت يا يشلاوى. أنت رحت لين؟»

«ألا تعلمين أن بنتى ماتت اليوم؟»

- «أنت مجنون»

- «كان اسمها حكمت؟»

(الواحد منا يعيش ويموت يأكل بالكاد عشرة كيلو لحمه ويمكن أقل.

ودى وأكله ييجى نص مليون كيلو لحمه. ذا غير الدم)

«ويشيعونها الآن فى كنيسة القديس مرقس». «أنتسمعين الأجراس

ياحبيبتى»

«صوتك معانا يا أبونا راعت. صوتك معانا يا أبونا رياضى. صوتك

معانا. داخا غلاية. والمسيح الحى غلاية»

- السلام عليكم.

- «وات إه ذات؟ What is That؟ إلى أين تلعب؟»

- الكنيسة بنى ماتت ولا بد أن تكون هناك».

«رأيت»

والوداع يا بهر بكوتر . هذه قبعتي وهذا هو الباب. مات الخواجا
لأن ابنته ماتت أما هذه البصقة ملكي تسبح فيها لتتأسح»

- «سرفاج. علاج. وسح».

- «يلعن أبوي اللي خلطك».

عندما وصلت إلى مرفقان عابدة. كان أول حيط من حجر العام
الجديد يولد هناك عند الأفق. تشقته بعنق دلفب إلى عرية الورد

مصرع طائر السمان المهاجر

« هكذا يصي جهنم بلا حطب ... »

لهفة ما بعد الأوان

١

إلى شاطئ البحر قادتني قدمي. كان ذلك في مهبط الليل. قلت أن
هدير الأمواج سيمسح الماء بلا ريب. ألصقت مطبق. أصواء والليل
تحدث بكارة الظلام فكرت أن أعرد فأجلس في شرفتي. أحافى صبيح
الراقصين، وذكرى لقاء كالحلم يستكن طيفه في مقدمتها المظلة على البحر
الهواء جاف كما ينبقى لجلال الصحراء. الشاسع حولى. قلت أن شهيد الخريف
في «عرس مطروح» متعة للذين يريدون التأمل ولكن فيم؟ - ابتسم مرطف
الاستعلامات بسمة خارجة لثورتها من تحت المكوى. قال :

- جاءتك مكالمة قاهرية، بحثنا عنك، لم نجدك على الشاطئ.

- كنت بالبلد.

هذا ما حماء . طلبوا أن تنتظر في الماء. الثامنة والنصف!

بالتعديد، كنت أعرف أنها هي، توترت طاقته أنها الرومانية،
اختلجت شفتها، ومع ذلك سألت :

- من ؟

- صدام «عايدة مراد»

نقلت حظرائي، «فتحت ونعم» استشفت الهواء، قالت عقارب
سامي الفسرية أنها الثامنة والنصف، رنّ التليفون طويلاً رفع مرعق
الاسعلامات الساعية.

- الأستاذ «حسي» «مخرج يا أفندم» أهدفتاه بالموعود ولكنه امتدح
عن تلقى المكافأة.

على الطرف الآخر ألفت الساعية، أضلعت سيجارتي في عصب. ثم
تبك. أعلم أنها لن تبكي. ربما قالت أن لنهاية كاليدية، ولا جديد. ست
مقدمة المروجة قديمي، ما - دامي. قلت أنه شرب شمس النهار فلماذا يعتقد
جسدي الدف؟ حمل الجزر المروجة ومضى. إستندت إلى عمود حامل
للضوء. أظلمت سيم البحر أو أعراف الشدب، والثاني. كما كانت تنعل.
تزم شعبيها الرقبتيين تمنع في عت، نظمت الأول والثاني.

- «عايدة».. كفى عبتا.

تحطفت السيجارة نفسها

- تشاغل عني بسيجارتك؟

- وهل أستطيع؟

- تسرى عن نفسك وجودي، ثبيلة أنا الى هذا الحد؟

أصط بيدي خصرها. «أضغطها إلى» أقبل جانب رقبتي الملب.
يتسل إلى عبيرها. ذلك الأريج التفاد، خليط من التمر حنة والعل يجعله
نسيم ليلة صيف. تدغم كلماتنا لاشك أن هناك خطأ ما يرتكبه عندما لا
نؤرخ لأحاسيسنا. في وهج عينيها إكتشفت تلك الحقيقة كأحد أبطال
«المراثين» الكبار قطعت أكثر من عشر سنوات في نفس واحد

محملاً بالفرح والأسى وحائب الأميات واجهت عينيها لصافيتين
الزرقاوين كسطح بحيرة ساكن، يهوج أسفله بتيارات دافئة دوامات تشد.
تُقرق. غفلت في اللحظة الأولى عن المايه اليكسني الذي يحتضن جسدها.
وأبصار لم أنتبه وأنا أغيب في عمق عينيها عشر سنوات مرة واحدة إلا أن
نظرة الفراغ التي كانت تُطل منها شابهها بعض القلق. بعد أنها كانت
أعاصي، هي ينصها. شاهد على أن الحضور على زهرة في فراغ انصحاء.
أمل ممكن التحقيق وأن إحياء ميت الأعلام معجزة لا تحتاج إلى مسيح
جديد والبنية إستعدتها مئات المرات. ما حدث بأذن تعاصيله. بأصغرها
بأنفهم، بريرة العين واحتلاج الشعة. واحتراز الرموش بالتسحاب الإحمرار
من أسفل الشفة إلى الوجنتين. فكل ملامح الوجه. هي هذه النقطة من بحر
الرمال، حيث أقف الآن، على مبعدة من ميس «اليليو» بغمس وأربعين
خطوة في اتجاه الشمال الشرقي في الرمال كنت مددوتنا، ففكر لي أن أبعث.
دأبت قدم على قلبي. صحت :

فتع يا صبار هل أنت أعصى؟

في اللحظة التالية كانت ملامحي الملوثة بالرمل تواجه عينيها لبرهة
قلت : يا لطافة الكلام، صبر. وأعصى أبصار. ماولة شراعلك واسيع في
بحر العيون ألف ليلة بألف يوم، تلوح، ترهقك الدوامات، ماذا يكون الجسور
غير ذلك؟ إشتق بحر الصمت والوحدة المحيطان بك عن حورية. ولكن
مهلاً نظرة العين فيها شيء جديد قديم، حُظنتها بدأ الجري من الزمن بأقصى
سرعة. بدلاً كنت في الحراق الصاحبة، ولكن ما أسرع لجري في مقلة
عينيها، وحولك الشمس والبحر وبحيرة الأعوام. وما الذي شلّ ذراعيك
فجئنا عن الاحتضان، ثقاء الجالسين حولنا، أم شيء ما. هناك في بحر
العيون، وعند لحظة انتبه، منع ذراعيك أن تواملا السباحة. ولكنها هي.
هي نفسها، يشهد بذلك كل شيء مويها بالصبط لا أذكر ما قلت، أبهله بكلام
وأحمله.

قصة غير مفهومة بالإسم. «حايطة» بسّدت نظراتها ونهضت.
رفضت ألا أن تجلس. قالت

- أقيم لي «ريم» حفلى الماء إلى هنا

دعوتها إلى عطلتي. جلست في كبرياء الملائكة. عالى متى بظارديا
اندل، حيرة الأيام السابقة تطل، وأول ما رأت العين دجلة رواج تشع في
صوت الشمس. قلت إن هذا طبيعي وقد يكون بلا معنى. أما الجسم فإن
الرمز لم يترك هذا بصماته عديم مشدود وباعم، من مادة التشوة صمم
رأيتك كثيراً في دريان الحب القديم قبلت كل مساحة فيه، فهل يذكر الشعاع
الوالهة، لم أنه غادر كالأحلام التي قوسنها صرعة أخط العائرة

- كيف أنت؟

ضاحكة قالت .

- كما ترى

- ازدوت قصة، وأصبحت جنوباً رسمياً

سحبت مشفتى، جفت جسمها، احتضنها القعد، إحتست بعض من
رجاحة المطبات، ألتفتها على الأرض بأعمال. قالت

- تتقن الكلام كالمادة...

إبتسمت. قلب إنها متبدأ الهجوم فكيف تواجه في زحام لمعاينة،
قارص الكلمات بيد أن القلب ينشد العزاء ولو بمادح الأكم.

- تدينين بهجوم خاطف .

جلعت «البريه» من فوق رأسها، انسدت شعرها على جانبي وجهها.
نولتها مشغلاً غرسه في شعرها الطويل. بدأت في تشييطه. قالت

- ولكن الانتصار على رجل عسكري مثلك مشكلة

غمز حنق بالكلام، هربت ببصرى إلى البحر. انكسر المشط في
عزارة شعرها. إشتريت لها واحداً من صبي مار . قالت

- ماذا تفعل هنا؟ أجازة؟

- تقريبا ؟

- تتحدث الصحف من جهة مشتعلة بالثيرون مع المدور.
بهط. قلت

- أجازتى طويلة.. أحلت على الاستبداد.

توقفت يدها السارحة بالمشط، سألت باهتمام .

- ... تركت الجيوش مهانها؟

- هم.

- والسبب؟

- النكسة.

لم تسأل عن تفاصيل، انقبض قلبي، خشيت أن تنبش طيري المرح..
صحتت طويلاً. عدت يدها دون رمى، أخذت سيجارة من علتي، أشعلتها،
- قلت إن تلك كلها عوارض الزمن الجديد، فهل تنجح لعين يوماً أن تفضي
سرك المطوى، في ذلك الملف بإدارة كاتم أسرار الخربة. حيث تكمن سطوة
قلبية تقنك بالخزي. لمضى بهال الغراب على كل شيء. ويحال إلى
الاستبداد لسلوكه العسكري المعيب أثناء الحرب. ومن السهل أن تقول:
«لست وحدى، فلماذا تلوم النفس». ولكن الأحرف تنهمر كإطارق. برقت
كل الأحلام، حتى هذا الحلم المهاجر الذى عاد من عمق الماضي. قلت :

ماذا فعلت بك الأيام؟

ضحكت، وكان الجرسون قد أتى بالقهوة :

- أوه... كثيراً جداً. لم نلتق منذ سنوات.

- عشرة، وربما أحد عشر عاماً

إبتسمت، عدت أسأل عما فعلت بها الأيام.

- الحكى صعب.

- مجرد ضارين.

اعتذلت في جلستها، حَسَتْ رشفة القهوة. قالت .

- ستة من الحزن العميق بعد فراقنا غمزات قاسية من الزميلات والزملاء في الجامعة لحظة لمجد مفاجئة. سررات دراسة عديدة. ليسانس حقوق بشدير جيد سنة ١٩٦١، الإدارة القانونية بمؤسسة تجارية. شعارات صليبية «لازواج من الذين يمكرون في شراء المعش بالتقسيط . لا بأس من تجارب شابة» «اليبحث عن مستقبل باهر بأقل جهد». سكرتارية رئيس مجلس الإدارة سلام تكلام أولا، ثم نظرة منه قاتمة عن إهتمام دعائي بصحة ضغوط وبيروستاتنا وجلطة دعوة للتزفة. طب كالرطل رغم أن وزنه ١ كيلو ومحيط كرشه متر ونصف. وراج ماهر شهر عمل في باريس الصيف بين «بيروت» و«سان مورتيز»، وهذا العام «موسى مطروح» مشاركة للوطن في أعباء الحرب مع العدو. سيارة خضراء بجهد لكشها فيها مكانا، رمسيسين خاصة بي ا

اتصمت بموردا وأنا أتابع حديثها قلت أن شيطاننا تلبس علينا، فأين هذا الكائن الذي يحسب الحياة بدقات الراد والمصرف. من شاعرية الزمن الذي مضى، وهذا التقدم في العمر قد زاده فتنة ولكن أين مراعاة إهتمام الحياة. رمادا دس الزمن في عقلها وكان من مادة الحلم صبح. لعلمها في نحو الثلاثين. قالت وهي غصص :

- أشكر لك ضيافتك

استيقظت بعدها :

- ألا تفكرين في رؤيتي ثانية؟

باستهانة قالت

- دعها للظروف .

- نتمش مع البلة

- لتكن غدا

وزوجك

صحكت ..

- ألفت لجنة وجبة. الوزارة تقترب منه بسرعة.

مضت كعزوبة ظهرت من عمق الظلام هذا الأمر حليا لا يصدق بيد ان لحظة ندم طافت بالقلب. لابد أن شيئا ما قد مات، متى يتفرغ القلب من شواغله ليرثيه، يلوف عليه محزون دمه الخبيث، وأذن هذه «عاهدة» الحب والشوق والشعر وبواكير القبلات. كيف لم تذبح لأحاسيسك في زحام الحياة. متى فرحت آخر مرة؟ متى بلغت ذروة النشوة؟ نصيبا؟ من متى اغتال شاعرية احباء بهذا القسوة؟ في ذلك الزمن كانت لمحبة النقطه وأظن أن قطها السباح كان اسمه؟ اسمه؟ لا أمل.. اندثرت بعض الملامح. وقلت لنفسى أنني سأظل حيا لأوراق الماص القديم، أستنطقه أن يهوج بسره انطوى، أن يطلق من النقمم بهيج الأحلام، ولكن أين هي الآن؟ في شقة أم بالسيدة؟ أم بشقتى في شارع النيل؟ وسط القبار والعكبيوت وذكريات لليلة أصبحت غناء للصراخ فما أشهى المواطن التي تغلب بها ما كان أرقها وأعنفها. كانت تحسن أكتابه، غرلها فيك كان رقيقا وساخنا. وشد ما خفق القلب لكلمة أو وثورة

في المساء كان العشاء.. يذكر الرمل كل شيء ويذكر البحر. في ذلك التراس الخافت الأصواء. بدت في عستان سهرج الأنبيق فتنة تدعو للصلاة واجنون، وأحاطها القلب، بترانيم وثنية صامتة. وعند القباب الطويل في بحر المين عُدْتُ بنظرة مريدة مستكنة هناك عند نقطة العيب من المين. قلتُ أن الزمن لا يكمل من ترك آثاره الخفيفة، مهما غابت عن العين الناعسة وأذن فأن شيئا ما يلا شهرة الحياة بالمرارة كما يبدو كوائى المستن دليلا على السعادة، وهو حزمة من السقوط الصيف في قبضة اللاشيء.. بلا مرحها مفتعلا قلت أنها تحاول أن تتشفى.. وهي تشرب أيضا. طلبت النبيد. قلت.

- ما أصبح حزني على مراقبتنا فيما تلاه ذلك من أزمان
زمت شعبيها الجسيتين، فكادت لحظة جنون تدفعني لالتهاهما.
قالت .

- أكره العراء المتأخر فهو تجديد لحزن بهت
- أتكلم جاداً..

بهسمة، ورمود عين

- ولكنك سلكوتنا وعشقت ألها الآخر
- ما زلت تحبين الشعر، بيد أن أجمل ألمها أنت..
أشملت سيجارتها بقداحة قاهرة، أطعأتها بدفقة دحان خرجت من
شفتيها المزومتين

- هلا ما كنت تقول في الزمان الماضي، ولكن ذلك لم يملك أن
يرفض الزواج مني
- ولكنني لم أرفض الحب
ضحكت وقالت

- تعود إلى تلك المعادلة الصعبة. كنت طموحاً وتلك هي الحقيقة..
«نعم» فكيف إنهار كل شيء بكلمات بانرة ترقد الآن كشاهد غيرك
في مكتب كاتم الأسرار.

- ليس الطموح حراماً.. ولكنني كنت شاعراً طامشاً..
هزت رأسها كأن شيئاً لم يعد بهم.. وقالت :
- لقد أصبحت فيلسوفاً، أو على الأقل بالسببة لي، وكثيراً ما رددتُ
شعرائك الحب شيء والزواج شيء آخر لا رواج من الذين يشقون لعفش
بالتقسيم. الزواج عملية حسابية قد تصعد بك إلى قمة البرج وقد تحسف
بك الأرض إلى وحل الاستغاثة والحياة بالتفريط.

- ٢٦ -

تشاغلْتُ بعدُ حبات اللؤلؤ في عقدتها، لم يفتقد صبرها بحومة الرمن
للماضي. ولكن ترى ما ملأه من سرد الذكريات؟

- تذكّرين أسوأ أقوالى..

بدعوة قالت :

- بن أصدقها

- تسللت قسوة إلى رقبتك

ضحكت، وقالت بعد لحظة صمت .

- فكرتُ أن أفعل مثلك وأترك الجامعة كما فعلت، والتحق بالكلية
الحرية بحثاً عن دراسة سهلة، وعمل مضمون وترق لا يحتاج إلا لبعض
الاهلولة ولكن من المؤسف أنها لا تقبل النساء!

غيباً طويلاً وراء كلماتها، وثقت أنه كان من الممكن أن يحدث شيء
أفضل. وأين ذهبت أمومتها القياصة؟
- عندي أولاد؟

هزت رأسها نافية، قالت

- إذا تجاهلت الأمراض، فإن الكرش موجود، وهو حائل طبيعي
كأنه.

لقباً صمت متوتر، قلت أن العذاب ترصد مسيرتها، كما ترصدت
حبيبة الأمل في طريقى. وكانت الأنشطة داب صباح في «العريش». وفي
الصيف يتحدثون كثيراً عن «النكسة» و «حزيران وما جرى فيه» فهل
يكشف المرقعون يوماً مأساتي الصغيرة وسط هذا الطوفان من الفواجع،
وتأمل كيف أن القلب منذ لحظة كان ينشد السبان، وما هو يبحث عن ذاكر
له فيما يلي من أزمان لمن يفهم هذه الألفاظ المعيرة

أحاهد «البوستيش» وجهها بهالة من السواد اللامع، وقد ثبتت
«الأي ليار» يد مدريء. أم بقية المساحيق فكانت مرزعة لتصبح لوحة.

ما أجملها على حائط قصر فاخر، ولكن دجاجة النجل تنشد بكارة الطبيعة
بلا غطاء... ونحن نرقص قالت :

- أسرك ما فلتة عن زوجي ؟!

كانت تحتفظ بمساعة بيننا، قاومت محاولتي لاحتصارها، قلت
- لا أدري، لكنك كنت تشدين الأمومة.

يرج باحت التكلف :

آه - تلك الأحلام القديمة.. احترنا جسم الولد.. واليت.

- الولد «أشرف»..

واليت «سهير»

- راتهميني بأنى أبحث عن أسماء سيمائية.

انتهت الرقصة، فى التراس قالت .

- «ممدوح» هو الذى اتهمك بهذا ؟

تُرجه الصرايات بأحكام مدرب، ترى هل تقصدها حقاً فيهم الماضى
كهجوم الصيف ذاك فى مرقعك الذى تركته لتتفرج على «ممدوح» فى
سوق غرة رخيصة الثمن جداً، هكنا قانوا، ولكنها كبدتك كل شئ. قالت .

ألا تذكر «ممدوح» ..

- أذكره طبعاً

- هزأتى طويلاً بعد ضجرك لى، بيد أنه كان قاسياً .

وذلك الكائن الحاد، يطارذك شبهة من كل مكان، صديق الطفولة
راستشراب الحلم، وشريك السكن الواحد على عهد الطلبة فى الجامعة. أبيت
هو الآن؟ مقابلة «التريومف» قبل عام كانت صدفة رقاسية سلمت
بختور وسلم بشوق دهمى، هزى تدافقه بيد أنه أبى أن يد الحبال لينتقل
العريق، استمع بدهول إلى ما حدث. ثم قال :

- سمعنا إشاعات كثيرة عما حدث فى الحرب، ولكن الحقيقة أبشع
من كل شئ.

قلت . غلطة لا تستعصى على الغفران لو شئت

أعتر وجهه الجامد شعره قصير وجهه ضخم كما يهوى لمن كان أبوه
من متعصى الإصلاح الزراعى . قال

- إذا كانت تلك غلطة لماذا تكون الجرمية.

سكت، قلت بعد لحظة :

- أنا ضابط صغير، مسئوليتى محدودة لو لم أقصر لما تعبر
الأمر .

ضحك قائلاً :

- كلام جميل.. ولكن واجبك كان أن توت حيث أنت.

- ليس الموت سهلاً كما تتصور .

ضحك طويلاً.. قال :

ربما كان هذا صحيحاً، بيد أن لشجاعه ليست عبيرة إلى هنا
الهدوء.

قلت ببأس

- مجرد كلام..

ضحك طويلاً

- المسألة واضحة . أقدامك تحركت تجاه «ممدوح» ومن الطبيعى

أن تتقن العدو لكى تصل إلى الصفة الغربية قبل وصولها.

ترك الكلمة على المائدة، وورقة نقد ثمن ما شرب، وعابت قسمة
العلاقة فى الظلام .

قالت .

- هروء.. أين كنت ؟

- أبين «ممدوح» الآن؟

لا أدري. تعلم أنه لم يُكْمَل دراسته. دخل السجن في العام التالي لتركة الكلبة، ولم يفاده إلا بعد سنوات؟

صمتت مفكرة.. وقالت بعد لحظة

- قابلت أخته في العام الماضي، وأظن أنها قالت أنه في «الأردن».

الأردن؟

- آو.. مع المقاومة.

.. لم أود. طال الصمت، كان وجهه الرئى يطل على المائدة

قالت.

- ما رأيك في أن ننشئ على البحر؟

٢

أصداء الصخر القديم

على نفس هذه الأرض مشبها، ممن يستخير الزمن ما يحفظ من مشاهد كان ذلك قبل عام. وشمس سبتمبر حمراء، وربما في اليوم الثاني أو الثالث، جليت كغها، ضغطت عليه، قاوم لحظة ثم استقر. تحدثنا كثيرا عن الماضي، لقاءات حذيقة الأورمان والقناطر الخيرية، رياراتها الأولى بشقتنا، وكاهات «ممدوح» التي لا تنتهي «هواته للمسرح والمسيما» ومرة ضبوط مشروع ثملة، فانسحب خجلاً، ما كان أرقه يومذاك، وربما في اليوم السابع، رفعت رأسها إلى ظلام الشاطئ وعُدت. كما الماضي قاما - أعيب من شفتيها. ووقف عندما أحاطتني بذراعيها وضغطتني إليها، تفجر انصبي كما لو كان أجمل ما سأعيش. لنا الصمت ونحن نتقدم. تركنا والليل «و «المينا» خلفنا، صاح صوت من الظلام.

- من هناك؟

ارتعد السكون، لمحت مكان مسنن فوجدته فارغاً.. قلت

-٢٦٤-

- من أنت؟

- تقدما..

صوته عجوز، قامته ضئيلة مُحْبِية، قلت :

- كنا ننشئ.. ماذا تفعل هنا؟

تقدما ساكناً، قال :

- حطكما حسن كدث أنام.

تبعاه سائتين، إلتصقت بي خائفة، أحطت خصرها بذراعي، تدفقت إلى من مس جسدها رغبة جارفة في الثوبان، هممت أن تتكلم، لثمت شفتيها في عتمة القمر ظهر شبح خيمة كبيرة أشعل الرجل عود تقاب، ودخل

- لحظة حتى أصي الفايوس.

عندما دخلنا أخيراً، وجدنا أنعتنا داخل الخيمة، وسائل متعددة الأتوان، دعاء للجلوس. قال :

هست أن أحداً لن يأتي، تأخر الوقت.

تسألت بمعجب

- أيأتي أحد هنا.. يا عم؟

«عمار» كثيرون. هتنتكما من رباتي.

قالت «عابدة»

- ألا تعرف زياتك..

ضحك، بدا في الضوء عجراً جذاً. قال :

- آو، النظر على القذ، والمسح ولعن، والذين يأتون كثير..

- وماذا يفعلون

مد يده كشف عن ثلاثة في ركن المكان.. قال :

- لدينا كل شيء. بيوة ومرطبات.. و..و..

تعلقت عيني بجوزة في ركن المكان قلت مشيراً إليها

- و و

ضحكك وقل

نعم صدا تريمبان.

تهامست معها. قمعت قليلاً.. أشعل الرجل الفحم في بء فخاري،
تصعد أريه عذلي. خلعت حياءه، القته بعيداً. أعطس ظهرها. قالت
الفتان بكاد يحنتني.. إمتح السوتة من فضلك..

ارجمت يدي وأنا أسحب السوتة إلى أسفل نصف فتحة. أشق
الفتان عن جسدها الشهى انحنيت. قبلته كالزمن الماضي.. قالت :

- لا. الرجل بالياب

أبتست :

- ولكنه عجز.. وشبه أعصى وأصم.

دخل الرجل. انهلك في حمله. كان هدير البحر يأتي من الخارج،
تسامت يومها. أين تعلمت كل هذا. بيد أن السزأل طار فجأة، ليس
الجواب عسيراً أبهجرت حقاً أن تتصور كيف مضت حياة امرأة مثنها،
بالطبع لا؟ ولكن مواجهة ذلك تبرز مؤلدة. بيد أن شيئاً لم يثبت على
حاله؟. أليس «حسني» الرمن القديم؟. وأين «عائدة»؟ وأين «ممدوح»؟ آه
كالصرس الذي لا يكف عن الإيلام. فمتى نعلمه وسنريح؟ كيف إبعدرنا
إلى هذا المصير المفجع. يوماً قال : نحن لا نسعى إلى وجهة، بل إلى
رسالة، هزئت رأسي العهم. قال : ودرن ذلك حياة من النفي والتشريد
والعنااة. حدثت أمراً رأس القهم، قال بشلده لا لمعل قبيلاً لأنسنا. وقد لا
شاهد ثمرة تصحيثنا. بيد أن المستقبل لما تؤمن به ولو كنّا عظاماً معتقة.
فما كان أقرأه وأبسطه في مقابلة «التريومف» تلك قال : بدأت بالحياة
وانتهيت بها ولا جديد في الأمر مع أنفس المعبر بهت الأثكار، وكفى
ضرس العقل عن نر الألام فبنا وجهه الغائب كاريكاتوري الملامح. والرجل

كالبحر صامت. وطريقتها في سحب الأنفاس أكدت أنها لم تكن المرة
الأولى. ولكن لا تذكر صفو الليلة بالأم لا مبر لها. نحن بقايا ذلك الزمن
القديم، وليس هو. من يحيى الموتى ويبحث العظام وهي رميم؟ غنت،
«مرت على بيت الحيايب». صحت من يفس «أبها الراقدون تحت القراب».
قطعت العنا.

قالت الجوخاني.

قل الرجل

- أأعد لكما جلسة بالخارج؟

سحب بطانية وعدداً من الوسائد. انهلك في مرشها على مائدة من
الخمرة. قالت بصوت مخبر : السوتيان خنقني. فككت المشبك، تركته مدلى
على ظهرها العاري، ملابسها التحتية خضراء. لوئنا المعضل، وكانت حقلاً
بكراً يعلم بأنبات الزهور ويمتلئ بالخصب، فكيف يحصى هذا الجمال كله بلا
عيب. ملأ الصفاء عينيها، سمعت فيها مطوياً بالبحار الصافية. لم تعد
اللاعة عسيرة كما كانت لحظة بحث من مرقدني على شاطئ البحر على
مشهدنا. رعدت ذلك الملاح الماهر. يستجيب النهر لسباحتي، تهدأ أمواجه
يستسلم في عبادة صامته لصلاتي المنهدجة. في الخلاء تأمت على رسادة.
وصمت رأسها تتأمل السماء. قلت ما أسعد النجوم بسوحة هذي العيون.

قالت :

أحب البحر في سبتمبر. في الفجر تثلث السماء بأسراب السمان
المهاجر ما أجسلها

قل الرجل :

- يأتيها بالبرق.. (ثم بعد لحظة صمت) لا تزاخفاني. صحتي لا
تحتمل السهر.. قبل أن نلها، إدخال الأشياء إلى الخيمة
أعطانا ظهراً ومضى. قلت :
- والنقود؟

- والنقود؟

- صعبا بجوارى.

- ألا تَعْشَى أَنْ تُسْرِقَكَ

ضَحِكَ وَقَالَ

- أنتِ ودمتلك. (ثم بعد لحظة) .. ولكن لا تتجها إلى العرب .

منطقة الألبان على بعد مائة متر.

غاب، إنطماً العائوس، عاد القمر يشع ضوءه الضيق فوقنا

قلت :

- رجل غريب ..

توقفت عن الفتاء قالت :

هل تزوجت؟

- لا ..

- ألم تحاول؟

تنازلت منها السبجارة، مدت يدي الأخرى، أوسدت رأسها

دراعي ..

- مرة .. سافرت إلى بعثة بعد تخرجي، كنت أتزوج واحدة من بنات

العرلجا ولكن الله لم.

ارتفعت موجة عالية وصوتنا رداها، كان دأفت قلت بعد لحظة .

- كانت رغم جمالها عقائديا متحسنة، قالت إنني بجوارى صغير

تانه الشأن ققلت لها ووحى لأملك.

ارتفعت ضحكتها كسوجة طعنة، قلت أنها مُحَلَّة قانما. غثت

قليلاً

ثم قالت :

كأن هذا رأي «ممدوح» . ولكنك كتبت مرة كلاما اشتراكيا

ساخنا!

بعد صمت :

- آه .. كانت الخادمة تجمع الناعمة به، فاستغلته منها ..

باح حساسي، قلت ..

- مجرد أكل عيش، كنت أطمح لمستقبل سياسي مرموق .

.. لف الصمت. عادت تعني. ذهبت إلى الخيمة، كان الرجل

نائما كالطفل، وصوت تنفسه الهادئ يندى المكان، امتصتني ملامحه.

بلدت أمامه، كأه عود الثقب المضي يحرق أصابعي، وهو نائم كان يبدو

شاهيا ععب رقت تجاعيد وجهه قانما وعدت ملامحه ابتسامة صغيرة عُدت

برجاجة البيرة في ضوء القمر كانت راقدة . عارية قانما، شعرها الأسود

الطويل يغطي صدرها، وفي عتمة الضوء يلسع كيانها كله، صورتها الخافت

كان يغنى هدير البحر من بعيد، ومهبط القمر، وأسراب السمى تسبقظ!

وسنن مدود في القبر، سننشق هواء الندى لمسحس دفء ماء

ليحر بأقدما. ترى النور يبرغ من قلب زرقة البحر، وأسراب السمى المهاجر

تطير آمنة على ارتفاع قليل حتى لتطولها الدراع الممدودة، كس أشعر أن

شيئا ميتا قد عاد إلى الحياة فجأة: لعلها مسرة يرم قديم استعصى على

الذاكرة كالشجرة البكر، وكلمة قلت لممدوح صادقة ختوي معكم. كان

القمر شاهدنا الوحيد، وكان جسدها سحريا. بيد أنني حاولت أن أكون أكثر

سقاء. ورغم غيبوبة الممدوح - وربما بسببه - حرصت أن أقبل بها إلى قمة

النشوة، في ضوء القمر كان وجهها يلتف بهللات الشمر، مستجيبة للحياة

وفرأ بها كالنهر والبحر والريح العاصف، وشلاطات المياه، يتشكل عن لحظة

طويلة، بين ضحكة عامرة بالفرحة، وتهديج حزين مقجع، بين صرخة انتصار

عظيم، وكسرة هزينة مرة بين الرحمة القاسية، والمندب المسون. حتى ما

قلده من كلام مدغم لا يبين يدغمه إحساس طاع بأنه يستحيل أن يصف

شيئا لا بوصف. حتى عندما أصبح صريحا واصحا إقتلع الحياة والخيال

والتحفظ وأسوار الآخرين، حتى كل هذا كان مجرد أصداء للشعر القديم،
وبعض أطباء الحلم.

ونحن ملتصقان قاما، تمسك أقدامنا بالمياه، نضى ولا نضى قلت .
- هل أنت نادمة؟ -

شدت يدها التي تحيط بحصى، قيلت ما طائفة من قدامى، كتنفى .
قالت :

أبدا.. وأنت؟

طوكتها، ربت في مهبط البحر وجهها، قيا في ديمومة من القيل،
قالت ورأسها على كتفى.

- فكرت مرة بعد اختراقنا أن أذهب إليك، أعطيك نفسي.. ليكون
لي مثلك ولد.

قلت أن رغبته في الأمومة لم تنثر أبدا . بعد لحظة نالت .

- كنت إيسى الوحيد.. ولكنه عاق..

قُبِنَتْهَا أَكَلَتْ

ومرت نصله، وممرت أسنك أيضا..

ضحكتنا.. كان السمان المهاجر يملأ سماء النجر . ونحن نفسى في
الطريق.

٣ زلزال النفس

كان هذا مثل ثلاثة شهور فقط، فكيف كان على القلب أن يهجرها،
وكيف تصم الأذن عن صوتها المتأدى بالهففة، وقد أنهت كل شيء. ستقول :
دمر حياتي في البداية يدمرها في النهاية. شعرة بيضاء تسدل إلى
سوالف السمان المهاجر فلا سماء البحر ييسر هجره الباس أو

كادوا. في شقه شارع النيل تهدت كما كانت في الزمن الماضي، أعادت
ترتيب الشقة، جدران الديكورات وتغيرت أماكن الحجرات، أزلت الفهار عن
المكتبة ووسعتها. في غروب كل يوم تدخل بالاسطوانات والكتب. ترايدت
ملابسها حتى أخذت جديا من الدولاب. تظهر الطعام وتتبدل معى في
أغلب الأيام، لم تدر شيئا، فكل شيء كان يبدو مفهوما، يوما قالت .
- سأطلب الطلاق.

كانت جالسة على مقعد في الشرفة وأصابعي تتحرك بأمر التريكو
في سرعة ألقيت الجريدة. سحيت مقعدا، تقدمت نحوها، قالت

- إلبس جاكته البيجاما..

- الجرحار

- لا تخرج إلى الشرفة وأنت عرقان..

- ليست جاكته البيجاما بإدعان

تسألت بتردد :

- وهل يوافق؟

بعد لحظة صمت قالت :

- سأصفعه بالحقيقة كلها إذا إعترض.

ترددت لحظة ثم قلت

ولكنه يستطيع الإصرار بك.

باحتفان قالت : لا يهم.

- وزيا بي.

تولفت يدها المتحركة بأمر التريكو قالت :

- بهجوز، ولكن هذا لا يهم..

طافت بالقلب مخاوف، حسيت معاشي بذلك، قلت

- ألا يمكن أن تستعين به أولا.. قبل أن

أدارت ظهرها للنيل، واجهني صفاؤنا كله، كان لميمس النوم الخفيف يضم جسدها الرقيق وخطوطه تنتهد بهذه، دأخه، كورت شعرها إلى الخلف، نظارة طبية أنيقة تكسر على نظرتها ابتسامة المستفهمة، قلت بإغراء :
- يومعه، بتوصية منك، أن يسهل لي العمل في التصدير والاستيراد.

قالت باشمزاز لم تطع في إحقاقه:

- لا، لا داعي لهذا..

قلت إن الموضوع كان مفاجئا، ولمألى لم أحسن عرضه، ولو تم لأطمأنت على الماضي والمستقبل، وبوسع المال الوفير دائما أن يخفى العيوب، حتى لو كانت تلك الكلمات المحتمة في مكتب كاتم الأسرار عادت إلى عملها في صمت. قلت ما أسعد أن يظل كل شيء على حاله الآن، تأتي وتدعب، يتحمل زوجها مسئولياتها كاملة. وأضمن أنها لي بأكملها، ٧ يشاركني فيها أحد، حتى دو الكرشي المهول.

مع لحظات القسق الأولى، وقفت تقبس البهور، شكت مقدمته بالديابيس، انحنت تقبس الطول، هممت بتطويها. زأغت حتى، دق الجرس وكانت بجرار الباب هربت لتعتقه فوجئت بضابط صديق إرتبك كلاهما، قال:

- ألوست هذه شقة «الرائد حسي»

نعم تفصل .

دخل بتردد، استقبلته بترحاب، قدمته لها. قبل أن أكمل تقديم قال برهية مندعة:

- تزوجت أيها الغادر دون أن تدعو أحدا،

قالت بلهافة

- تزوجنا في «موسى مطروح».. ولعلك أيضا لم تكن هنا

خضع «الكتاب» وضعه على المنضدة، قال .

- ولكن الإنسان في حاجة إلى فرح، موسيقانا مدعومة ثقيلة، إنصحت بخفة، عادت وقد ارتدت رويأ فارق لميمس النوم وصمت شعرها تدفع أمامها عربة شاي صغيرة، هي الشرقة يلسنا، لمحدثا طويلا إنحنى على، همس

- زوجتك لطيفة ومشفقة.. ولكنك غادر لأنك لم تعرفها بها .

قلت

- إنها قريبتي، وقد تزوجنا منذ فترة قليلة

أحدث طويلا من الجبهة، «الديفرسوار» «والكليو ١٩» ، «المعدية» «الجزيرة المصرية»، روى طويلا عن الشاوش «سعدان» قضاكت «عابدة» سألته تفاصيل لكنه إلتمز بجانب الخطر، لم أتكلم. كان حديثه ينشر جسدي، هممت أن أسأله عن بعض الأصدقاء من «دمتي»، ولكني جعلت. روى أكثر من قكاكة. قلت إنه شاب ريمى. يدلبل تكسر أواخر كلماته فمى أين أتى بهذه الثقة كلها

شرب كأسا واحدة، وقال

- كفاية . الله يرحم أيام زمان، سأسافر في الفجر (واشار إلى رأسه وأكمل) ولابد أن يبقى هذا صاحبا، وإلا أطارته دانات عمك «ديان» العوداء

إنحنت يدي بالكأس صحتك عابدة يرحم. إمتزجت صحتكها الطفلة، بنهقاته الريمية الخشنة، شاركتها الضحك مروة، قال بعد لحظة - ألا تعكر في العودة إلى الجيش..

قلت بدفعة :

- ولكن هذا غير ممكن

- أظن أنه يمكن ببعض المحاولات الجادة..

- قد يرضون ا

- أنت لم تحاول ولا مرة..

ثم بعد لحظة .

- من الطبيعي أن يزوروا عليك مرةً ومرة. ولكن الإنجاح مفيد... وإذا تحقق هذا فاستعادة الثقة المفقودة تتطلب مجهودا يجب أن تبدله.
تابعت «عائدة» المائشة باهتمام جدي. أسهمت فيها سائلة عن التفاصيل.

هممت أن أبعدها عن المناقشة، ولكنه إهم بأسئلتها وأجذب بإفصاة.
قلت : والأكاذهب التي أخرجوني بسببها.

قال بابتسامة مُخرجة ..

- تحتاج إلى روح جديدة، لا بد من مواجهة الخطأ، الأمر لا يتطلب إلا بعض الشجاعة وهي ليست عسيرة .

- أذكر في عمل تجاري.

- نعم عسكريون، وظيفتها أن تقاوم، وبالقات في هذه الظروف، يفكر التجار في أن يحاربوا، فهل يمكن نحن في أي متجر..

قالت بعد انصرافه

- فكرة طيبة.. حاول أن تنفذها.

ثم أرد... قالت :

برسعا أن نهي كل شيء من جديد، ربما كان وسرلا جاء يجس

النبي؟

ثم وهي تراجع ظلام الشارع :

كهرت هذه الحياة وأصبح في حياة أخرى والطريق أمامت ملئ بالإمكانات.

ثم بعد لحظة صمت

- لا بد من هذا. «أشرف» في الطريق.. وربما «سهير»..

- هه.

تدت الصرخة قبل أن أستمها. ماكستُ بدئمة

- كيف حدث هذا، ظننتك احتطت للأمر .

خُتت فرحتها، تجمعت نُذُر التوتر في الجو، وفي الخارج كان الظلام مطبقا إلا من ضوء أزرق تشعه مصابيح الطريق. قالت

- فعلت ذلك في الشهر الأول فقط، ثم أوقفت أي احتياطات.

- ولكن.. ؟

أحاطت وجهي بكفيتها، كنت مطرعا حذر عينيها، وصعدت نظارتها على المنضدة. رمتُ رأسي، واجهتني عينها، غبت فيهما لحظة، هناك في أقصى العمق كانت عكازة هم قديم تتحرك.
قالت .

- هنا حُلِمَ عمره عشرة أعوام وأنا سعيدة لأنه تحقق.

ضمت رأسي إلى صدرها أرحت رأسي المثقل في ليونة ثديها
قالت .

أنت طفل كبير.. ومع ذلك سيكون لك أسرة وأولاد وبنات، وعلى أن أقول مسئوليتكم جميعا.. فليمتني الله

.....

أيمكن أن يحدث هذا... من عجيب؟. الرمل والصحراء ومياه البحر، ومتى ينطق هذا الصمت المحيط بك، وكل شيء يبدو قابلا للحل فمادنا لا تقدم؟. الطلاق . وهي أدري بطروقه. العودة للجيش : بمكة مع بعض التحمل. نعمل انهار القديم ونحرق إلى الأبد تلك الورقة المودعة بمكتب كاتم الأسرار..

بعدها بأيام قال صوتها في التليفون

- قلت لزوجي كل شيء، ثار بقدر ما تسمح به العجظة، طلب أن
أنتفضي من الجثيبي مقابل أن يعطيني الرضوخ منتهي؟

- وماذا قلت؟

- رقصت عينا سيد من أحبا

- ولكن

قال أن لأطب.. الأصدقاء - كثيرون مكنت أبص في وجهه

كانت فرحة لم تنتظر أي إجابة. قلت كأنما تذكرت أمراً

على فكرة، عاد «ممدوح» من السفر في أجارة قصيرة

- عال..

- سأوردهم اليوم، أديك مانع أن ندعوه إلى العشاء لهذا؟

ترددت قليلاً. قلت

- يمكن بعد ثلاثة أيام..

«ذهب في الموعد لا ويب، فلم يبقنا أحدًا.. فماذا قالت وماذا

قال؟» وكيف فسرت رفضك الرد على مكالماتها، وإلى أين ينتهي بنا

الهرب؟

.....

قال موظف الاستعلامات :

- اتصلت للام في الثامنة والنصف.. وأهبطها الرب له

هزرت رأسي. تقاعدت في اتجاه الباب. جلست وحيداً. حاول

«نهارمان» أن يجاذبي الحديث، كان نصت داخلي يتكلم.. مصي شطر

من الليل.. انتقلت إلى الشرفة مرة ثانية. إحدى خادم مربي بصيصة قصبة

أمدني، قال يوقظني من شرودي.

- برقية لك..

فتحها بكسل، وضعت بعض النقود على الصينية كانت برقية

عرا...

- «أشرف» و «سهير» مائا، لا ضرورة الحضورك، قام زوجي

بالواجب «عائدة» صبحكت مروراً وبلا صوت. كان البحر يروج على البعد

إنتهى الأمر لا حزن ولا فرح ولا شيء. من يشتري اليأس ولو كان باسماً

إذن لأصحبنا من الأعيان. مات «أشرف» و ماتت «سهير». أجهضت

نفسها أو أجهضها الوحش. هكذا يضئ جسدك بلا عشب، والضئف مرضي

قد يكون وراثياً. ترى ماذا تقول الوجه إذا ما التقت مرة أخرى، والبحر

هادئ لا يقول شيئاً، لا يهس السيم بكلمة.. وتأمل حجر الزاوية داخلك

بالبلادة إلى أين ومن أين؟

- من هناك..

أهلاً كيف أنت «يا عم عمر»

بدأ شبعه مختفياً في التمتة وكان القمر يدور سبتمبرياً، قاذني إلى

الحبسة. أشرت إليه بدأ العمل في صحت. وهو يتاولني الصابة طاعت بالنفس

ذكرى أمومتها العياصة.

- ألا تذكرني «يا عم عمر»؟

- كثيرون يأتون ويذهبون.

- ولكنني قصيت ليلته هنا في الخريف الماضي.. وكانت معي

زوجتي.

- كثيرون يأتون ويذهبون.

- وأنت ألا تذهب؟

قال وهو يسلك العادة

- لا.. أنا هنا من زمن طويل.

- متى؟

- سنوات لا تحبها الناكرة. جاء كثيرون ومضوا. شاهدت «روميل»

وروته في صحباء ورأيت «رتشي» و «مونجمرى» وكان سميماً كالعجل

ضحكك صبحكة قصيرة.

- لماذا تعيش بعيدا عن العمران؟

أشار إلى الغرب قائلا :

- كنت أحرس حقول الأغنام قبل تسويرها ، ثم طابت لي الإقامة.

كان جلابه رقعا ملونة ، تأمله في عجب ، قلت :

- وكيف تعيش؟

أشار إلى موجودات الخيمة إشارة عامة ثم قال :

- وفي الخريف نصيد النسمان المهاجر. يعود الشبك مصحلا به ،

ونشويه لمن يريد!

- فقط..

- وتترك بي أحيانا نساء عقيمات فيرزهن الله بنينا بسمينهم

باسمى لذلك يتعشر في كل الأسماء.

قلت..

- هل تداوي العقم؟

- بركتي لا تخيب.

خرجت إلى باب الخيمة.. كان القمر ساطعا يكشف مساحة عريضة

من الصحراء. وعلى البعد كان حقل الأغنام مسورا. وعلى يابه لافتة سوداء

صغيرة غابت ورائها نظرتي الشاردة وقتا طويلا. أسراب النسمان تقف

مستريحة من عناء الهجرة على الشاطئ. والبحر هادي وساكن.. قلت :

- أقم تشاهد يوما جنديا هاربا من الحرب يا «عم صمار».

- أود.. كثيرون. ومرة قتل الكابتن سبعة جنود حارلوا الحرب.

- قتلهم؟

- آه قال إنهم سيختطفون الصغوف.

لغنا الصمت لحظة. فرش لي بطانية في العراء. قال :

- سأذهب لأنام.. تعرف ما ستفعل..

امتدت اللحفة طويلة.. طويلة.

قمت. مشيت بخطوات سريعة قبل أن أصل باب الحقل قلت : ليست

الشجاعة عسيرة إلى هذا الحد..

سعت صوته يتنادى ولم أحرب إلى أي اتجاه تشبه به.. وهل كان

يطلب مني أعود أو أن أتقدم. قلت :

- ليست الشجاعة عسيرة إلى هذا الحد..

دلفت عبر للسلك المشائك بخطى ثابتة. قرأت اللافتة «حقل الأغنام..

خطر الموت».

كان الفجر يولد. وأسراب النسمان المهاجر تبدأ رحلتها إلى الجنوب.

الفهرس

- ١ - الحب والصن [١٩٦٤] ١١
- ٢ - جنرالات .. بلا جنود [١٩٦٥] ٢١
- ٣ - الأيمان على مائدة القمام [١٩٦٩] ٣٥
- ٤ - أختافات أعلام [١٩٦٩] ٤٩
- ٥ - بيان مشترك ضد الزمن [١٩٦٩] ٦٩
- ٦ - ثلاث مشائق متنبئة الصنع [١٩٧٠] ٩٩
- ٧ - القفرة في شارع كسيف الزحام [١٩٧٠] ١٢١
- ٨ - ضحككات من زمن الموت غيلة [١٩٧٠] ١٥٥
- ٩ - باقة ورد على الضريح [١٩٦٩] ١٨٩
- ١٠ - نصف كوب من دموع التماسيح [١٩٧١] ٢٠٩
- ١١ - مصرع طائر السمعان المهاجر [١٩٧١] ٢٥٣

كتب المؤلف

- ١ - القفزة العربية
الطبعة الأولى - المؤسسة العربية للتراسات والنشر - بيروت ١٩٧٢. (نقد)
الطبعة الثانية - دار المستقبل العربي القاهرة ١٩٨٢. (نقد)
- ٢ - حكايات من مصر
الطبعة الأولى : دار الوطن العربي بيروت ١٩٧٤. (نقد)
- ٣ - البرهانية المصرية وأسلوب المناوذة
الطبعة الأولى: دار بن خلدون بيروت ١٩٧٩. (نقد)
الطبعة الثانية: مطبوعات الثقافة الوطنية القاهرة ١٩٨٠. (نقد)
- ٤ - مجموعة شهادات ووثائق محكمة تاريخ زماننا (رواية).
الطبعة الأولى : دار بن رشد بيروت ١٩٨٠. (نقد)
- ٥ - فلسطين (الأرض والمقاومة) [بالاشتراك مع خيرية قاسمية وحسناء مكناش].
الطبعة الأولى : دار الفنى العربي. بيروت ١٩٨٠. (نقد)
الطبعة الثانية : دار الفنى العربي. القاهرة ١٩٨١. (نقد)

٦ - محاكمة فزاد صراج الدين (دراسة وثائق)

الطبعة الأولى : مكتبة مديبولي. القاهرة ١٩٨٣.

الطبعة الثانية : دراسة المؤلف التي قدم بها لصوص المحاكمة، وقد ص
مستقلة بعنوان [البرجوانية المصرية وأسلوب المفاوضة] دار التنوير،
١٩٨٢.

٧ - هوامش المقرئ : (المجموعة الثمانية من وحكايات من مصر).

الطبعة الأولى : دار القاهرة - القاهرة ١٩٨٣. (نقد)

٨ - رجال صرح دابق (قصة الفتح العثماني لمصر والشام).

الطبعة الأولى : دار الفنى العربى، بيروت ١٩٨٣. (نقد)

٩ - مقلدون وعسكر : إراجعات وشهادات وقهاوب عن حالة المقلدين فى عبد الناصر والسادات.

الطبعة الأولى : مكتبة مديبولي. القاهرة ١٩٨٦.

١٠ - الكارثة التي تهددتنا : (مراجعات تاريخية ضد أهلية البرجوانية المصري لقادة الحاضر وصنع المستقبل).

الطبعة الأولى : مكتبة مديبولي. القاهرة ١٩٨٧.

الطبعة الثانية : دار عبون الدار البيضاء ١٩٨٨.

١١ - تباريح جريح (خفاطر وذكريات).

الطبعة الأولى : مكتبة مديبولي القاهرة ١٩٨٨.

١٢ - حكايات من دغقر الوطن.

الطبعة الأولى : كتاب الأمانى ١٩٩١.

تحت الطبع للمؤلف

١ - أليون وثائق : (قاهرة العنف الجنائى والسياسى فى مصر - نشرت سلسلة بمجلة ٢٣ يوليو - لندن ١٩٧٩).

٢ - المرتسمة والأفندي : (قصة غرام الأميرة فتحية ورياض أفندي غالى).

٣ - مأساة شكرى مصطفى الحقبلي.

٤ - أسطورة لرج الله الخلو : (وثائق التحقيق فى قضية تعذيبه وقتله مع دراسة عن حملة عهد الناصر ضد الشبهوية).

٥ - اغتيال مصطفى خميس : (الصدام الأول بين البروليتاريا والمسكرتاريا).

٦ - الصحافة المصرية فى معركة الديمقراطية : (١٩٥٠ - ١٩٥٤).

٧ - صك المأخرة : (قصة وعد بلفور - بالاشتراك مع جميل عطية إبراهيم).

٨ - مذكرات هرايم باشا وأوراله : (تحقيق وتوثيق - ثلاث مجلدات).

٩ - عهد الرحمن الجمهورى... الاجتماعى المصرية فى عصر القومية.

تعريف بالمؤلف:

- ولد في أكتوبر ١٩٢٩ بقرية «بشلاء» إحدى قرى محافظة البقالية بمصر.
- حصل على بكالوريوس في الخدمة الاجتماعية عام ١٩٦١، وعمل لمدة خمس سنوات، رئيساً لعدد من الوحدات الاجتماعية في قرى محافظة القليوبية، إلى أن فصل من عمله عام ١٩٦٦، بسبب آرائه السياسية.
- اعتقل لأول مرة في أكتوبر ١٩٦٦، بسبب سلسلة مقالات كتبها في مجلة «الحرية» اللبنانية، وأعيد اعتقاله في مارس ١٩٦٨، وقبض عليه فيما بعد على ذمة قضايا تم تقدم للمحاكمة في سنوات ١٩٧٥، و١٩٨١، وكان بين الذين قبض عليهم في حملة سبتمبر ١٩٨١.
- بدأ ينشر مقالاته في الصحف عام ١٩٥٦، ومنذ ١٩٦٢ بدأ ينشر كتاباته في الصحف المصرية والعربية بانتظام. وفي عام ١٩٧٩ عمل بـ «جريدة الجمهورية» إلى أن فصل منها عام ١٩٧٧، أثناء دروبه من مطاردة الشرطة بسبب اتهامه بالمشاركة في التحريض على انتفاضة الطعام في ١٨ و ١٩ يناير، وظل مقيداً منها مدة عشر سنوات.
- شارك في تأسيس الإصدار الثاني لجريدة «الأمال» عام ١٩٨٢، ثم أصبح مديراً لتحريرها عام ١٩٨٦، إلى أن استقال في مايو ١٩٨٨، وشارك في تأسيس ورأس تحرير «الثقافة الوطنية» - ١٩٨٠ - و«كتاب الأمل» (١٩٨٢) «الصحفيين» و«البسار» (١٩٩٠).
- صدر له ١٢ كتاباً في التاريخ والفكر السياسي والاجتماعي، والأدب. وله ثلثه الطبع ١٠ كتب أخرى.